موسوعة

النجف الأشرف

الدرس الحوزوي في النجف

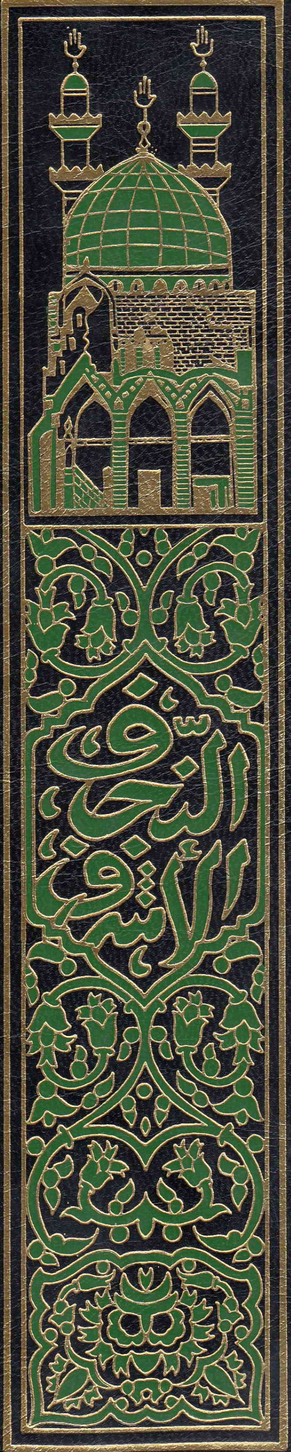
القسم الثاني

جمع وتوثيق
جعفر الدجيلي

بإشراف لجنة
من رجال الفكر والعلم والأدب

الجزء الثامن

دار الأضواء




شبكة الفكر
alfeker.net


موسوعة
النجف الأشرف

حُقُوقُ الطَبع مَحفوظَة

الطبعَة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

دار الأضواء

للطباعة والنشر والتوزيع

ص.ب/ ٢٥/٤٠ غبيري فاكس/ ٦٠١٠١٩

تلكس/ ٢٣٤٠٧ هادي - بيروت - لبنان

موسوعة

النجف الأشرف

الدرس الحوزوي في النجف

القسم الثاني

جمع بحوثها..
جعفر الدجيلي

بإشراف
لجنة من رجال الفكر والعلم والأدب

الجزء الثامن



بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

في الجزء السابق من هذه الموسوعة عرضنا للدرس الحوزوي في النجف ، متمثلاً في مادتي الفقه وأصوله ، وهما المادتان الرئيستان في المؤسسة المذكورة . . بيد أن هناك دروساً ثانوية بعضها يجسّد مقدمة كالمنطق والبلاغة والنحو ، وبعضها يجسّد معرفة خاصة : كالفلسفة والتفسير وغيرهما حيث يضطلع بمدارستها أو التأليف فيها أنفار معدودون ، وبعضها يجسّد علوماً خارج الدرس الحوزوي المباشر : كالهيئة أو الرياضيات أو الطب : وقد كان بود الموسوعة أن تتوفر على تقديم البحوث المرتبطة بهذه الجوانب ، إلا أن اكتسابها طابعاً ثانوياً من جانب وضآلة الفاعلية العلمية لها من جانب آخر ، حمل موسوعتنا على أن تكتفي بتقديم بعضها ، ومنها :

الدرس الفلسفي والدرس الرجالي والدرس الفلكي والدرس اللغوي ، على أن نحاول في الطبعات القادمة أن تعرض للجوانب المتبقية من الدرس الحوزوي .

حقل الفلسفة

تظل الفلسفة بكل أجنحتها ، واحدة من المواد الحوزوية التي تعرضّت إلى المدّ والجزر لأسباب تتضح من خلال البحث الذي كتبه أحد فضلاء الحوزة العلمية ممن يجمع بين التدريس الحوزوي في شتّى مواده : الفقه ، الأصول ، الفلسفة وبين النشاط التأليفي في العلوم الإنسانية ، وهو الشيخ عبد الجبار الرفاعي ، حيث كتب دراسة مفصلة عن الدرس الفلسفي في الحوزة النجفية ، مهّد لها أولاً بالحديث عن تأريخ الفلسفة ونشأتها ، واتجه بعد ذلك إلى الحديث عن الدرس الفلسفي في النجف تحت عنوان :

تطور الدرس الفلسفي في النجف الأشرف*

يفتش الكثير من الباحثين عن جذور المنحى العقلي في التراث الإسلامي في آثار أُمم وأديان أخرى ، ولذا يحاولون أن يجدوا النظائر والأمثال والإشارات في ما وصلنا من كتابات مدرسة أثينا أو الاسكندرية ، أو النصوص الهندية ، أو الفارسية القديمة ، فيتأولون مدلولاتها في إطار هذه الرؤية ، كي يحيلوا ما أنجزه العقل المسلم في عدة قرون إلى تلك الأصول ، ولا تكون للمسلمين وظيفة سوى النقل والاقتباس ، فالفلسفة الإسلامية كما يقولون ظلت (على الدوام فلسفة انتخابية عمادُها الاقتباس مما تُرجم من كُتب الأغريق ، ومجرى تاريخها أدنى أن يكون فهماً وتشرُّباً لمعارف السابقِين ، لا ابتكاراً ، ولم تتميَّز تميَّزاً يُذكر عن الفلسفة التي سبقتها ، لا بافتتاح مشكلات جديدة ، ولا هي استقلت بجديد فيما حاولته من معالجة المسائل القديمة ، فلا نجد لها في عالم الفكر خطوات جديدة تستحق أن نسجِّلها لها . . ونكاد لا نستطيع أن نقول إن هناك فلسفة إسلامية بالمعنى الحقيقي لهذه العبارة ، ولكن كان في الإسلام رجال كثيرون لم يستطيعوا أن يردّوا أنفسهم عن التفلسف . . ولنَدَعِ الآن رد كل فكرة من أفكارهم إلى أصلها الذي انحدرت منه ، تاركين هذا المبحث قائماً بذاته)[1] .

لقد أضحت هذه الرؤية فيما بعد سلطة مرجعية لم ينفك من أسرها الكثير من الباحثين في تاريخ الفلسفة الإسلامية وحالت بينهم وبين الوصول إلى الروافد الأساسية

(*) يرصد هذا الموضوع الحياة العقلية في مدرسة النجف منذ تأسيسها ، عبر مسالكها العديدة المتمثلة في المنطق وعلم الكلام والحكمة العرفانية والفلسفة ، ومجالات تفاعلها ونفوذها في علوم الشريعة لكنه يطل بصورة أوسع على الفلسفة وأدوارها وما انتهت إليه راهناً في تطورها .

(١) ت .ج . دي بور . تاريخ الفلسفة في الإسلام . ترجمة د . محمد عبد الهادي أبو ريدة . القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٧ ، ص٥٠ ـ ٥١ .

للمعقول الإسلامي ، فلم يسع هؤلاء لتدبر آيات القرآن الكريم ، والتأمل في معاني المرويات من الأحاديث الشريفة ، والأدعية المأثورة عن الرسول صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام ليكتشفوا ما تختزنه تلك الآثار المقدسة من قضايا وقواعد ونظريات فلسفية هامة . وكأن رؤية أولئك الذين يعزون ولادة المنحى العقلي في التفكير الإسلامي إلى عوامل خارجية بمثابة مَن يرى شخصاً واقفاً إلى جانب نهر عظيم وبيده قدح ماء ، ثم يسأله : من أية بركة ملأت هذا القدح؟ حسب تعبير أحد الأدباء ـ من دون أن يريد رؤية ذلك النهر وما يفيض به من ماء .

وتأكّد هذا الموقف بنحو أشد لدى بعض الباحثين المهتمين بدراسة التراث الشيعي وتحليل مكوناته ، فأثاروا جملة شبهات وشكوك حول نشأة الفلسفة والكلام عند الشيعة وأصروا على نفي معظم محتواهما عن البيئة الإسلامية ، وهو ما نراه بوضوح في كتابات غير واحد من الباحثين القدماء والمُحدَثين . ولم يميّز البعض بين نشأة المنحى العقلي في التفكير الإسلامي وبين تطوره لاحقاً ، فمما لا شك فيه أن تطوره تأثر تأثراً واضحاً باستلهام تجارب حضارات أخرى ، فهو إسلامي الولادة لكنه في تطوره تأثر بعناصر خارج فضاء الحضارة الإسلامية .

مناهل التفكير الفلسفي عند الشيعة:

يمكن القول إن كتاب «نهج البلاغة» الذي يشتمل على خطب الإمام أمير المؤمنين علي بن بي طالب عليه السلام وتعاليمه وكتبه ووصاياه هو أول كتاب ـ بعد القرآن الكريم ـ يشتمل على مادة واسعة تزخر بالمباحث العميقة في الفلسفة الإلهية ، فالإمام علي (ع) أول من تناول مسائل التوحيد وما يرتبط بها من صفات الله تعالى ، والحدوث والقدم ، والوحدة والكثرة ، والبساطة والتركيب ، وغيرها من المسائل ، ببيان دقيق وبراهين واضحة ، بل هو (أول من برهن واستدل ، في الفلسفة الإلهية ، في هذه الأمة ، فله الفضل والمنة على كل من سواه من العلماء والباحثين في هذا العلم ، فإنه هو الذي فتح لهم باب الاستدلال البرهاني في المعارف الإلهية . . . وإنه قد أتى بمسائل في الفلسفة الإلهية ، لم يسبقه إلى التنبه إليها أحد ، كما أنه فيما أقامه عليها من البراهين ، ووضعه لها من الحلول كان رائداً متفرداً لم يسبقه لها الأولون ، ولم يتنبه لها الآخرون ، إلاّ بعد قرون وقرون . وقد بقيت روائع أنظاره العالية رهن الإبهام قروناً متتالية بعد زمانه ، حتى وفق لكشفها ، والوقوف عليها ، ثلة من جهابذة العلم ، وأفذاذ

المفكرين . . . وإنه عليه السلام أول من استخدم الألفاظ العربية لبيان المقاصد الفلسفية ، التي لا تفي بها الألفاظ ـ في اللغة العربية ـ بمعانيها الشائعة ، واستعمالاتها المتعارفة ، إلاّ بعد تجريدها ـ على نحو ما ـ عن غواشي المادة ، وشوائب الخصوصيات . .)[١] .

فعندما نتأمل ما ورد في نهج البلاغة ونحاول قراءة محتوياته قراءة فلسفية ، سنلتقي بمضامين توضح لنا أنه المنهل الأساس الذي استقى منه الفلاسفة والعرفاء المسلمون أبرز مسائلهم ، فمثلاً يظهر لنا (أن بعض المسائل الفلسفية الأساسية التي تطرحها خطب الإمام علي تأخذ كل مداها عند الملاّ صدرا ومدرسته)[٢] . فالخطبة الأولى في نهج البلاغة ـ طبقاً للترتيب الذي صنفه جامع الكتاب الشريف الرضي ـ نقرأ فيها نصاً توحيدياً ثرياً ببيان مراحل معرفة الله ، التي تبدأ من أدنى المراتب وتنتهي إلى أعمق هذه المراتب وأدقها بحسب طاقة الإنسان العقلية ، متدرجة وفقاً لدرجات الإيمان ، حيث يقول عليه السلام :

(أوّل الدين معرفتُهُ ، وكمالُ معرفته التصديق به ، وكمالُ التصديق به توحيدهُ ، وكمالُ توحيده الإخلاصُ لهُ ، وكمالُ الإخلاص لهُ نفيُ الصفات عنهُ ، لشهادة كُلِّ صفة أنها غير المَوصوف ،وشهادة كُلِّ موصوف أنه غيرُ الصفة ، فمَنْ وصفَ اللهَ فقد قَرَنَهُ ، ومَنْ قَرنَهُ فقد ثَنَّاهُ ، ومَنْ ثَنَّاهُ فقد جَزَّأَهُ ، ومَنْ جزَّأَهُ فقد جهلَهُ ، ومَنْ جَهلهُ فقد أشارَ إليه ، ومَنْ أشارَ إليه فقد حَدَّهُ ، ومَنْ حَدَّهُ فقد عَدَّهُ ، ومَنْ قالَ «فيمَ» فقد ضَمَّنَهُ ، ومَنْ قالَ «علامَ؟» فقد أخلى منهُ . كائنٌ لا عن حدث ، موجودٌ لا عَن عدمٍ . معَ كلِّ شيء لا بمقارنة ، وغير كلِّ شيءٍ لا بمزايلة ، فاعلٌ لا بمَعنى الحركات والآلة ، بصيرٌ إذ لا منظورَ إليه من خَلقه ، مُتوحِّدٌ إذ لا سكنَ يستأنسُ به ولا يستوحشُ لفقده)[٣] .

يُحدد هذا النص خمس مراتب لمعرفة الله تعالى وهي كما يلي :

---

(١) الطباطبائي ، السيد محمد حسين . علي والفلسفة الإلهية . بيروت : مؤسسة البعثة ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ ، ص٧٨ ـ ٧٩ .

(٢) كوربان ، هنري . تاريخ الفلسفة الإسلامية . ترجمة : نصير مروّة ، وحسن قبيسي . راجعه : موسى الصدر ، وعارف تامر . بيروت ـ باريس : منشورات عويدات ، ط٣ ، ١٩٨٣ ، ص٨١ .

(٣) الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام . نهج البلاغة . ضبط نصه : د . صبحي الصالح . بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ط٢ ، ١٩٨٢ ، ص ٣٩ ـ ٤٠ .

المرتبة الأولى : (أول الدين معرفته) ، فمعرفة الله ، والإقرار بألوهيته ، هي : الاعتقاد النظري بأن للعالم إلهاً ، وهو ما يشترك فيه المشرك ، والموحِّد ، كالوثنية ، والثنوية ، وأهل الكتاب ، والمسلمين . وكل من اعترف بالإله ، وأذعن بوجوده ، وخضع له ، أو اقتصر على مجرد العلم النظري .

المرتبة الثانية : (وكمال معرفته التصديق به) ، هذا التصديق هو الذي يوجب خضوع الإنسان له في عبوديته ، وبهذا التصديق يرسخ الاعتقاد ، لذلك كان هذا التصديق ، كمال المعرفة .

المرتبة الثالثة : (وكمال التصديق به توحيده) ، توحيده هو إثبات أنه تعالى واحد لا شريك له ، وبذلك يمتاز دين التوحيد عن أديان الشرك ، التي تثبت مع الله آلهة أخرى ، والتوحيد هو كمال التصديق به .

المرتبة الرابعة : (وكمال توحيده الإخلاص له) ، الإخلاص له يكون بالاعراض عما سواه علماً وعملاً ، وقصر الوجود الحق وحصره فيه تعالى ، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل ، وإذا كان كذلك انتفى عنه تعالى كل واقع ، أو متوهم ، أو مفروض ، فيكون واحداً بكل ما لهذه الكلمة من معنى .

المرتبة الخامسة : (وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه ، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف ، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة) ، فإنه تعالى إذا كان حقاً على الإطلاق ، ووجوده غير محدود ، فلا يمكن للمفاهيم الذهنية أن تحيط به ، ولا أن تنطبق عليه تعالى حق الانطباق ، لأن المفاهيم محدودة في أنفسها ، ولذا ترى أن مفهوم العلم يمتاز عن مفهوم القدرة ، وليس في أحدهما أي شيء بل أي خبر عن الآخر ، ومفهوم القدرة لا ينطبق على مفهوم الحياة ، ومفهوم الحياة منفصل عن مفهوم العلم ، فكل مفهوم لا يسع إلاّ نفسه ، وليس فيه من المفاهيم الأخرى أي أثر أو خبر ، وكذلك ليس في المفاهيم الأخرى عنه أي خبر أو أثر «وإن كان ربما تتحد مصاديق هذا المفهوم وتتطابق مع مصاديق المفهوم الآخر ، لكن الكلام ليس في المصاديق» . وإذا كان الإله سبحانه ـ على كل تقدير ـ غير محدود بحد موجود ، وهو حق على الإطلاق ، فإن المفاهيم الذهنية ، التي يصف العقل بها كلما أراد أن يَعرِفَه ، أو يعرِّفه ، لا تستطيع

أن تتناوله ، فتحيط به ، وتنطبق عليه . وهكذا نرى أن التعمق في معنى الإخلاص قد أدى إلى نفي الصفات عنه تعالى ، فيصح إذن أن يقال : إن نفي الصفات عنه تعالى هو كمال الإخلاص له[١] .

إن المسائل المرتبطة بالتوحيد والقضايا الأخرى في الفلسفة الإلهية تحتل مساحة واسعة من النصوص المأثورة عن الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة ، ولا يقتصر ذلك على نهج البلاغة وإنما نلاحظ في النصوص الأخرى المأثورة عن الأئمة عليهم السلام بيانات عديدة تُعنى بإيضاح قضايا أساسية في الفلسفة الإلهية .

ففي «الأصول من الكافي»[٢] نجد الشيخ الكليني يفرد قسماً خاصاً لأحاديث أهل البيت عليهم السلام الواردة في موضوع التوحيد ، يذكر فيه ما ورد عنهم في مسائل منها : (حدوث العالم وإثبات المُحدث ، وإطلاق القول بأنه شيء ، وأنه لا يُعرف إلاّ به ، وإبطال رؤيته تعالى ، والنهي عنَ الكلام في الكيفية ، والنهي عن الوصف بغير ما وصَفَ به نفسه ، والنهي عن الجسم والصورة ، وصفات الذات ، والإرادة وكونها من صفات الفعل وسائر صفات الفعل ، وحدوث الأسماء ، وتأويل الصمد ، والعرش والكرسي ، وجوامع التوحيد ، والجبر والقدر والأمر بين الأمرين ، والهداية . . وغير ذلك) . أما الشيخ الصدوق فإنه ألف كتاباً مستقلاً بعنوان «التوحيد»[٣] ضمَّنه (٥٨٣) حديثاً مما ورد عن الأئمة عليهم السلام في مسائل التوحيد . كذلك تشتمل هذه الأحاديث على مرتكزات أساسية في الفلسفة ، لا سيما ما جاء منها بصيغة حجج برهانية في نقض مزاعم الزنادقة ، فمثلاً ورد في ثنايا البراهين التي ساقها الإمام الصادق في الرد على الزنديق قوله عليه السلام في سياق الجواب (. . . إذ لم يكن بين الإثبات والنفي منزلة)[٤] ، وهي إشارة صريحة إلى الحقيقة الفلسفية المعروفة في نفي الواسطة بين الوجود والعدم ، التي اشتبه فيها الأمر فيما بعد على بعض متكلمي المعتزلة ، فذهبوا إلى القول بأن هناك واسطة بينهما .

---

(١) الطباطبائي ، السيد محمد حسين . مصدر سابق . ص٤٤ ـ ٤٩ .

(٢) من أهم الجوامع الحديثية عند الشيعة الإمامية ، بلغ عدد الأحاديث المروية فيه ١٦١٩٩ حديثاً . أي ما يزيد على ما في الصحاح الستة متوناً وأسانيد . وهو مطبوع عدة مرات .

(٣) طبع غير مرة في إيران وخارجها .

(٤) الصدوق ، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي . التوحيد . تصحيح : هاشم الحسيني الطهراني . قم : جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، ص٢٤٦ .

ومن هذا القبيل قول الإمام الرضا عليه السلام في بيان أصل مبدأ العلية ، وإن كل موجود إن لم يكن وجوده عين ذاته ، كان قائماً بغيره ومتحققاً فيه ومعتمداً عليه ، أي معلولاً له ، لأن (. . . كل قائم في سواه معلول)[١] ، وهذا ما ينعكس بعكس النقيض إلى أن ما لا يكون معلولاً ، فهو ليس قائماً في سواه ، وإنما هو قائم بذاته مستغنٍ عن غيره ، لا يحتاج إلى أي موجود آخر[٢] .

ومن ذلك قوله عليه السلام ، في بيان عدم إمكان اكتناه ومعرفة ذاته تعالى ، ونفي الماهية عنه ، أن (كُلُّ معروف بنفسه مصنوعٌ)[٣] بمعنى أن كل موجود مخلوق فإن له ماهية معينة يُعرَف بها ، أما ما لا يكون مصنوعاً ومخلوقاً ، وإنما هو خالق جميع الأشياء ، فإنه لا يكون معروفاً بذاته وماهيته ، لأنه لا ماهية له وراء وجوده ، فهو وجود محض وماهيته إنيّته أي وجوده ، ولذا لا يدركه العقل بالكُنه ، لعدم وجود صورة له تحكيه ولا مثال له يحاذيه ، لأنه ليس كمثله شيء[٤] .

وفي حوار الإمام الرضا عليه السلام مع رجل من الزنادقة ، قال له الرجل :

رحمك الله فأوجِدني كيف هو ، وأين هو؟

فأجاب الإمام عليه السلام قائلاً :

(ويلك إن الذي ذهبت إليه غلط ، هو أيّن الأين وكان ولا أين ، وهو كيّفَ الكيف وكان ولا كيف ، ولا يُعرف بكيفوفيَّةٍ ، ولا بأينونيّةٍ ، ولا يُدركُ بحاسةٍ ، ولا يُقاس بشيءٍ .

فقال الرجل : فإذاً إنه لا شيء ، إذ لم يُدرك بحاسة من الحواس .

فقال أبو الحسن عليه السلام :

ويلك لما عجزت حواسك عن إدراكه أنكرت ربوبيته ، ونحن إذا عجزت حواسنا عن إدراكه أيقنّا أنه ربُّنا خِلافَ الأشياء .

---

(١)ن .م ، ص٣٥ .

(٢) جوادي آملي ، الشيخ عبدالله . علي بن موسى الرضا والفلسفة الإلهية . قم : دار الإسراء للنشر ، ١٤١٥هـ ، ص١٨ .

(٣) الشيخ الصدوق . التوحيد ص٣٥ .

(٤) جوادي آملي . عبدالله . مصدر سابق . ص١٧ ـ ١٨ .

قال الرجل : فأخبرني متى كان؟

فقال أبو الحسن عليه السلام : أخبرني متى لم يكن ، فأخبرك متى كان)[١] .

هذه الإجابات تؤسس لبعض المرتكزات المعروفة في مباحث الإلهيات لدى الفلاسفة الإسلاميين ، فإنه (لا بد أن يكون للحادث مبدأ أزليّ قديم مصون عن الحس ، إذ لو كان محسوساً لما كان وجوده عين ذاته ، لاحتياجه إلى أين ومتى وكم وكيف وغير ذلك حتى يناله الحس ، وكل ما كان محتاجاً فليس بمبدإ أزلي)[٢] .

تأسيساً على ما سبق يمكن القول بأن (نقطة الانطلاق) في التأمل الفلسفي عند الشيعة تبدأ من القرآن وسنن الأئمة ، (فعلى كل محاولة تنزع إلى عرض الفلسفة النبوية التي نشأت عن هذا التأمل ، أن تنطلق من نفس المنهل الذي نهلت منه هذه الفلسفة)[٣] . وليس من الصحيح أن يتم استدعاء عناصر ثقافات خارج البيئة الإسلامية ، وإحالة تجليات الإبداع الفلسفي في التراث الشيعي إليها ، مثلما يفعل بعض الباحثين المسكونين بالتصور التسلطي في الثقافة الغربية ، وما يصدر عنه من رؤية متحيزة لمكونات الحضارة اليونانية ، من دون أن يتنبهوا إلى أن (كل جدلية التوحيد والمسائل المتعلقة بعلم النبوة ، ناجمة من معطيات خاصة لا مقابل ولا مثال يوناني لها . . . وقد غذّى الفكر الشيعي ، ومنذ البداية ، الفلسفة ذات النموذج النبوي ، أي النموذج الذي يتعلق بالدين النبوي)[٤] .

ومن الجدير بالذكر أن دعاة هذا المنهج الذي يحاول إلحاق المعقول في التراث الشيعي بثقافات أخرى ، لم يقتصر على ذلك وإنما يتجاوزه إلى إقصاء التشيع بتمامه خارج الفضاء الإسلامي ، مفتشاً عن جذور مزعومة له في ديانات وحضارات غابرة ، متكتماً على المصدر الرباني للتشيع ، وأن ما يفيض به التشيع من ثراء روحي ، وخصب معنوي ، ونزعة عقلية برهانية ، نابع من الوجدان الشيعي نفسه ، واستلهامه الغزير للوحي الإلهي ومجموع التراث النبوي عبر قنوات نقية ، ذلك أن التشيع (يتكون أساساً بحسب ما تظهره لنا النصوص التي ترجع إلى الأئمة أنفسهم ، من إرادة الوصول إلى المعنى الحقيقي للوحي الإلهي)[٥] .

---

(١) الشيخ الصدوق . التوحيد ص ٢١ .

(٢) جوادي آملي . مصدر سابق . ص٣٠ ـ ٣١ .

(٣) كوربان ، هنري . تاريخ الفلسفة الإسلامية . ص٨٢ .

(٤) ن .م ، ص٦٨ .

(٥) ن .م ، ص٦٧ .

من هنا نستطيع معرفة السبب الأساسي في بروز النزعة العقلية والتجربة الروحية العميقة لدى الشيعة منذ العصر الإسلامي الأول ، وكيف تطورت تلك النزعة في عصور لاحقة ، فأضحت سمة يتميز بها التراث الشيعي ، كما اعترف بعض المؤرخين مؤكداً ذلك بقوله : (كانت الفلسفة ألصق بالتشيع منها بالتسنن ، نرى ذلك في العهد الفاطمي ، والعهد البويهي ، وحتى في العصور الأخيرة كانت فارس أكثر الأقطار عناية بدراسة الفلسفة الإسلامية ونشر كتبها)[١] .

بيد أن بعض الباحثين يحلو له أن يتغافل عن هذه الحقيقة ، بل ربما عمدَ بعضهم الآخر إلى طمسها ، حتى (أن الدور والأهمية القاطعة التي كانت للفكر الَشيعي في ارتقاء الفكر الفلسفي في الإسلام ، لم تؤخذ بعين الاعتبار إطلاقاً ، لا بل كان بين صفوف المستشرقين حيالها بعض التكتم والميل الذي يصل إلى حد العداء ، وهم في ذلك على وفاق مع الجهالة . . .)[٢] .

إشارة إلى نشأة علم الكلام عند الشيعة:

علم الكلام هو علم أصول الدين ، أو علم العقائد الإسلامية ، أو علم التوحيد والصفات ، علم إسلامي النشأة ، فهو لم يعرف من قبل عند الأديان والأمم الأخرى ، وان وظّفَ شيئاً من معطيات العقل البشري في المنطق والفلسفة في فترة لاحقة ، كأدوات في منهج بحثه ، وأسلوبه في المناظرة .

وقد ظهرت هذه التسمية (علم الكلام) فيما بعد ، وذكرت عدة تفاسير لها ، من أبرزها ، أنه سُمي كذلك في المرحلة التي تعددت فيها الأقوال بشأن كلام الله ، وهل هو مخلوق أم غير مخلوق ، فكانت هذه المسألة هي محور معظم البحوث العقائدية في هذه الفترة .

ولكن نشأة البحث في العقائد الإسلامية والاستدلال عليها ، ظهرت منذ بداية هبوط الوحي وبروز الدعوة ، فإن الرسول صلى الله عليه وآله حينما دعا المشركين إلى الإسلام ، لم يستجب له الكثير منهم لأول وهلة ، وبدرت منهم شكوك وتساؤلات متنوعة حول صحة هذه الدعوة ، وكان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ينقض

---

(١) أحمد أمين . ضُحى الإسلام . بيروت : دار الكتاب العربي . ج١ : ص١٩٠ ـ ١٩١ .

(٢) كوربان ، هنري . مصدر سابق . ص٦٦ .

شكوكهم الواحدة تلو الأخرى ، ويجيب على أسئلتهم ، ويبرهن على صدق رسالته بحجج دامغة ، كما حكى لنا القرآن الكريم ذلك ، وعلى هذا يكون (البحث الاستدلالي في الأصول الإسلامية ، قد نشأ من القرآن نفسه ، كما في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وخطب أمير المؤمنين علي عليه السلام تعقيباً وتفسيراً ، وإن اختلفت صياغة وأسلوب هذه المباحث عن صياغة وأسلوب المتكلمين فيما بعد)[١] .

وعندما نريد اكتشاف مناهل علم الكلام عند الشيعة ، سوف لا نجد منبعاً سوى القرآن الكريم ، وما ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ، فكما أن التفكير الفلسفي لديهم ولد في أحضان القرآن والحديث ، فإن الأمر كذلك في علم أصول الدين ، وبعبارة أخرى فإن ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام من خطب ووصايا وكتب وأدعية ، والتي جُمعت فيما بعد في نهج البلاغة ، وغيره من كتب الحديث والأدعية ، هي المنهل الذي استقى منه المتكلمون الشيعة نظرياتهم ، وللتدليل على ذلك يمكن مراجعة نهج البلاغة خصوصاً النصوص التي تدور حول توحيد الباري تعالى وصفاته ـ كما تقدمت الإشارة لذلك ـ لمعرفة الينبوع الأصيل للكلام عند الشيعة ، وبهذا يمكن تفسير تعاضد الكلام والحديث الشريف عند الشيعة ، فلم يواجه الشيعة مشكلة انفصام علم الكلام عن الحديث ، واستقلال المتكلمين عن المحدثين كما حصل عند غيرهم من المسلمين ، الذين انقسموا إلى متكلم ومُحدِّث . وباعتبار وحدة الرافد الذي غذّى الفلسفة والكلام عند الشيعة ، فإن (فلاسفة الشيعة ، إذا تجاوزنا كونهم قد أخرجوا الفلسفة بقالب كلامي ، فإنهم استخرجوا أسلوب الحكمة البرهانية من أسلوب الحكمة الجدلية ، وأحكموا العقائد والأصول الإسلامية باستلهامها من وحي القرآن وفيوضات قادة الدين . إذا أردنا من هذا المنطلق أن نعد المتكلمين الشيعة ، ومقصودنا كل من امتلك نهجاً عقلياً بشأن العقائد الإسلامية عند الشيعة ، فيجب أن نعد منهم جماعة من رواة الحديث ، وكذلك جماعة من الفلاسفة الشيعة ، ذلك أن حديث الشيعة وفلسفة الشيعة كليهما قد أديا وظيفة علم الكلام أفضل من علم الكلام نفسه)[٢] .

---

(١) مطهري ، الشهيد الشيخ مرتضى . الكلام والعرفان . تعريب : الشيخ علي خازم . بيروت : الدار الإسلامية ، ط١ ، ١٤١٣هـ ، ص١١ .
(٢) ن.م ، ص ٤٩ ـ ٥٠ .

لقد كانت الطبقة الأولى من المتكلمين الشيعة هم تلامذة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، الذين تلقوا علوم العقيدة منه مباشرة ، ومن أبرز هؤلاء ميثم التمار الذي كان خطيباً ومتكلماً وموضعاً لسر أمير المؤمنين[١] ، وأويس القرني ، أحد الزهاد المعروفين ، وكان عالماً متكلماً بارعاً اشتهر بالزهد فغلب زهده على علمه[٢] ، وسُليم ابن قيس الهلالي ، وهو متكلم فقيه كثير السماع ، أول من كتب في الحوادث الكائنة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله[٣] . والأصبغ بن نباتة ، وهو متكلم في الأصول عالم بالحديث[٤] ، كان من خاصة أمير المؤمنين عليه السلام وعمّر بعهده[٥] .

ثم تلت هذه الطبقة من المتكلمين جماعة أخرى في الحقبة التالية ، ظهرت لديها بواكير المصنفات الكلامية عند الشيعة ، ومن أشهر أعلام هذه الطبقة علي بن إسماعيل ابن ميثم التمار ،وهو حفيد ميثم التمار المذكور سابقاً ، وصفه النجاشي بأنه (كان من وجوه المتكلمين من أصحابنا ، كلّمَ أبا الهُذَيل والنَظّام له مجالس وكتب ، منها : كتاب الإمامة . . . كتاب مجالس هشام بن الحكم . .)[٦] . وكان يناظر أبرز متكلمي عصره فيتفوق عليهم ، فقد ذكر السيد المرتضى في الفصول المختارة من العيون والمحاسن للشيخ المفيد بعض المواضع التي تغلب فيها على خصومه[٧] . وقد ذهب ابن النديم في الفهرست إلى أنه (أول من تكلم في مذهب الإمامة)[٨] ، ولعله يعني أنه أول من ألف تأليفاً مستقلاً بعنوان (الإمامة) ، لأن المتكلمين في مذهب الإمامة من أصحاب الأئمة تقدموا عليه ، وربما كان وجوده في عصر مؤسسي الطبقة الأولى للكلام المعتزلي ، كعمرو بن عُبيد وأبي الهذيل العلاف ، واصطكاكه في مناظرات معروفة معهم جعله معروفاً بذلك عند الناس في عصره . ويبدو أن كتابه (مجالس هشام بن الحكم) الذي ذكره النجاشي ، هو عبارة عن مناظرات أو أمالي في موضوعات علم الكلام كان

---

(١) الصدر ، السيد حسن . تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام . طهران : منشورات الأعلمي ، ص٣٥٦ .
(٢) ن .م ، ص ٣٥٧ .
(٣) ن .م ، ص ٣٥٧ .
(٤) ن .م ، ص٣٥٨ .
(٥) النجاشي ، أحمد بن علي . رجال النجاشي . تحقيق : السيد موسى الشبيري الزنجاني ، قم : جماعة المدرسين في الحوزة ، ص٨ .
(٦) ن .م ، ص٢٥١ .
(٧) الصدر ، السيد حسن . مصدر سابق . ص ٣٥٣ .
(٨) ابن النديم ، محمد بن إسحق . الفهرست . تحقيق : رضا تجدد . طهران : ص٢٢٣ .

استفادها من هشام . ومن المتكلمين المعروفين في هذه الفترة ، مؤمن الطاق وهو أبو جعفر محمد بن علي بن النُعمان بن أبي طُريفة البجلي الكوفي ، اشتهر بمناظراته مع أبي حنيفة ، فألف في ذلك كتاباً ذكره النجاشي بعنوان (كتاب مجالسه مع أبي حنيفة والمرجئة)[١] ، وكان (متكلماً حاذقاً)[٢] كما وصفه ابن النديم في الفهرست .

وتعتبر هذه الفترة فترة ازدهار ونضج علم الكلام الإمامي ، وفيها تحولت مدرسة الكلام الإمامية من الكوفة إلى بغداد ، بعد أن غادر هشام بن الحكم الكوفة مهاجراً إلى بغداد سنة تسع وتسعين ومائة[٣] ، فأصبح من خواص يحيى بن خالد البرمكي ، وكان هشام ممن نهل العلم على يدي الإمام الصادق وولده الإمام الكاظم عليهما السلام ، فإنه كان من خواصهما[٤] ، وقد عُرف بأنه من أعظم متكلمي عصره ، حيث وصفه ابن النديم بقوله : (كوفي تحول إلى بَغداد من الكوفة ، من أصحاب أبي عبدالله جعفر ابن محمد عليه السلام ، من متكلمي الشيعة ، ممن فتق الكلام في الإمامة ، وهذّبَ المذهب بالنظر ، وكان حاذقاً بصناعة الكلام ، حاضر الجواب)[٥] ، و(كان ليحيى بن خالد مجلس في داره يحضره المتكلمون من كل فرقة وملّة يوم الأحد ، فيتناظرون في أديانهم ، يحتج بعضهم على بعض)[٦] ، وكان هذا المجلس أهم منتدى للمناظرات العقائدية يومذاك في بغداد ، حتى أن الرشيد عندما علم بهذا المجلس حرص على حضوره متنكراً في السفر ، بيد أن المعتزلة بلغهم نبأ وفود الرشيد على المجلس ، فعزموا (على أن لا يكلموا هشاماً إلاّ في الإمامة لعلمهم بمذهب الرشيد وإنكاره على من قال بالإمامة)[٧] ، فلما انعقد المجلس ناظروا هشاماً في الإمامة ، وتناوب في إثارة الإشكالات عليه ، عبدالله بن يزيد الإباضي ، وضرار ، وبيان الحروري ، فأفحمهم هشام فيما أورده من إجابات (وكان هارون الرشيد قد سمع الكلام كله ، . . . ثم عض

---

(١) النجاشي . مصدر سابق . ص٣٢٦ .
(٢) ابن النديم . مصدر سابق . ص٢٢٤ .
(٣) النجاشي . مصدر سابق . ص٤٣٢ .
(٤) الطوسي ، الشيخ محمد بن الحسن . الفهرست . تصحيح : السيد محمد صادق بحر العلوم . قم : منشورات الرضي ، ص١٧٤ .
(٥) ابن النديم . مصدر سابق . ص ٢٢٣ .
(٦) الصدوق ، محمد بن علي بن الحسين . كمال الدين وتمام النعمة . تصحيح : علي اكبر الغفاري . قم : جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، ٢ :٣٦٢ .
(٧) ن .م ، ص٣٦٢ ـ ٣٦٣ .

على شفتيه ، وقال : مثل هذا حيّ ويبقى لي ملكي ساعة واحدة؟ ! فوالله للسان هذا أبلغ في قلوب الناس من مائة ألف سيف . . .)[(١)] .

وقد بلغت منزلة هشام في علم الكلام درجة أهلته لأن يكون رئيس هذا المنتدى الكلامي الأسبوعي في دار يحيى بن خالد ، كما يبدو من قول ابن النديم ، بأنه (كان القيّم بمجالس كلامه ونظره) . وبذلك استطاع هشام أن يشيد الدعائم الأساسية لمدرسة بغداد الكلامية عند الإمامية ، والتي بدأت بعد إقامة هشام في بغداد ، ولم تنته إلاّ بعد الفتنة التي راح ضحيتها التراث المهم الذي جمعه الشيخ الطوسي ، عندماَ هجموا عليه سنة ٤٤٨هـ ، فأحرقوا داره ، ومكتبته ، والكرسي الذي كان يجلس عليه للكلام .

وفيما يلي إشارة سريعة إلى أعلام متكلمي الإمامية الذين خلفوا هشاماً في بغداد ، وهم :

١ ـ علي بن منصور ، أبو الحسن الكوفي ، ثم البغدادي ، متكلم من أصحاب هشام[(٢)] .

٢ ـ محمد بن الخليل السّكاك ، البغدادي ، صاحب هشام وتلميذه[(٣)] .

٣ ـ يونس بن عبد الرحمن ، الكوفي ثم البغدادي ، صاحب هشام وتلميذه ، توفي سنة ٢٠٨هـ[(٤)] .

٤ ـ محمد بن أبي عمير الأزدي البغدادي ، توفي سنة ٢١٧هـ[(٥)] .

٥ ـ علي بن إسماعيل ، أبو الحسن الميثمي .

٦ ـ أبو مالك الضحاك الحضرمي ، من تلاميذ هشام .

٧ ـ الحسن بن علي بن يقطين البغدادي ، كان فقيهاً متكلماً[(٦)] .

---

(١) ن .م ، ص٣٦٧ ـ ٣٦٨ . (لاحظ تمام المناظرة في المصدر ص٣٦٢ ـ ٣٦٩) .
(٢) النجاشي ، مصدر سابق . ص٢٥٠ .
(٣) ن .م ، ص٣٢٨ . وابن النديم . مصدر سابق . ص ٢٢٥ .
(٤) ن .م ، ص٤٤٦ ـ ٤٤٨ .
(٥) ن .م ، ص٣٢٦ ـ ٣٢٧ .
(٦) ن .م ، ص٤٥ .

٨ ـ الفضل بن شاذان ، أبو محمد الأزدي النيشابوري ، كان فقيهاً متكلماً ، توفي سنة ٢٦٠هـ[١] .

٩ ـ إسماعيل بن علي بن إسحاق ، أبو سهل النوبختي البغدادي ، كان شيخ المتكلمين[٢] ، وله مجلس يحضره جماعة من المتكلمين[٣] ، توفي سنة ٣١١هـ .

١٠ ـ الحسن بن موسى ، أبو محمد النوبختي ، وصفه النجاشي بقوله : (شيخنا المتكلم المبرّز على نظرائه في زمانه قبل الثلاثمائة وبعدها)[٤] ، وهو متكلم فيلسوف ، كان يجتمع إليه جماعة من النقلة لكتب الفلسفة ، وله مصنفات وتأليفات في الكلام والفلسفة وغيرها[٥] .

١١ ـ محمد بن بِشر ، أبو الحسين السُّوسنجردي الحمدوني ، من تلاميذ أبي سهل النوبختي ، متكلم ، جَيد الكلام ، صحيح الاعتقاد ، حسن العبادة والعمل[٦] .

١٢ ـ الحسن بن علي ، أبو محمد بن أبي عقيل العُماني الحذّاء البغدادي ، فقيه متكلم[٧] .

١٣ ـ علي بن عبدالله بن وصيف ، أبو الحسن الحلاء البغدادي الناشىء الأصغر ، شاعر متكلم[٨] ، توفي سنة ٣٦٦هـ .

١٤ ـ المظفر بن محمد بن أحمد ، أبو الجيش البلخي البغدادي ، من مشاهير المتكلمين ، ومن تلاميذ أبي سهل النوبختي ، وهو ثاني من قرأ عليهما الشيخ المفيد الكلام ، توفي سنة ٣٦٧هـ[٩] .

١٥ ـ طاهر غلام[١٠] أبي الجيش ، كان متكلماً ، وقد تلّمذ عليه الشيخ المفيد في البداية ، حيث كان يقرأ عليه في منزله بباب خراسان في بغداد[١١] .

---

(١) ن .م ، ص٣٠٦ ـ ٣٠٧ .

(٢) ن .م ، ص٣١ .

(٣) ابن النديم . مصدر سابق . ص٢٢٥ .

(٤) النجاشي . مصدر سابق . ص ٦٣ .

(٥) ابن النديم . مصدر سابق . ص ٢٢٥ .

(٦) النجاشي . مصدر سابق . ص ٣٨١ .

(٧) ن .م ، ص٤٨ . والطوسي . الفهرست . ص ٥٤ .

(٨) ن .م ، ص٢٧١ .

(٩) ن .م ، ص٤٢٢ .

(١٠) غلام بمعنى تلميذ .

(١١) النجاشي . مصدر سابق . ص٢٠٨ .

١٦ ـ محمد بن محمد بن النعمان ، الشيخ أبو عبدالله ، ابن المعلم العُكبَري البغدادي ، المعروف بالشيخ المفيد ، وصفه ابن النديم بقوله : (في عصرنا انتهت رئاسة متكلمي الشيعة إليه ، مقدَّم في صناعة الكلام على مذاهب أصحابه ، دقيق الفطنة ، ماضي الخاطر ، شاهدتُه فرأيتُه بارعاً)(١) . وكان له مجلس نظر بداره في درب رياح ببغداد كان يحضره العلماء من سائر الطوائف . وقد توفي سنة ٤١٣هـ ، وكانت جنازته مشهودة حيث شيعه عدد غفير من الناس .

١٧ ـ علي بن الحسين بن موسى ، أبو القاسم ، علم الهُدى المرتضى ، حاز من العلوم ما لم يدانه فيه أحد في زمانه ، وكان متكلماً شاعراً أديباً ، عظيم المنزلة في الدين والدنيا(٢) ، متوحداً في علوم كثيرة ، مجمعاً على فضله ، مقدماً في العلوم(٣) ، إماماً في علم الكلام والأدب والشعر والبلاغة كثير التصانيف متبحراً في فنون العلم(٤) ، وهو أول من جعل داره دارَ العلم وقدَّرها للمناظرة(٥) . توفي سنة ٤٣٦هـ .

نشأة الحوزة العلمية في النجف الأشرف:

يمكن القول إن الشيخ أبا جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، هو أول من أرسى الدعائم المتينة لأكاديمية علمية تعنى بكل العلوم الإسلامية في النجف الأشرف ، كان ذلك بعد أن تعرض للاعتداء وأحرقت داره ومكتبته في بغداد ، فاضطر للهجرة إلى مشهد أمير المؤمنين عليه السلام عام ٤٤٨هـ .

لقد كانت الحياة العلمية للشيخ الطوسي بمثابة حلقة الوصل بين مدرستين ومرحلتين هامتين من مدارس علوم أهل البيت عليهم السلام ، فإنه ترعرع وتعلم في

---

(١) ابن النديم . مصدر سابق . ص ٢٢٦ .

(٢) النجاشي . مصدر سابق . ص٢٧٠ .

(٣) الطوسي . مصدر سابق . ص٩٨ .

(٤) ابن خلكان ، أحمد بن محمد . وفيات الأعيان . تحقيق : د . إحسان عباس . قم : منشورات الشريف الرضي ، ٣ : ٣١٣ .

(٥) لمعرفة تطور مدرسة الكلام الإمامية في بغداد ، راجع البحث القيّم الموسوم بـ(الكلام عند الإمامية : نشأته وتطوره وموقع الشيخ المفيد منه) للعلامة المحقق الشيخ محمد رضا الجعفري ، المنشور في مجلة تراثنا ، الأعداد ٣٠ ـ ٣٣ .

ربوع مدرسة بغداد ، واحتضنه أول الأمر شيخه المفيد لمدة خمس سنوات ، ثم تحول بعد وفاة شيخه هذا عام ٤١٣هـ ، إلى تلميذه الشريف المرتضى ، ولازم الحضور تحت منبره ، وعُني به المرتضى ، وبالغ في توجيهه وتلقينه ، واهتم به أكثر من سائر تلاميذه ، وعيّن له في كل شهر اثني عشر ديناراً ، وبقي ملازماً له طيلة ثلاث وعشرين سنة ، حتى توفي الشريف المرتضى سنة ٤٣٦هـ[١] ، فاستقل هو بعده بالأستاذية ، وأضحى إمام الشيعة الإمامية ، وشيخهم المقدم على غيره ، وصارت داره في محلة الكرخ ببغداد موئلاً للعلماء والباحثين والطلاب ، يتوافدون عليه من كل حدب وصوب لينهلون من نمير علمه ، حتى بلغ عدد تلامذته ثلاثمائة من مجتهدي الشيعة ، ومن العامة عدد غفير[٢] . واستقل بأستاذية علم الكلام ، فجعل له الخليفة العباسي القائم بأمر الله عبدالله بن القادر بالله أحمد كرسي الكلام والإفادة ، وقد كان لهذا الكرسي يومذاك عظمة وقدراً فوق الوصف ، إذ لم يسمحوا به إلاّ لمن برز في علومه وتفوق على أقرانه ، ولم يكن في بغداد يومذاك من يفوقه قدراً أو يفضل عليه علماً ، فكان هو المتعين لذلك الشرف[٢] .

وكان الشيخ الطوسي كما وصفه العلامة الحلي (شيخ الإمامية ، قدس الله روحه ، ورئيس الطائفة ، جليل القدر ، عظيم المنزلة ، ثقة ، عين ، صدوق ، عارف بالأخبار ، والرجال ، والفقه ، والأصول ، والكلام ، والأدب ، وجميع الفضائل تُنسَب إليه ، صنف في كل فنون الإسلام ، وهو المُهذِّب للعقائد في الأصول والفروع ، والجامع لكمالات النفس في العلم والعمل)[٣] .

ومكث الشيخ الطوسي ببغداد مواصلاً لعمله العلمي في البحث والتدريس إلى أن ورد بغداد عام ٤٤٧هـ طغرل بيك السلجوقي ، فسقطت بغداد بيده ، وأثار الفتنة الطائفية بين السنة والشيعة ، وأمر بإحراق مكتبة وزير بهاء الدولة البويهي سابور بن أردشير المسماة بدار العلم ، وكانت هذه المكتبة من أهم دور الكتب التي تضم ما يزيد على عشرة آلاف كتاب من نفائس التراث الإسلامي آنذاك ، حيث أشادها على غرار

---

(١) الطهراني ، الشيخ آغا بزرك . حياة الشيخ الطوسي . منشورة في مقدمة كتاب : النهاية ونكتها ، للشيخ الطوسي . قم : جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، ١ : ٨ ـ ٩ .

(٢) ن .م ، ١ :٩ .

(٣) الحلي ، الحسن بن يوسف بن المطهر . رجال العلاّمة الحلي . تصحيح : السيد محمد صادق بحر العلوم . النجف : المطبعة الحيدرية ، ص١٤٨ .

(بيت الحكمة) الذي بناه هارون الرشيد ، وصفها ياقوت الحموي بقوله : (كانت خزانة الكتب التي أوقفها الوزير أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة ، ولم يكن في الدنيا أحسن كتباً منها ، كانت كلها بخطوط الأئمة المعتبرة وأصولهم المحررة)[١] .

ولم تقف الفتنة عند إحراق هذه المكتبة الثمينة بل توسعت لتلتهم التراث الذي حفظه الشيخ الطوسي في مكتبته الخاصة ، فقد ذكر ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٤٩هـ : (وفي صفر في هذه السنة ، كُبست دار أبي جعفر الطوسي متكلم الشيعة بالكرخ ، وأخذ ما وجد فيها من دفاتره وكرسي كان يجلس عليه للكلام ، وأُخرج إلى الكرخ ، وأُضيف إليه ثلاثة سناجق بيض ، كان الزوّار من أهل الكرخ قديماً يحملونها معهم إذا قصدوا زيارة الكوفة ، فأُحرق الجميع)[٢] .

ولما بلغت الأمور إلى هذا الحد اضطر الشيخ الطوسي أن يُهاجر إلى النجف ، وعندما هبط النجف بادر إلى تأسيس مدرسة علمية جديدة تهتم بتدريس وصيانة تراث أهل البيت عليهم السلام ، وآنئذ بدأت مرحلة جديدة من مراحل مدارس أو حوزات العلوم الإسلامية عند الشيعة ، بعد أن اضمحل نشاط مدرسة بغداد بهجرته .

فقد كانت هجرته محطة فاصلة بين مدرستين خُتمت بها مدرسة بغداد لتبدأ مدرسة النجف أو الحوزة العلمية في النجف الأشرف .

وهكذا دشن الطوسي العهد الجديد بالتدريس والتأليف ، فكانت لحظة وصوله النجف هي الحد الذي يعين بداية تاريخ الدراسة الواسعة لكافة فروع المعارف الإسلامية ، تلك البداية التي بدأ بها الانفتاح على التدريس والتأليف في علم الكلام ومختلف حقول المعقول الإسلامي ، وهو ما نراه في الآثار الكلامية العديدة التي تركها لنا ، فضلاً عن اعتماده أدوات المنطق وآليات البحث الفلسفي في مؤلفاته الأصولية والفقهية ، فقد (نحى نحو ابن رشد وغيره من المشائين المسلمين ، وواصل الاستدلال بالأقيسة المنطقية الصورية ، باذلاً جهده في سلامة الأدلة ، حرصاً على ما ألفه المتكلمون قبل إمام الحرمين ، الذين كانوا يظنون أن المدلول يبطل ببطلان دليله)[٣] .

---

(١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢ : ٣٤٢ . ومحمد كرد علي . خطط الشام ، ٦ : ١٨٥ .

(٢) ابن الجوزي . المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ٨ :١٧٩ .

(٣) الفاسي ، علال . المدرسة الكلامية : آثار الشيخ الطوسي وآرائه الخاصة بهذا العلم . بحث مقدم في : المؤتمر الألفي .

إن تفحص تراث الشيخ الطوسي يكشف عن ارتسام المنحى العقلي في أسلوب الاستدلال البرهاني الذي يغور في شتى المباحث لديه ، وإن كان يتجلى متدفقاً في المباحث الكلامية خاصة ، وعلى هذا يلزم إعداد عمل مستأنف لبيان البحث المنطقي والفلسفي في مؤلفاته ، ولذا سنقتصر هنا على تعداد سريع لآثاره الكلامية خاصة وهي كما يلي :

١ ـ أصول العقائد ، ذكره في كتابه الفهرست ص ١٦١ ، معبراً عنه بقوله : كتاب في الأصول كبير ، خرج منه الكلام في التوحيد وبعض الكلام في العدل .

٢ ـ الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد : وهو فيما يجب على العباد من أصول العقائد والعبادات الشرعية على وجه الاختصار ، طبع في طهران سنة ١٤٠٠هـ[(١)] .

٣ ـ تلخيص الشافي في الإمامة : أصله لأستاذه الشريف المرتضى علم الهدى ، وقد قام هو بتلخيصه ، وطبع التلخيص في نهاية الشافي في طهران سنة ١٣٠١هـ[(٢)] .

٤ ـ تمهيد الأصول : وهو شرح لكتاب (جمل العلم والعمل) لأستاذه الشريف المرتضى ، لم يخرج منه إلاّ ما يتعلق بالأصول ، كما أشار في الفهرست ص ١٦١ ، وطبع في طهران بتحقيق : عبد المحسن مشكاة الديني ، سنة ١٣٦٢هـ[(٣)] .

٥ ـ رياضة العقول : وهو شرح لكتابه (مقدمة في المدخل إلى علم الكلام) ، كما أشار هو إلى ذلك في الفهرست ص ١٦١[(٤)] .

٦ ـ كتاب ما لا يسع المكلف الإخلال به[(٥)] .

٧ ـ ما يعلّل وما لا يعلّل :[(٦)] ذكره هو في الفهرست ص ١٦١ .

٨ ـ المسائل في الفرق بين النبي والإمام : ذكرها في الفهرست ص ١٦١ .

٩ ـ المسائل الرازية في الوعيد : وهي خمس عشرة مسألة ، وردت من الري إلى

(١) الرفاعي ، عبد الجبار ، معجم المطبوعات العربية في إيران . طهران : وزارة الثقافة والإرشاد ، ص١٢٦ .
(٢) ن .م ، ص١٣٥ .
(٣) ن .م ، ص١٣٥ .
(٤) النجاشي . مصدر سابق . ص ٤٠٣ .
(٥) النجاشي . مصدر سابق . ص ٤٠٣ .
(٦) ن .م ، ص٤٠٣ .

أستاذه الشريف المرتضى فأجاب عليها ، وأجاب عليها الشيخ الطوسي أيضاً ، ذكرها في الفهرست ص١٦١ .

١٠ ـ المفصح في الإمامة : طبع في قم بتحقيق الشيخ رضا استادي[(١)] .

١١ ـ مقدمة في المدخل إلى علم الكلام : وصفها في الفهرست ص١٦١ بقوله : «لم يعمل مثلها» طُبعت في قم بتصحيح : محمد تقي دانش پژوه[(٢)] .

هذا ما وقفنا عليه من التراث الكلامي للشيخ الطوسي ، وهو تراث ليس بقليل ، لا سيما إذا وضعناه بمحاذاة ما أتحفنا به الشيخ من آثار خالدة متنوعة في شتى مناحي المعارف الإسلامية .

مدرسة النجف بعد الشيخ الطوسي:

في ليلة الاثنين الثاني والعشرين من المحرم سنة ٤٦٠هـ انطفأ النور ، الذي تدفق مدة اثنتي عشرة سنة في النجف الأشرف ، وازدلفت إليه العلماء والطلاب ، تقتبس من فيوضاته الكريمة ، وأجفلت بغيابه هذه الأكاديمية الفتية ، فاهتزت أركانها ، وبدا للناظر غور مائها ، واضمحلال حياتها يوماً بعد يوم أثر غيابه ، وإن كان مَنْ خلفوه من تلامذته ، وعلى رأسهم ولده الشيخ أبو علي الحسن ، قد حاولوا مواصلة الطريق ، وحراسة حوزة أستاذهم ، لكن مقام الشيخ الطوسي وموسوعيته وغزارة إنتاجه ، أتعبت تلامذته عن تقصّي أثره واللحاق به .

وكان الشيخ أبو علي الحسن بن أبي جعفر الطوسي من أبرز تلامذة أبيه الذين استوعبوا تراثه وامتدت بهم مدرسته ، فقد (صار فقيه الشيعة وإمامهم بمشهد علي رضي الله عنه) بعد غياب أبيه بحسب ما وصفه ابن حجر العسقلاني[(٣)] .

وتشير بعض القرائن التاريخية إلى بقائه حياً حتى سنة ٥١٥هـ[(٤)] ، وبعد وفاته تعهد عمادة مدرسة النجف الأشرف ولده الشيخ أبو نصر محمد بن أبي علي الحسن ابن أبي جعفر محمد الطوسي ، الذي عزز المركز العلمي للنجف فازدلفت إليه طلاب

---

(١) الرفاعي ، عبد الجبار . مصدر سابق . ص ١٦٥ .

(٢) ن .م ، ص١٦٦ .

(٣) ابن حجر العسقلاني . لسان الميزان . ج٢ : ص٢٥٠ .

(٤) الطهراني ، الشيخ آغا بزرك : . مصدر سابق . ص٥٨ .

العلوم الشرعية من مختلف نواحي العراق ، كما أكد ذلك ابن العماد الحنبلي في ترجمته له في حوادث سنة أربعين وخمسمائة بقوله :

(وفيها أبو الحسن محمد بن الحسن أبي علي بن أبي جعفر الطوسي ، شيخ الشيعة وعالمهم ، وابن شيخهم وعالمهم ، رحلت إليه طوائف الشيعة من كل جانب إلى العراق ، وحملوا إليه ، وكان ورعاً عالماً كثير الزهد ، وأثنى عليه السمعاني . وقال العماد الطبري : لو جازت على غير الأنبياء صلاة صليت عليه)[١] .

وقد ظل هذا الشيخ قيّماً على مدرسة جده حتى توفي عام ٥٤٠هـ ، وبوفاته طويت صفحة مشرقة من تاريخ ازدهار الدرس الشرعي في النجف الأشرف ، استمرت ما يقارب القرن من الزمان (٤٤٨ ـ ٥٤٠هـ) ، انتظم فيها عدد كبير من التلاميذ في حلقات الدرس ، وأضحت منطلقاً لتأسيس مدارس جديدة عند الشيعة الإمامية في الفترة التالية ، كانت أعظمها مدرسة الحلة التي اضطلع ـ بإرساء قواعدها العلامة الشهير محمد بن إدريس الحليّ صاحب «السرائر» المولود سنة ٥٤٣هـ ، والمنتسب إلى شيخ الطائفة الطوسي من جهة الأم .

ولا يمكن الجزم أن مدرسة النجف توقفت تماماً في العصر اللاحق ، لوجود إشارات في بعض الكتب المؤلفة آنذاك من كتب التراجم وغيرها تنص على تحرير بعض إجازات الرواية في المشهد الغروي المقدس[٢] ، مما يدلل على امتداد الحركة العلمية في مدرسة النجف ، وإن كانت بصورة محدودة .

بيد أنه لا يلوح لنا أثرٌ مهم في المعقول والعرفان كانتاج لهذه المدرسة بعد شيخ الطائفة الطوسي حتى النصف الثاني من القرن الثامن الهجري ، عندما حط رحاله في النجف السيد حيدر بن تاج الدين علي پادشاه الآملي أبرز مؤسسي الحكمة العرفانية عند الإمامية بعد أن طاف عدة بلدان في رحلة علمية تواصلت من بداية حياته (إلى مدة ثلاثين سنة أو قريب منها)[٣] كما حكى لنا هو ذلك في حديثه عن نفسه وبيان حاله من ابتداء مراحل السلوك إلى حين الوصول ، وما ارتسم من معالم تجربته الروحية ، وتلقيه للعلوم اللدنية دون الكسبية في نهاية المطاف ، حيث يقول :

---

(١) ن.م ، ص٥٩ . عن : شذرات الذهب في أخبار من ذهب . ج٤ : ص١٢٦ ـ ١٢٧ .

(٢) أورد هذه الإشارات الشيخ الطهراني في : طبقات أعلام الشيعة . القرن السادس والسابع والثامن .

(٣) الآملي ، السيد حيدر . تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم . بتحقيق : السيد محسن الموسوي التبريزي . طهران : وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، ط١ ,١٤١٤هـ ، ج١ ، ص٥٢٩ .

(وبالجملة حتى بعد مدة وصلت إلى بغداد بطريق آخر ، وزرت المشاهد المقدسة من مشهد أمير المؤمنين علي (ع) ، ومشهد الحسين ، وموسى والجواد ، وسُرمَنْ رأى (ع) وجاورتهم سنة كاملة ، ثم توجهت إلى الكعبة بقصد الحج مجرداً فقيراً مع عدم التمكن الصوري ، وزرت الرسول (ص) والأئمة الأربعة بالمدينة ، ورجعت إلى العراق وسكنت المشهد المقدس الغروي سلام الله على مشرفه ، واشتغلت بالرياضة والخلوة والطاعة والعبادة ، وطلب العلوم الحقيقية اللدنية الإرثية دون الكسبية التعليمية ، ولم يكن هناك أحد يعرف هذا القسم ، وكان هناك شخص عارف كامل خامل الذكر بين الناس ، ولي من أولياء الله ، اسمه عبد الرحمن القدسي ، فقرأت عليه أولاً كتاب منازل السائرين مع شرحه ، ثم كتاب فصوص الحكم مع شرحه ، ثم رسائل أُخر ، ومضى على هذا زمان وكُشف لي ببركة هذا وببركة المجاورة ، والتوجه إلى حضرة الحق وحضرة الأئمة (ع) ، أكثر كُتب التصوف من المطولات والمختصرات ، وكتبت عليها شروحاً وحواشي كما ذكرت في صدر هذا الكتاب - يعني تفسير المحيط الأعظم - مفصلاً ، وصنفت بعد ذلك الكتب المذكورة في الفهرست وهي قريبة إلى عشرين أو أربعة وعشرين كتاباً ، وذلك في مدة أربع وعشرين سنة ، وكان آخر تلك الكتب هذا التأويل - أي تفسير المحيط الأعظم)[1] .

يؤرخ السيد حيدر الآملي في هذا النص لأخصب مرحلة من مراحل الانتاج الغزير في حياته ، وهي المرحلة التي بدأت مع هجرته إلى النجف الأشرف وتلمذه على القدسي ومجاورته لقبر أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان ذلك في سنة إحدى وخمسين وسبعمائة من الهجرة[2] ، فقد استلهم مؤلفاته من بركات تلمُّذه على الولي عبد الرحمن القدسي ، ومجاورة المشهد الغروي المقدس في النجف ، وقد عبر عن تدفق الفيوضات على قلبه بحيث أضحى (المشهد المقدس الغروي الذي هو مشهد مولانا وسيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، موجب الفتح للفتوحات الغيبية على قلبي إجمالاً ، ثم تفصيلاً . . . ففاض على قلبي من الله تعالى ومن حضراته الغيبية في هذه المدة ، غير ما قلته من «تأويل القرآن» و«شرح الفصوص» ، من المعاني والمعارف والحقائق والدقائق التي لا يمكن تفصيلها بوجه من الوجوه ، لأنها من كلمات

---

(١) ن .م ، ص٥٣١ .

(٢) الآملي ، السيد حيدر . المقدمات من كتاب نص النصوص . تصحيح : هنري كربين وعثمان يحيى . طهران : انتشارات طوس ، ١٣٦٧ش ، ص٥٣٦ .

الله الغير القابلة للحصر والعد والانتهاء والانقطاع)[١] . ومكث الآملي في النجف مجاوراً بالمشهد المقدس ما يزيد على ثلاثين سنة ، كما أشار لذلك في شرحه لفصوص الحكم قائلاً : (فشرعت في شرحه . . . وهذا كان بعد مجاورتي بالمشهد المقدس ثلاثين سنة على الوجه المذكور . وكان ابتدائي فيه سنة إحدى وثمانين وسبع مائة من الهجرة ، والانتهاء منه سنة اثنتين وثمانين وسبع مائة)[٢] .

وفي هذا الضوء يمكن القول إن النصف الثاني من القرن الثامن شهد ازدهاراً مجدداً في مدرسة النجف ، أتيح لها معه هذه المرة أن تساهم بفعالية مشهودة في تأسيس الحكمة العرفانية عند الإمامية على يد السيد حيدر الآملي ، وربما كان عبد الرحمن القدسي أستاذ الآملي صاحب الحظ الأوفر في ذلك ، وإن كنا لا نعرف الكثير عن حياته ، لكن يمكن معرفة ما بلغه هذا الرجل من موقع علمي شامخ في هذا الفن من خلال تصديه لتدريس أدق المتون العرفانية ، وما شهد به تلميذه الآملي بما أفاضه عليه من معارف .

لقد كان للقدسي دور أساسي في توجيه الآملي وتيسير مباحث العرفاء له وإعداده لمهمة غير عادية سيضطلع فيها لاحقاً بإنجاز طائفة من أهم مؤلفات الحكمة العرفانية الأولى في التراث الإمامي ، وهذا ما يتجلى لنا بوضوح في إجازته لتلميذه الآملي التي جاء فيها :

(أما بعد ، فقد قرأ عليّ السيد الإمام الهمام ، العالم الكامل ، قطب الموحدين ، زبدة المتبحرين ، كهف الحاج والمعتمرين ، المخصوص بعناية رب العالمين ، السيد ركن الحق والملة والدين حيدر بن تاج الدين علي بادشاه الحسيني الآملي آدام الله ظله ، كتاب فصوص الحكم لمحيي الدين بن العربي قدس الله سره مع شرح للقيصري ، وكتاب منازل السائرين للشيخ أبي إسماعيل الهروي رحمة الله عليه مع شرح لعفيف الدين التلمساني رحمة الله عليه ، قراءة مرضية ، تشهد بفضله وفطنته ، وكان استفادتي منه أكثر من إفادتي له ، وكان ذلك بالمشهد الغروي سلام الله على مشرفه ، سلخ رجب المرجب من سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة . وكتب الفقير إلى الله تعالى عبد الرحمن ابن أحمد القدسي تجاوز الله عن سيئاته)[٣] .

---

(١) ن .م ، ص٥٣٤ ، ٥٣٦ .
(٢) ن .م . ، ص٥٣٧ .
(٣) ن .م ، ص٥٣٥ .

استطاع السيد حيدر الآملي أن يكتب ما مجموعه ستة وعشرين كتاباً ورسالة ، تنتظم بمجموعها في محاولة لإعادة تدوين الحكمة العرفانية لمن سبقه ، لا سيما الشيخ محيي الدين بن العربي ، في إطار تأويل تراث أهل البيت عليهم السلام ، وتأويل القرآن الكريم الذي تمثل في كتابه الموسوم بـ«المحيط الأعظم والطود الأشم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم» ، والذي رتبه كما ذكر : (على سبعة مجلدات كبار ، بإزاء تأويل الشيخ الأعظم نجم الدين الرازي المعروف بـ«دايه» ، فإنه رتّب كتابه على ستة مجلدات كبار ، بعد تسميته بـ«بحر الحقائق ومنبع الدقائق» ، ونحن أردنا أن يكون لنا تفسير على قرنه من كل الوجوه ، وبمقتضى الحديث الوارد فيه أيضاً : «إن للقرآن ظهراً وبطناً ، ولبطنه بطناً ، إلى سبعة أبطن» ، وبمقتضى اشتماله أي القرآن الكريم على السبعات المعلومة ، وغير ذلك مما أوجب ترتيبه عليها)(١) .

وتعتبر محاولة الآملي هذه أول أوسع محاولة لترسيخ المنحى التأويلي في التراث الإمامي ، وقد مهّد هذا المنحى لولادة اتجاه متميز بعد أقل من قرنين ، ثم تعاظم دور هذا الاتجاه لدى الشيعة الإمامية بمرور الزمان ، ولم تجهضه الردود المتنوعة التي أطلقها المحدثون والفقهاء والمتكلمون من علماء الإمامية ، الذين أصر الكثير منهم على شجب هذا المنهج في تفسير القرآن الكريم ، وفهم المأثور عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم . وبغض النظر عن مدى صحة هذا المنهج وصواب المنحى الذي تدور حوله أعمال الآملي ، ودقة تعبيره عن هدى الوحي الإلهي . فإنه يمكن اعتبار (الانتاج العقلي لشيخ آمل ، السيد حيدر بن علي بن حيدر العلوي الحسيني ، من قمم التفكير الإسلامي في القرن الثامن للهجرة . فمؤلفاته التي حفظها لنا الزمن وأمكن الاطلاع على بعضها ، تصور نضوج الحكمة العرفانية في الإسلام ، وانتظامها سائر النشاط الفكري والديني على السواء)(٢) .

إن الفضاء الذي انتشرت في آفاقه الآثار التي تركها الآملي جغرافياً وزمنياً ، ارتسم فيه الدور التأسيسي لبيئة النجف ، في إثراء التجربة الروحية عند الإمامية ، ذلك أن مدرسة النجف لم يغر ماؤها بعد ارتحال الفقه والحديث إلى الحلة ، وإنما أتمت عملها

---

(١) الآملي ، السيد حيدر . المقدمات من كتاب نص النصوص . ص ١٢ .

(٢) الآملي ، السيد حيدر . جامع الأسرار ومنبع الأنوار . تصحيح : هنري كربين وعثمان يحيى . طهران : شركت انتشارات علمي وفرهنكي ، ١٣٦٨ش ، ص١ (من تصدير عثمان يحيى) .

باستئناف مهمة جديدة لم تتعهدها الحلة ولا أية مدرسة لعلوم الدين عند الإمامية آنذاك ، فأزاحت ما تكدس من الحُجب والكدورات في عالم الظاهر ، وغطست بعيداً تغور نحو الباطن ، متدلية من الشريعة إلى الطريقة لتكتشف في نهاية المطاف الحقيقة فتصل إلى ملاذها المفقود . لأن (الشريعة والطريقة والحقيقة ، أسماء مترادفة الدلالة على حقيقة واحدة ، التي هي حقيقة الشرع المحمدي باعتبارات مختلفة ، وليس بين هذه المراتب مغايرة أصلاً في الحقيقة ، لأن الشرع كاللوزة مثلاً المشتملة على القشر ، واللبّ ، ولبّ اللبّ ، فالقشر كالشريعة الظاهرة ، واللبّ كالطريقة الباطنة ، ولبّ اللبّ كالحقيقة الباطنة للباطن ، واللوزة جامعة للكل ، كما قيل في الصلوات ومراتبها المترتبة عليها : الصلاة خدمة وقربة ووصلة ، فالخدمة هي الشريعة ، والقربة هي الطريقة ، والوصلة هي الحقيقة ، واسم الصلاة جامع للكل . وقيل أيضاً : الشريعة أن تعبده ، والطريقة أن تقوم بأمره ، والحقيقة أن تقوم به)[١] .

إن تبلور هذا المنحى في مسار الفكر الشيعي ، تسبب في تداعي تفسيرات واستفهامات مختلفة ، كانت تنثال عبر عدة قرون حتى عصرنا الراهن ، وهي بمجموعها وان لم تصدر عن رؤية واحدة ، لكنها تتوحد في تفكيك عناصر الفكر الشيعي وإحالة بعضها إلى ثقافات اخرى خارج البيئة الإسلامية . وقد راح ضحية هذا المنهج ذي النظرة الأحادية في قراءة الموروث الإسلامي عند الشيعة مكونات أساسية في هذا الموروث ، عندما اختزل بعضهم التشيع بنزعة غنوصية باطنية ظهرت في الإسلام ،مثلما هو الحال في بعض الاتجاهات الشاذة والمنحرفة في التاريخ الإسلامي ، فيما حاول آخرون أن يطابقوا بين التشيع والتصوف ، أو النظر إليه باعتباره نظاماً عرفانياً ليس إلا[٢] . وذهب عن هؤلاء أن التشيع تجلى في البرهان والبيان والعرفان ، فهو (وجهة نظر تجلّت في مختلف فروع الثقافة الإسلامية ومجالاتها ، في الفقه والحديث ، وفي التفسير والكلام ، وفي التصوف والفلسفة ، ولذا فإنه من الخطأ أن ينظر إلى التشيع أو إلى التسنن بوصفهما نظامين عرفانيين لا غير ، ففي التشيع ـ كما في التسنن ـ بيان وعرفان وبرهان إذا كان لنا أن نأخذ بمصطلحات الجابري ، وليس العرفان حكراً على الشيعة من دون أهل السنة)[٣] .

---

(١) الآملي ، السيد حيدر . تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم . ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨ .

(٢) ذهب إلى ذلك بعض المفكرين العرب المعاصرين كالدكتور محمد عابد الجابري في ثلاثيته «نقد العقل العربي» ، وغيره .

(٣) حرب ، علي . مداخلات . بيروت : دار الحداثة ، ص١٧ .

إن القراءة الموضوعية لتراث الشيعة الإمامية ، تقضي أن نلاحظ مكونات هذا التراث بمجموعها كمنظومة متواشجة متسقة يتمم بعضها بعضاً ، ويغذي بعضها البعض الآخر ، تتعانق كلها في تأليف هذا التراث ، ولا ينفي أحدها الآخر ، فلا يصح أن نضحي بالعقل لصالح المضمون الروحي ولا العكس ، وبهذه الرؤية سنجد الحكمة العرفانية للتشيع ليست إلاّ تعبيراً عميقاً عن الثراء الروحي في الإسلام ، وحينئذ سنعرف أن (للشيعة أكبر الفضل في إغناء المضمون الروحي للإسلام ، وإشاعة الحياة الخصبة القوية العنيفة ، التي وهبت هذا الدين البقاء قوياً غنياً قادراً على إشباع النوازع الروحيّة للنفوس ، حتى أشدّها تمرداً وقلقاً . . . ومن الغريب أن الباحثين لم يوجهوا عناية كافية إلى هذه الناحية ، ناحية الدور الروحي في تشكيل مضمون العقيدة ، الذي قامت به الشيعة ، والعلة في هذا أن الجانب السياسي في الشيعة هو الذي لفت الأنظار أكثر من بقية الجوانب ، مع أنه ليس إلاّ واحداً منها)[(١)] .

تراث المعقول في النجف بعد القرن الثامن:

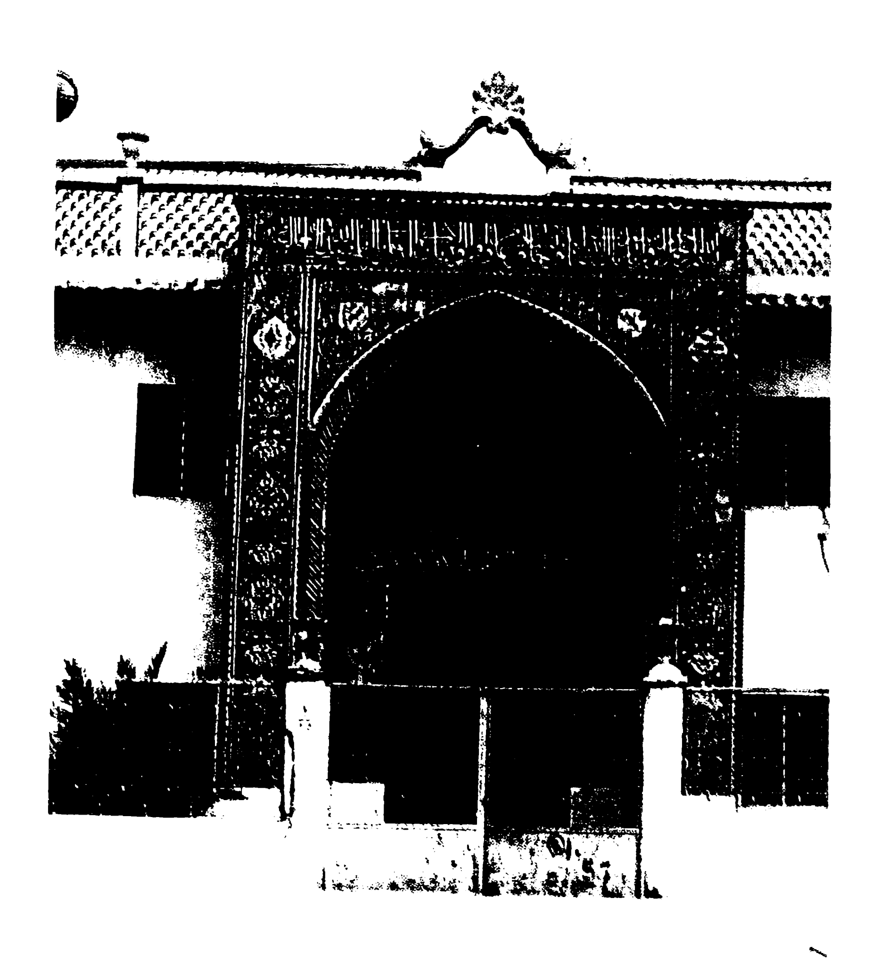
لا تتوفر لدينا معلومات كافية تفصح عن مسار مدرسة النجف في القرون التالية للقرن الثامن الهجري ، لنعرف مَنْ الذي خلفه السيد حيدر الآملي هناك لتعليم حكمته العرفانية ، ولكن نستطيع أن نطمئن إلى أن هذه المدرسة لم تنطفىء تماماً في العصور اللاحقة ، وإن اضمحل دورها كثيراً بعد ظهور مراكز أخرى عند الإمامية شاع فيها تعاطي المعقول والحكمة العرفانية خاصة ، كما نجد ذلك في شيراز وأصفهان . . . وغيرها . إلاّ أن هذا الضمور لم يستمر أكثر من ثلاثة قرون ، بعد أن استعادت مدرسة النجف دورها من جديد على يد متألهين كبار كالمولى حسينقُلي الهمداني ، وغيره كما سنُشير لذلك لاحقاً .

وإن كانت مدرسة النجف الأشرف لم تُقفر تماماً من تعاطي دراسة المعقول والتأليف فيه في القرن التاسع الهجري ، فمثلاً مكثَ الفيلسوف المعروف جلال الدين الدواني المتوفى سنة ٩٠٧هـ لفترة هناك عقيب زيارته لأمير المؤمنين عليه السلام قرأ عليه فيها الفقيه حسن الفتال النجفي كتاب «حكمة الإشراق» للسهروردي ، وألف كتابه «الزوراء» هناك ، الذي جمع فيه بين الحكمة البحتة والذوقية في طريق إثبات الواجب[(٢)] .

---

(١) بدوي ، د . عبد الرحمن . شخصيات قلقة في الإسلام . القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٦٤م ، ص٢ .

(٢) الطهراني ، آغا بزرك . الضياء اللامع في القرن التاسع . تحقيق : علي نقي منزوي ، طهران : جامعة طهران ، ص٣٨ . والذريعة ١٢ : ٦٣ .



مدرسة البغدادي في ساحة ثورة العشرين

وفي القرن العاشر يمكن أن نعثر على مظاهر حركة ونشاط واضح في دراسة المعقول والتصنيف فيه في مدرسة النجف ، فمثلاً كان الملا عبدالله اليزدي المتوفى سنة ٩٨١هـ أحد الأساتذة المعروفين وقتئذ في هذا الفن في النجف ، وكان الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني «صاحب كتاب معالم الدين» ، والسيد محمد بن السيد أبو الحسن الموسوي العاملي «صاحب كتاب المدارك» ممن قرأ عليه المعقول فيها[١] ، مضافاً إلى أنه ترك مؤلفات عديدة في هذا الفن من أشهرها الكتاب المعروف في الحوزات العلمية بـ«حاشية ملا عبدالله» ، وهي حاشية على كتاب «التهذيب» في المنطق للتفتازاني ، فرغ منها في أواخر ذي القعدة ٩٦٧هـ في المشهد الغروي المقدس[٢] ، وأصبحت منذ ذلك الحين حتى اليوم منهجاً متعارفاً للمبتدئين في دراسة المنطق في الحوزات العلمية .

ومن آثاره الأخرى «حاشية على شرح الشمسية» ، وهي حاشية على الحاشية القديمة للدواني على شرح الشمسية وعلى حاشية السيد على شرح الشمسية في المنطق ، و«شرح العجالة» وهو حاشية على حاشية الدواني أيضاً على تهذيب المنطق ، و«حاشية على الحاشية القديمة الجلالية على الشرح الجديد للتجريد» ، و«حاشية على الحاشية القديمة الجلالية على شرح المطالع» ، و«شرح فارسي لتهذيب المنطق» ، و«حاشية على بحث الموضوع من تهذيب المنطق» ، و«حاشية على مبحث الجواهر من شرح التجريد» ، . . . وغيرها[٣] .

وبعد وفاة الملا عبدالله اليزدي عُرِف الأمير فيض الله الحسيني النجفي (كان حياً سنة ١٠١٣هـ) من المهتمين بالمعقول ، حيث كانت له «تعليقات على إلهيات شرح التجريد»[٤] . ولكن بعد أكثر من قرن من هذا التاريخ ، أي في القرن الثاني عشر يظهر في النجف حكيم متكلم خبير في معظم الفنون ، وهو الشيخ محمد مهدي بن أبي ذر النراقي (١١٢٨ ـ ١٢٠٩هـ) الذي يترك أثاراً هامة في الفقه ، والأصول ، والأخلاق ،

---

(١) حرز الدين ، محمد . معارف الرجال من تراجم العلماء والأدباء . قم : مكتبة السيد المرعشي النجفي ، ١٤٠٥هـ ، ج٢ : ص٦ .

(٢) ن .م ، ص٧ .

(٣) آل محبوبة ، الشيخ جعفر . ماضي النجف وحاضرها . بيروت : دار الأضواء ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م ، ج٣ : ص٣٨٦ .

(٤) الأميني ، د . محمد هادي . معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام . بيروت : ط٢ ، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م ، مج١ : ص٣٠٩ .

والهيئة ، فإن آثاره في المعقول كانت من أهم مؤلفات المعقول التي أنجزتها الحوزة العلمية في النجف آنذاك ، وقد عُرِف منها «شرح الإلهيات من كتاب الشفاء» ، و«جامع الأفكار في الإلهيات» ، و«قرة العيون في أحكام الوجود» ، و«اللمعات العرشية في حكمة الإشراق» ، و«اللمعة» وهو مختصر اللمعات ، و«الكلمات الوجيزة» وهو مختصر اللمعات ، و«أنيس الموحدين» وهو من أواخر تصنيفاته في المعقول ، لم يتم إلاّ نبذ من الأمور العامة والطبيعيات منه ، . . . وغيرها(١) .

كذلك ظهر في هذا القرن عالم آخر من تلامذة السيد مهدي بحر العلوم ، وهو محمد بن علي بن محمد بن محمد حسين المتوفى سنة ١٢٢٠هـ ، كان له اهتمام بارز بالحكمة والكلام ، وأنجز بعض الآثار في ذلك ، منها «تحفة الأنام في شرح منظومة الكلام» و«منظومة في الكلام»(٢) .

ومنذ منتصف القرن الثالث عشر تنامت مظاهر الاهتمام بالمعقول في مدرسة النجف الأشرف ، ودب النشاط بالتدريج في دراسته والتأليف فيه ، كما يتبدى لنا من بعض المؤلفات التي صنفها أعلام هذه الفترة ، فمثلاً كتب يعقوب البارفروشي المازندراني المتوفى بعد سنة ١٢٧٤هـ «حاشية على الأسفار»(٣) ، كذلك صنف محمد حسين اليزدي الأردستاني المتوفى سنة ١٢٧٣هـ مجموعة مؤلفات في المعقول منها «القسطاس المستقيم في المنطق» و«المكيال القويم في الميزان» و«تعليقة على حاشية ملا عبدالله على التهذيب»(٤) . وذهب البعض إلى أن ما تضمنه كتاب «جواهر الكلام» مما يتعلق بالعلوم العقلية هو من إنجاز الملا باقر التركي النجفي المتوفى سنة ١٢٧٣هـ ، الذي كان بارعاً في العلوم العقلية والرياضية ، وكان من خاصة الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر(٥) .

وممن عاشوا في هذه الفترة محمد حرز الدين (١١٩٣ ـ ١٢٧٧هـ) ، وقد اشتهر

---

(١) النراقي ، ملا مهدي . شرح الإلهيات من كتاب الشفاء . باهتمام : د . مهدي محقق . طهران : ١٣٦٥ش ، ص٢٥ .

(٢) الأميني ، محمد هادي . مصدر سابق . ج٢ : ص٦٤١ .

(٣) م .س ، ٣ : ١١٣٨ .

(٤) م .س ، ١ : ١٠٤ .

(٥) حرز الدين ، محمد . معارف الرجال . ج١ : ص١٢٥ ـ ١٢٦ .

ببراعته في المنطق ، ومن آثاره في ذلك «حاشية في المنطق» و«شرح الشمسية» لقطب الدين الرازي[١] .

وممن امتاز في هذه الفترة بخبرة في المنطق والعلوم العقلية موسى الأحسائي الهجري الفلاحي (١٢٣٩ ـ ١٢٨٩هـ) ، الذي ألف منظومة في المنطق أسماها «الباكورة» طبعت في النجف الأشرف سنة ١٣٢٩هـ[٢] .

وكان محمد تقي الگلبايگاني النجفي (١٢١٨ ـ ١٢٩٨هـ) من أعلام هذه الفترة المحققين في الفلسفة والكلام ، وله بعض الآثار في ذلك ، منها «منتخب شرح الهداية» و«شرح أصول الكافي» و«رسالة في علم الكلام»[٣] .

أدوار مدرسة النجف الفلسفية:

بعد تطوافنا عبر عدة قرون في أرجاء مدرسة النجف العقلية ، ووقوفنا على بعض آثار أعلامها في المعقول ، يلوح لنا أن الاهتمام بالمعقول اقترن بالاهتمام بالرياضيات ، والهيئة ، والطب ، والكيمياء . . . وغيرها مما يشتمل عليه التراث العلمي ، بيد أن هذه الاهتمامات كانت تدور في نسق مناهج البحث المتداولة في التراث ، ولم يُقَدَّر لها أن تتواصل مع حركة تطور الاكتشافات العلمية الواسعة في حقل الطبيعة في أوروبا وقتئذ ، كيما تفيد من أدوات وأساليب البحث العلمي الجديدة . وهذا يعود لعدة أسباب ، من أهمها أن النجف حاضرة تُعنى بالدرس الشرعي ، وإن كانت دائرة هذا الدرس تمتد عند القدماء لتستوعب شيئاً من مساحة التراث العلمي ، فضلاً عن افتقار الدارس للمعرفة باللغات الأوروبية ، وبدائية وسائل الاتصال آنئذ بين البلدان .

أما في حقل المعقول فأوضح ما نراه في تلك القرون ، هو شيوع دراسة المنطق وعلم الكلام والتأليف فيهما ، بينما لا نعثر إلاّ على تجارب محدودة في التأليف والدراسة في الفلسفة والعرفان ، خلافاً لما نراه في القرن الرابع عشر الهجري ، فإن الدور الجديد لمدرسة النجف الفلسفية بدأ بالعرفان مع المولى حسينقلي الهمداني ، وان كان البُعد النظري في هذا العرفان ظل متوارياً لدى الهمداني وتلامذته وراء تجربتهم الصارمة في الارتياض الروحي .

---

(١) الأميني ، محمد هادي . مصدر سابق . ج١ : ص٤٠٦ .

(٢) حرز الدين ، محمد . مصدر سابق . ج٣ : ص٤١ ـ ٤٤ .

(٣) م .س ، ج٢ : ص٢١١ ـ ٢١٣ .

ثم تبدت بالتدريج مظاهر الاهتمام بالفلسفة ، وبرز الوجه النظري للعرفان بعد تعاطي دراسة متونه المشهورة ، واقترن في هذا الدور العرفان النظري بالفلسفة ، وبتعبير أدق تبلورت مناشط دارسي المعقول في النجف في النصف الأول من القرن الرابع عشر في مدرسة الحكمة المتعالية لصدر الدين الشيرازي ، ولما كان العرفان النظري ، خصوصاً تراث الشيخ محيي الدين بن عربي ، أحد المنابع الرئيسة التي استقى منها الشيرازي أسس مدرسته ، كان من اللازم العودة إلى تلك المنابع والإحاطة بمعالمها ، بموازة دراسة الحكمة المتعالية .

في هذا الضوء يمكن القول إن مدرسة النجف الفلسفية مرت بعدة أدوار ، نستطيع أن نحددها بما يلي :

الدور الأول:

ويبدأ هذا الدور بوفود الشيخ الطوسي إلى النجف وتأسيسه لمدرستها العلمية في العقد الخامس من القرن الخامس الهجري ، ويمتد بعد وفاة الطوسي سنة ٤٦٠هـ بامتداد تلامذته في هذه المدرسة .

وقد اتسم هذا الدور بالاهتمام بعلم الكلام وظهور عدة مؤلفات للشيخ الطوسي فيه .

الدور الثاني:

لا يمكن الجزم بتحديد تاريخ دقيق لبدء هذا الدور ، ولكن يعتبر النصف الثاني من القرن الثامن الهجري عصر ازدهار هذا المقطع من أدوار تطور الحكمة في مدرسة النجف ، ففي سنة ٧٥١هـ هبط السيد حيدر الآملي فيها ، ومكث فترة طويلة هناك ـ كما مرت الإشارة لذلك ـ تعلم فيها الحكمة العرفانية على يد شيخه عبد الله القدسي ، ثم عكف متفرغاً لتدوين أعماله ، التي ولدت في ثناياها الحكمة العرفانية عند الشيعة الإمامية .

ولذلك أضحى العرفان النظري أو الحكمة العرفانية هو السمة المميزة التي اتسم بها هذا الدور من أدوار مدرسة النجف الفلسفية . وقد تزامن ذلك مع نضوب الدرس الشرعي في مدرسة النجف ، وازدهار مدرسة الحلّة وظهور فقهاء كبار فيها ساهموا بإثراء الفقه الجعفري أفقياً ورأسياً ، كابن إدريس ، والمحقق الحلي ، والعلامة الحلي . . .

وغيرهم . وكان السيد حيدر الآملي تلّمذ على فخر المحققين في الدرس الشرعي بمدرسة الحلة قبل قدومه النجف . من هنا لم يسجل التاريخ بروز أسماء أخرى في مدرسة النجف واصلت تجربة الآملي في القرن التالي ، فلم يتجاوز دور الحكمة العرفانية القرن الثامن ، ولم يتمدد زمنياً على مدة طويلة ، لأننا لا نعرف سوى حيدر الآملي ، وقبله شيخه عبد الله القدسي الذي تحدث هو عنه ، من الأعلام المختصين بهذا الفن .

الدور الثالث:

لا تسعفنا المصادر المتوفرة بمعلومات توضح أحوال مدرسة النجف في القرن التاسع ، بيد أن هناك أكثر من دليل على حضور نشاط غير عادي لدراسة المعقول منذ القرن العاشر فيما بعد ، لمعت فيه بعض الأسماء المشار إليها فيما سبق .

وانصب اهتمام هؤلاء على تدريس المنطق والتأليف فيه ، مضافاً إلى علم الكلام ، والفلسفة أحياناً وأصبحت مشاغل الباحثين في المعقول في هذا الدور لا تقتصر على ذلك ، بل تقترن بالرياضيات ، والهيئة ، وأشياء أخرى تتعلق بالتراث العلمي ، مثل الطب وغيره أيضاً .

وزحف هذا الدور على القرون التالية للعاشر أيضاً ، فامتد ليشمل القرن الحادي عشر والثاني عشر ومعظم الثالث عشر .

الدور الرابع:

يبدأ هذا الدور في نهاية القرن الثالث عشر بحضور سلسلة من الأساتذة المتألهين في النجف الأشرف ، عُرفوا بالارتياض الروحي وتهذيب النفس ، وصاروا إثر بلوغهم مقامات متقدمة في مراتب الكمال على أعتاب مرحلة جديدة تزاوج فيها المعقول بالعرفان العملي ، بل تجلى العرفان العملي كصبغة خاصة تلونت فيها شخصيات مَنْ يتعاطون دراسة الحكمة .

ويمكن اعتبار السيد علي الشوشتري أول حلقة في هذه السلسلة ، فقد كان معاصراً للشيخ مرتضى الأنصاري ، وكان يتبادل معه حضور الدروس ، ففيما كان يحضر هو دروس الفقه والأصول عند الشيخ ، التزم الشيخ الأنصاري بحضور دروس السيد الشوشتري الأسبوعية في الأخلاق وتهذيب النفس .

وبعد ستة أشهر من وفاة الشيخ الأنصاري يلتحق به السيد علي الشوشتري ، بيدأنه قبل وفاته يكتب رسالة إلى حسينقُلي الهمداني يوعز له فيها بالتوجه نحو مقامات تهذيب النفس ويرشده إلى المنهج الرباني للسير والسلوك ، علماً بأن الهمداني كان من الذين استلهموا من نمير السيد الشوشتري قبل سنوات من وفاة الشيخ الأنصاري ، وبذلك أضحى الهمداني خليفته في مدرسته السلوكية ، وأفلح في تربية طائفة كبيرة من التلاميذ ، من أبرزهم الميرزا جواد الملكي التبريزي ، والسيد أحمد الكربلائي ، والسيد محمد سعيد الحبوبي ، والشيخ محمد البهاري . الذين امتدت وانتشرت بهم المدرسة السلوكية للمولى حسينقلي الهمداني بعد وفاته سنة ١٣١١هـ ، فمثلاً جاء بعد السيد أحمد الكربلائي تلميذه الميرزا علي القاضي التبريزي ، ومن بعد الأخير تلميذه العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي[(١)] .

وعلى هذا يمكن تحديد بداية الدور الرابع والأخير لمدرسة النجف الفلسفية بهبوط السيد الشوشتري وتلميذه المولى الهمداني في النجف ، وانشغالهم بالارتياض الروحي ، والدعوة لتهذيب النفس ، وتأكيدهم على تعليم الأخلاق والتربية السلوكية ، أما الجيل الذي جاء من بعدهم فبدأ يتعاطى تعليم الحكمة المتعالية مضافاً إلى مواصلة منحى تهذيب النفس والسير والسلوك السابق ، وبرز من جديد الاهتمام بالمتون المتعارفة للعرفان النظري بعد أن اختفى ذلك لقرون عديدة منذ نهاية القرن الثامن . ولأجل أن تتكشف لنا أبعاد الصورة التي تمخض عنها تطور الدرس الفلسفي في النجف ، نوجز فترات الدور الرابع والملامح المُميزة لكل فترة من هذه الفترات ، كما يلي :

١ ـ **الفترة الأولى** : كان العرفان العملي هو المنحى السائد في هذه الفترة ، حيث أشرنا إلى تمحور جهود الشوشتري وتلميذه الهمداني حول السير والسلوك ، وفي فضاء هذه المدرسة السلوكية تخرجت طائفة من معلمي الأخلاق والعرفان العملي المشهورين .

وفي هذه الفترة لا نجد حضوراً واضحاً لدراسة الفلسفة ومتون العرفان النظري ،

---

(١) الطهراني ، محمد حسين . رسالة لُبّ اللُّباب في سير سلوك أولي الألباب . ترجمة : عباس نور الدين . بيروت : دار التعارف للمطبوعات ، ١٤١٢هـ ، ص١٢٢ ـ ١٢٤ .

والمكوث سنوات عديدة في شرح عباراتها وتفكيك رموزها كما سيجري في الفترة التالية ، ومع خبرة المولى حسينقلي الهمداني العميقة في مدرسة الحكمة المتعالية التي تلقاها على يد ملا هادي السبزواري لكن انصب اهتمامه على التربية ، والتزكية ، ورسم برنامج السير إلى الله تعالى ، وبيان منازله .

٢ ـ الفترة الثانية : تواصلت عملية التربية والتزكية مع تلامذة الهمداني ، وانتشرت الدعوة لها زمانياً ومكانياً عبر هؤلاء التلاميذ وتلامذتهم ، وأصبحت تعاليمهم التربوية منهاجاً يهتدي به السائرون إلى الله تعالى ، بيد أن الدرس الفلسفي أخذ ينتشر ويتعاظم الاهتمام به في هذه الفترة ، وقد تبلور هذا الدرس في منهج محدد ، بعد أن مكث قروناً عديدة يتذبذب في غير نسق واحد ، فقد مر بنا أن هذا الدرس كان يطغى علم الكلام فيما تغيب الفلسفة في بعض أشواطه ، وفي شوط آخر يسود العرفان النظري فيما يغيب ما سواه ، وفي شوط ثالث يتذبذب الموقف بين خيارات متنوعة لا تمثل مدرسة بذاتها .

لقد اختطت المدرسة الفلسفية النجفية لنفسها مساراً تبنته في هذه الفترة ، تمثل في اتخاذ تراث صدر الدين الشيرازي ومدرسته الفلسفية «مدرسة الحكمة المتعالية» منهجاً للدرس الفلسفي ، مضافاً إلى شيء من تراث مدرسة الحكمة العرفانية لابن عربي .

ويعود تبني المدرسة الفلسفية في النجف لهذا المنهج إلى وفود بعض أساتذة الفلسفة من إيران مثل الشيخ محمد باقر الاصطهباناتي والسيد حسين البادكوبي ممن تلقوا ذلك على مجموعة من الأساتذة البارعين للحكمة المتعالية والعرفان النظري في طهران ، مثل : محمد رضا قمشي ، وعلي المدرس ، وأبو الحسن جلوه . . . وغيرهم . وكان هذا الاتجاه في دراسة المعقول قد شاع لدى دارسي الفلسفة في إيران قبل ذلك بفترة طويلة .

٣ ـ الفترة الثالثة : منذ منتصف القرن التاسع عشر جرت محاولات من قبل بعض الدارسين في العالم الإسلامي ، ممن ابتعثوا إلى أوروبا ، للتبشير بالفلسفة الأوروبية والدعوة إلى نقلها وتبني مناهجها ، وفي بداية القرن العشرين حاول بعض المترجمين نقل بعض المؤلفات الفلسفية للعربية والفارسية ، ثم اتسع نطاق عملية النقل بمرور الزمن ، وتأسست لأجلها مؤسسات ومراكز متخصصة ذات صبغة أكاديمية تُنفِق عليها

الجامعات ووزارات المعارف والتعليم العالي ، وسياسية تُنفق عليها بعض الأحزاب والفعاليات السياسية ، لا سيما الماركسية منها . فتمخض انتشار هذه الفلسفة وذيوع نظرياتها عن إرهاصات وإشكالات عقائدية وفكرية عمت مساحات واسعة من المثقفين والطلاب ، واخترقت أروقة الحوزات العلمية .

فوجد دارسو الفلسفة في الحوزة أنفسهم أمام تحد كبير لا يسعهم الوقوف منه موقف المتفرج ، لأنه سيلتهم إيمان الناس وخصوصاً الناشئة ، فاستجابت لهذا التحدي طائفة منهم ، وانكبوا على دراسة ما تُرجِمَ من الفلسفة الأوروبية والمادية منها بالذات ، ثم عملوا على تحليلها وتفكيك عناصرها الأساسية ونقدها والكشف عن ما تنطوي عليه من تهافت .

لقد أنجز الدرس الفلسفي في النجف في هذه الفترة وظيفة مزدوجة ، ففي الوقت الذي تواصلت فيه دراسة المتون التقليدية للحكمة المتعالية والعرفان النظري ، عُني بعض دارسي الفلسفة بدراسة الفلسفة المادية ونقدها ، عبر المؤلفات الكثيرة التي تناولت هذه المسألة ، بدءاً بمؤلفات الشيخ محمد جواد البلاغي ، والسيد محمد حسين الطباطبائي حتى مؤلفات السيد الشهيد محمد باقر الصدر .

ويعبارة أخرى كانت الفلسفة تجري عبر قناتين في الحوزة العلمية في النجف ، في القناة الأولى يستمر النسق التقليدي في الدرس الفلسفي ، فيما ترفد القناة الثانية الوعي العقائدي للمسلمين بعناصر القوة والثبات ، وتسلحه بمقومات الصمود والتحدي ، أي أنها كانت ذات وظيفة دفاعية وقائية من خلال قناتها الأخيرة .

وبلغت مدرسة المعقول في النجف ذروة تطورها وإبداعها في مشروع السيد الشهيد الصدر «الأسس المنطقية للاستقراء» الذي أنجز فيه اكتشاف وصياغة مذهب جديد في تفسير كيفية نمو المعرفة البشرية وتوالدها ، عبر عن اتجاه آخر في تفسير المعرفة ، غير ما كان معروفاً في المذهبين التجريبي والعقلي . وتعد ولادة هذا المذهب الذي اصطلح عليه الشهيد الصدر «المذهب الذاتي للمعرفة» أعظم إنجاز تمخض عنه الدرس الفلسفي في النجف في هذه الفترة ، وإن لم يكتشف ويعرف لدى الباحثين المختصين إلا بشكل محدود جداً حتى الآن .

وبكلمة أخرى إن هناك عدة ظواهر تميز بها هذا العصر من تأريخ مدرسة النجف الفلسفية ، من أبرزها :

أ ـ هيمنة الفكر الفلسفي لصدر الدين الشيرازي على حلقات الدرس الفلسفي ، وانبساط أفكاره الفلسفية على الحياة العقلية بكافة مناشطها ، وإزاحته لما تبقى من تعاطي لتراث المدرسة المشائية الفلسفي وغيره .

ب ـ بلغ التفاعل بين المنطق والفلسفة من جهة وأصول الفقه من جهة أخرى ذورته في هذا العصر ، وتجاوز كل العصور السابقة ، بعد أن انطبعت الحياة العقلية عند الشيعة بأفكار ومباني مدرسة الحكمة المتعالية للشيرازي ، التي تمازجت مع سائر حقول العلوم الشرعية بدرجات متفاوتة ، لكنها سجلت حضوراً في البحث الأصولي تفوق على درجة تواجدها في أي علم آخر ، و يمكن ملاحظة ذلك بوضوح منذ بداية المرحلة الحديثة في تطور علم الأصول التي افتتحها الشيخ مرتضى الأنصاري ، وانتهت إلى مديات قصوى على يد الشيخ محمد حسين الأصفهاني المعروف بالكمباني المتوفى سنة ١٣٦١هـ . هذا مضافاً إلى زحف المنطق والفلسفة على الفقه ، والتفسير ، بل قد نعثر على نفوذ لهما في علوم الحديث .

وهذا الاسراف في استعارة مفاهيم وقواعد المنطق والفلسفة واستخدامها في هذه العلوم ، لا يمكن أن يتخلص من أكثر من إشكالية منهجية ، تجعل التوسع في تداول تلك القواعد في علوم الشريعة مورداً لعدة أسئلة ، منها : إن بعض مفاهيم وقواعد المنطق والفلسفة ليست مورداً لقبول المختصين وإجماعهم على صحتها وصواب استخدامها ، فطالما وجدنا في قبال مباني أساسية مَنْ يقول بخلافها ، فبينما تبتني فلسفة الشيرازي على أصالة الوجود ، ينكر فلاسفة آخرون هذه المسألة ويلتزمون القول بأصالة الماهية . . . وهكذا في مسائل أخرى غيرها ، فكيف يصح اعتماد مثل هذه المسائل بهذا الشكل الواسع وبناء نظريات مهمة في أصول الفقه وغيره من العلوم الشرعية عليها؟ وهب أنها كانت صحيحة ومبرهنة ومورداً لإجماع الفلاسفة وعلماء المعقول ، فهل أن مجالها هو نفس مجال تلك العلوم ، أم أن استخدامها في حقل علوم الشريعة هو استخدام لأدوات معرفية خارج إطار حقلها الحقيقي؟

ج ـ التعرف على الفلسفة الأوروبية الحديثة ، واكتشاف مسالكها المادية ، وقد تمحور الاهتمام بالمذهب التجريبي والاتجاه المادي في هذه الفلسفة لمناقضتها للميتافيزيقيا

والإيمان بالغيب . ولم يقتصر الاهتمام على هذه الفلسفة بل تجاوزها إلى قراءة الآراء الجديدة في الفكر الغربي في العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية ، فكانت نظرية تطور الأحياء لعالم الأحياء البريطاني تشارلز دارون أحد أهم مشاغل المهتمين بالفكر الأوروبي الحديث في الحوزة العلمية في هذا العصر ، وتنادى غير واحد لنقضها والرد عليها ، كما نلاحظ ذلك لدى الشيخ محمد جواد البلاغي وغيره ، وكان السيد عبد الأعلى السبزواري آخر من كتب نقداً لهذه النظرية اشتمل عليه تفسيره «مواهب الرحمن»(١) .

كذلك طال الموقف النقدي آراء بعض علماء الاجتماع والاقتصاد الغربيين ، مثلما نرى في رد السيد محمد حسين الطباطبائي على رائد علم الاجتماع الغربي أوغست كونت في «الميزان» ورد السيد الشهيد الصدر على نظرية المادية التاريخية لكارل ماركس في «اقتصادنا» ، وغيرهم .

وتعود البواكير الأولى للتعرف على الفكر الغربي في الحوزة العلمية في النجف إلى مطلع القرن الرابع عشر الهجري ، حيث كانت تصل النجف وقتئذ بعض الدوريات المصرية مثل «المقتطف» و«الهلال» وغيرها ممن كانت تُعنى بترجمة بعض كتابات المفكرين الأوروبيين والكتابة عن آرائهم ، فاكتشف النجفيون تيارات الفكر الغربي بالتدريج عبر هذه القنوات .

د ـ ساهمت مدرسة النجف الفلسفية في هذا العصر بأعمال فلسفية أساسية اضطلعت بدور رائد في نقض الشبهات والإشكالات العقائدية ، وسعت لبيان رؤية كونية إيمانية مُبرهنة ، بُغية تحصين عقائد المسلمين من الانهيار أمام تلك الشبهات .

كذلك نهضت هذه المدرسة بإبداع جديد في منطق الاستقراء ـ كما أشرنا ـ انتقلت فيه دراسات المعقول فيها من حالة الشروح والحواشي ، بل والدفاع عن العقيدة ، إلى حالة تأسيس وصياغة إتجاه جديد في تفسير المعرفة البشرية وتوالدها .

---

(١) السبزواري ، السيد عبد الأعلى . مواهب الرحمن في تفسير القرآن . قم : مؤسسة المنار ، ١٤١٤هـ ، ج١ : ص٢٢١ ـ ٢٢٤ .

التفاعل بين الفلسفة والعلوم الشرعية

نعني بالعلوم الشرعية ما يشمل الفقه وأصول الفقه ، والتفسير وعلوم القرآن ، وعلوم الحديث التي تُدرَس في الحوزة العلمية ، فإن هذه العلوم تعرضت بمجموعها لاختراقات غير محدودة من العلوم العقلية ، ويبلغ تمازجها أحياناً بالمعقول أن صارت مركباً لا يمكن فرز عناصره المكونة بسهولة ، بل سنجد لو أمعنا النظر أن البُنية الأساسية لهذه العلوم تتواشج لبناتها طبقاً لمقولات العلوم العقلية لا سيما المنطق منها ، وتكاد تكون هذه المسألة قانوناً شاملاً ينبسط على تمام العلوم الشرعية المتعارفة في الحوزة العلمية ، ولا تشذ من ذلك حتى أعمال الاتجاهات المناوئة للمعقول ، التي دعت للتفكيك بين علوم الدين البحتة ومسائل المعقول . ففي مباحث أصول الفقه كما في مباحث الفقه والتفسير ، وربما علوم الحديث ، نعثر على مساحات تستنسخ البحث الفلسفي أحياناً ، عبر استعارة مفهوماته ومصطلحاته ، فتتأسس فيها المواقف في ضوء رؤية الفلسفة ، وإن كانت هذه المساحات تتفاوت سعة وضيقاً ، فربما استطالت مستوعبة الكثير من المباحث ، ونفذت في التفاصيل الجزئية ، عندما يكون الباحث من المهتمين بالشأن الفلسفي .

إن عملية رصد تغلغل البحث الفلسفي عند الفقهاء والأصوليين ، والمفسرين في النجف الأشرف تتطلب بحثاً واسعاً مستأنفاً ، لا يمكن أن نستوعبه في هذه الصفحات المحدودة ، بيد أن ذلك لا يمنعنا من الإشارة السريعة إلى نماذج من هنا وهناك تموضعت في مدونات مشهورة من التفسير وأصول الفقه مثلاً ، من خلال قراءة كتاب واحد أو أكثر والإشارة إلى ما اشتمل عليه من مباحث فلسفية .

البحث الفلسفي في تفسير القرآن

ربما لا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن أهم الآثار التفسيرية المتأخرة عند الشيعة الإمامية صنفها أعلام معروفون ممن تلمذوا في مدرسة النجف ، فلا يختلف اثنان في أن «الميزان في تفسير القرآن» الذي سطرته براعة العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ، هو أخصب وأعمق أثر في تراث التفسير عند الشيعة في هذا العصر . والطباطبائي أحد الأعلام الذين تخرجوا في مدرسة النجف ، فقد مكث فيها سنوات عديدة تلقى على أعلامها دراسة المنقول والمعقول حتى أصبح من أبرع أساتذة المعقول ، وتفرغ بعد هجرته من النجف لتدريس التفسير والحكمة والتأليف فيهما ، لذلك انبث البحث الفلسفي في غير موضع من تفسيره ، الذي التزم فيه كما قال : بتطبيق منهج تفسير القرآن بالقرآن واستيضاح معنى الآية من نظيرتها بالتدبر في نفس القرآن ، وتشخيص المصاديق والتعرف عليها من خلال الخواص التي تعطيها الآيات ، وأكد أنه اجتنب الركون إلى حجة نظرية فلسفية ، أو إلى فرضية علمية ، أو إلى مكاشفة عرفانية .

بيد أنه بادر إلى استنطاق الآيات القرآنية واستكشاف ما تنبىء عنه من مداليل فلسفية بديهية ، أو نظرية مُبرهنة في الحكمة الإلهية ، فأفرد لذلك بحوثاً مستقلة بموازاة تفسير بعض الآيات ، تحت عنوان «بحث فلسفي» تمثل بمجموعها توليفة تستوعب مهمات المسائل الفلسفية التي صاغتها مدرسة الحكمة المتعالية لصدر الدين الشيرازي ، ذلك أن الطباطبائي كغيره من أساتذة المعقول في المدة الأخيرة في الحوزات العلمية فإن معظمهم من أتباع هذه المدرسة الفلسفية ، التي استقت من تراث المعقول السابق لها ، فضلاً عن العرفان النظري ، والمنقول أيضاً .

وربما نلتقي بمصطلحات ورؤى هذه المدرسة خارج إطار البحوث الفلسفية الخاصة في الميزان حيث نعثر على رؤى تحيل إليها في البحوث «الاجتماعية» و«الأخلاقية» و«العلمية» المتناثرة في التفسير أحياناً . ولا يقتصر الأمر على ذلك وإنما يتجاوزه إلى تغلغلها ونفوذ مسائلها في مباحث التوحيد والعقيدة في الميزان .

ولكي تتضح هذه المسألة ، ويتجلى الفرق بين استنطاق القرآن وبين قراءته عبر المفاهيم القبلية فلسفية أو غيرها ،بيّن الطباطبائي (أن هناك فرقاً بين أن يقول الباحث عن معنى آية من الآيات : ماذا يقول القرآن؟ أو يقول : ماذا يجب أن نحمل عليه الآية؟ فإن القول الأول يوجب أن يُنسى كل أمر نظري عند البحث ، وأن يتكئ على ما ليس بنظري ، والثاني يوجب وضع النظريات في المسألة وتسليمها وبناء البحث عليها ، ومن المعلوم أن هذا النحو من البحث في الكلام ليس بحثاً عن معناه في نفسه)[١] .

واصطلح على المسلك الثاني في التفسير التطبيق ، واعتبر المتكلمين ضحية هذا المسلك (فقد دعتهم الأقوال المذهبية على اختلافها أن يسيروا في التفسير على ما يوافق مذاهبهم بأخذ ما وافق ، وتأويل ما خالف ، على حسب ما يجوّزه قول المذهب . . . وأما الفلاسفة فقد عرض لهم ما عرض للمتكلمين من المفسرين من الوقوع في ورطة التطبيق وتأويل الآيات المخالفة بظاهرها للمسلّمات في فنون الفلسفة بالمعنى الأعم ، أعني الرياضيات ، والطبيعيات ، والإلهيات ، والحكمة العملية ، وخاصة المشائين ، وقد تأولوا الآيات الواردة في حقائق ما وراء الطبيعة ، وآيات الخلقة ، وحدوث السماوات والأرض ، وآيات البرزخ ، وآيات المعاد ، حتى أنهم ارتكبوا التأويل في الآيات التي لا تلائم الفرضيات والأصول الموضوعة التي نجدها في العلم الطبيعي ، من نظام الأفلاك الكلية والجزئية وترتيب العناصر والأحكام الفلكية والعنصرية ، إلى غير ذلك ، مع أنهم نصوا على أن هذه الأنظار مُبتنية على أصول موضوعة لا بينة ولا مُبينة)[٢] .

واستطرد الطباطبائي في نقد مسالك المتصوفة ، والمحدثين ، وأصحاب النزعة العلمية الحديثة في التفسير ، واعتبر (الجميع مشتركة في نقص وبئس النقص ، وهو تحميل ما أنتجته الأبحاث العلمية أو الفلسفية من خارج على مداليل الآيات فتبدل به التفسير

(١) الطباطبائي ، السيد محمد حسين . الميزان في تفسير القرآن . بيروت : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م ، ج١ : ص٩ .
(٢) ن .م ، ص٩ ـ ١٠ .

تطبيقاً وسُمي به التطبيق تفسيراً ، وصارت بذلك حقائق من القرآن مجازات ، وتنزيل عدة من الآيات تأويلات)[١] .

تأسيساً على ما سبق من التحديد المنهجي الذي أفاده الطباطبائي بالتمييز بين التطبيق والتفسير ، وشجبه لما تورط به الكثير من المفسرين باستكشاف مداليل آيات القرآن في أفق أفكاره القبلية وإسقاط ثقافته الخاصة على النص ، فإن ما حفل به تفسيره من مباحث فلسفية لا تعبر عن قراءة للنص القرآني من منظور فلسفي ، وإنما هي محاولة لاقتناص مداليل فلسفية عبر إشعاعات هذا النص وتجلياته .

ومع هذه الصرامة المنهجية والتحديد الدقيق لمنهج تفسير القرآن بالقرآن ، ووفاء الطباطبائي لهذا المنهج وحرصه وتشدده على الالتزام به في تفسيره ، لكن لا يمكن الجزم بأنه أفلت من الوقوع بما حذّر منه ، ولم يخضع تحديد المدلول القرآني لديه للتطبيق ولا مرة واحدة ، لأن الموضوعية والتجرد التام والانفكاك من بصمات الرؤية الكونية والثقافة الخاصة في وعي الأشياء قد لا يكون بمقدور الباحث دائماً ، لا سيما في حقل العلوم الإنسانية ، لكن درجة النجاح التي أحرزها الطباطبائي في تفسير القرآن بالقرآن قد تفوق أي مفسر آخر فيما يبدو لي .

يمكن تصنيف البحوث الفلسفية المنبثة في تفسير الميزان بما يلي :

١ ـ العلم والإدراك .

٢ ـ العلة والمعلول .

٣ ـ التوحيد وصفاته وأسمائه تعالى .

٤ ـ مباحث العقيدة الأخرى .

٥ ـ الرد على المذاهب والاتجاهات الفلسفية والعقائدية الباطلة .

هذا تعداد لأهم المباحث والموضوعات الفلسفية أو التي تعانقت مع البحث الفلسفي في الميزان ، مع العلم أن مقولات ومسائل فلسفية عديدة أخرى غيرها تدفقت في هذا التفسير فتمازجت بمختلف المباحث ، بيد أن وتيرة حضورها كانت أدنى أفقياً ورأسياً مما ذُكر .

---

(١) ن.م ، ص١١ .

وسنذكر بعض النماذج كأمثلة لهذه الأقسام الخمسة ، لأن استقصاء تواجدها في الميزان يستلزم بحثاً واسعاً مستأنفاً .

١ ـ العلم والإدراك :

في سياق بحث الآيات الخمس الأول ، من سورة البقرة يختم صاحب الميزان تفسيره لهذا المقطع من السورة ببحثين فلسفيين :

الأول : نقد المذهب التجريبي .

والثاني : في بيان حقيقة العلم وتجرده .

وذلك بمناسبة حديث هذا المقطع القرآني عن ﴿**الذين يؤمنون بالغيب . . . وبالآخرة هم يوقنون**﴾ .

سنعود للحديث عن البحث الأول في حديثنا عن القسم الخامس ، أما الثاني فيقرر فيه الطباطبائي عدة مسائل ، منها :

أ ـ إن الإنسان إنما ينال الأعيان الخارجية للأشياء بواسطة العلم وليس مباشرة ، ويدلل على ذلك بأنه ربما يخطىء ويغلط في ما يميزه مع أنه لا سبيل للخطأ والغلط في نفس الأعيان .

ب ـ الإيجاب والسلب لا يجتمعان معاً ولا يرتفعان معاً ، هي أولى الأوائل أي البديهية الأولى التي تعتبر رأسمال المعرفة البشرية ، وإليها تعود كل قضية تصديقية سواء كانت بديهية أو نظرية ، حتى لو فرضنا الشك فيها ، فإن الشك المفروض لا يجتمع مع نفي وبطلان نفسه ، بمعنى إما أن نشك فيها أو لا نشك .

ج ـ كل موقف وواقعة علمية إنما يعتمد الإنسان فيها على العلم ، فحتى لو شك بشيء فإنه إنما يعلم أنه يشكك من خلال علمه بشكه ، كذلك الأمر لو ظن أو توهم أو جهل بشيء ، فإنما يشخصها عبر علمه بأن هذا ظن وذاك وهم والآخر جهل .

د ـ السوفسطائيين جماعة ظهرت في العصر اليوناني نفوا وجود العلم ، وشكوا بكل شيء حتى في أنفسهم وفي شكهم ، ثم تلاهم الشكاكون الذين نفوا وجود العلم عما هو خارج عن أنفسهم وإدراكاتهم ، وحاولوا أن يستدلوا على ذلك بدليلين :

الأول : كثرة الخطأ والغلط في الإدراكات الحاصلة من طرق الحواس ، فإذا كان الأمر كذلك كيف يصح الاعتماد على شيء من العلوم والتصديقات المتعلقة بما هو خارج ذات الإنسان؟

الثاني : كلما أردنا نيل شيء من الأشياء الخارجية ، فإن ما نناله منه مباشرة هو العلم به دون نفسه ، فكيف ننال الأشياء؟

في جوابه على الدليل الأول أوضح الطباطبائي ، بأنه لو لم يصح الاعتماد على شيء من التصديقات ، فلا يمكن أن تعتمدوا على المقدمات المأخوذة في استدلالكم هذا ، فإنها تصديقات أيضاً ، مضافاً إلى أن الاعتراف بوجود وكثرة الخطأ يعني الاعتراف بوجود الصواب بما يعادل الخطأ أو يزيد عليه ، كما أن مَنْ يقول بوجود العلم لا يدعي صحة كل تصديق وإنما يدعي صحة بعض التصديقات .

أما في جواب الثاني فأوضح ، بأن العلم كاشف عن الخارج ولم يدعِ أحد من الواقعيين أن الإنسان ينال الخارج مباشرة من دون توسط العلم ، وأصحاب هذا الدليل يمكن أن نحتج عليهم بما تعترف به أنفسهم اضطراراً في أفعالهم الاختيارية فإنهم إنما يهربون مما هو مخيف كالأسد ونحوه ، ويتحركون نحو ما يريدون كالطعام والشراب حالة الجوع والعطش ، عند العلم بوجود مثل هذه الأشياء لا بمجرد تصورها المجرد ، فإن هناك فرقاً بين ما يوجده الإنسان من علم وتصور باختيار ومن عند نفسه ، وما يوجد لدى الإنسان من تصور وعلم بإيجاد أمر خارج عن ذاته مؤثر فيه ، والعلم يكشف عن هذا الشيء .

هـ ـ قد يقال : إن العلم لما كان من خواص الدماغ ، والدماغ شيء مادي ، فكل شيء مادي خاضع لقانون التحول والتكامل كما أثبت البحث العلمي ، إذن العلم يخضع لهذا القانون ، وبذلك تتحول وتتغير تمام الإدراكات ولا معنى لوجود علم ثابت ، وإنما هو نسبي .

الجواب :

إن هذا الكلام مبني على أساس أن العلم شيء مادي غير مجرد ، والصواب أن العلم أمر مجرد ، لأنه لا تنطبق عليه أية خاصية من خصائص المادة ، فإذن هو لا يخضع لقانون التغير والتبدل الجاري في عالم المادة(١) .

---

(١) ن .م ، ج١ . ص ٥٢ ـ ٥٤ (بتصرف) .

هذا مستخلص لنموذج من البحوث الفلسفية حول العلم والإدراك في الميزان ، مع العلم أن المؤلف تكررت منه إشارات دقيقة لبيان حقيقة العلم وخصائصه في غير موضع من كتابه[١] ، كما أفرد بحوثاً أخرى في هذا الموضوع لا تقل أهمية عن البحث المتقدم[٢] . كذلك ربما اتحد بحث الإدراك مع الموارد التي بحث فيها العلم ، وربما أشار إلى مباحث الإدراك في موارد أخرى مستقلة[٣] .

٢ ـ العلة والمعلول :

في ثنايا بحثه حول الإعجاز بذيل الآيات ٢١ ـ ٢٥ من سورة البقرة ، أفرد صاحب الميزان موضوعاً بيَّن فيه «تصديق القرآن لقانون العليّة العام» بنحو موجز لكنه دقيق ، أورد فيه هذه القضية بأسلوب برهاني . وملخص ما ذكره :

إن قانون العلية العامة ثابت بضرورة العقل ، وإن الأبحاث العلمية وعمليات الاستدلال تعتمد عليه ، والإنسان مفطور على أن يعتقد أن لكل حادث مادي علة موجبة من غير تردد وارتياب .

وحدد معنى العلة ، بأن يكون هناك أمر واحد أو مجموعة أمور إذا تحققت في الطبيعة مثلاً تحقق عندها أمر آخر نسميه المعلول بحكم التجارب ، كدلالة التجربة على أنه كلما تحقق احتراق لزم أن يتحقق قبله علة موجبة له من نار أو حركة أو اصطكاك أو غير ذلك ، ومن هنا كانت الكلية وعدم التخلف من أحكام العلية والمعلولية ولوازمهما .

والقرآن يحكم بصحة قانون العلية العامة ، بمعنى أن سبباً من الأسباب إذا تحقق مع ما يلزمه ويكتنف به من شرائط التأثير من غير مانع لزمه وجود مسببه مترتباً عليه بإذن الله سبحانه ، وإذا وجد المسبب كشف ذلك عن تحقق سببه لا محالة[٤] .

وفي تحليله للخوارق وإثبات القرآن لما يخرق العادة في سياق الموضوع المذكور ، يكشف لنا الطباطبائي عن بُعد دقيق في قانون العليّة ، يمكن أن نُفسِّر في ضوئه ما نراه من تخلف بين الأسباب العادّية ومسبباتها ، ذلك لأن هذه الأسباب ليست أسباباً

---

(١) ن .م ، ج١ : ص٢٨٩ ، ٦ : ١٩٩ ، ١٣ : ١٠٧ ، ١٨ : ١٧٧ ، ٢٠ : ٤٠٤ .
(٢) ن .م ، ج١٥ : ٢٥١ ، ١٧ : ٣٨١ ـ ٣٨٢ .
(٣) ن .م ، ج٢ : ١١٤ ـ ١١٦ ، ٢ : ٢٥٢ ، ٢٥٤ .
(٤) ن .م ، ج١ : ص٧٦ (بتصرف) .

حقيقية بل هناك أسباب حقيقية مطردة غير متخلفة الأحكام والخواص . وان نظام الوجود في الموجودات المادية سواء كانت على جري العادة أو خارقة لها ، فإن كل حادث فيه يستند إلى العلة المتقدمة عليه الموجبة له(١) .

وفي ذيل تفسير الآيات ٢٦ ـ ٢٧ من سورة البقرة عقد بحثاً فلسفياً مستوعباً حول العلة الفاعلية ، بمناسبة استعراضه لمسألة «الجبر والتفويض والأمر بين الأمرين» ، وخلص من البحث لتقرير المسألة بالنحو التالي :

(كما أن الفرد من الإنسان إنما يستند إلى العلة الأولى بجميع حدوده الوجودية من أب وأم ، وزمان ومكان وشكل وكم وكيف ، وعوامل أخرى مادية ، فكذلك فعل الإنسان إنما يستند إلى العلة الأولى مأخوذاً بجميع خصوصياته الوجودية ، فهذا الفعل إذا انتسب إلى العلة الأولى والإرادة الواجبة مثلاً لا يخرجه ذلك عمّا هو عليه ، ولا يوجب بطلان الإرادة الإنسانية مثلاً في التأثير ، فإن الإرادة الواجبة إنما تعلقت بالفعل الصادر من الإنسان عن إرادة واختيار ، فلو كان هذا الفعل حين التحقق غير إرادي وغير اختياري لزم تخلف إرادته تعالى عن مراده وهو محال ، فما ذهب إليه المجبرة من الأشاعرة من أن تعلق الإرادة الإلهية بالأفعال الإرادية يوجب بطلان تأثير الإرادة والاختيار فاسد جداً ، فالحق الحقيق بالتصديق أن الأفعال الإنسانية لها نسبة إلى الفاعل ونسبة إلى الواجب ، وإحدى النسبتين لا توجب بطلان الأخرى لكونهما طوليتين لا عرضيّتين)(٢) .

وفي سياق تفسير الآيات ٤٥ ـ ٤٦ من سورة النور خصص صاحب الميزان بحثاً فلسفياً لبيان «معنى عليته تعالى للأشياء» وحلل هذه المسألة في ضوء نظرتين ، ففي النظرة الأولى : هو تعالى علة تامة بالنسبة إلى العالم بمجموعه ، إذ لا يتوقف على شيء غيره ، أما سائر أجزاء العالم فإنه تعالى جزء علته التامة ، ضرورة توقف هذه الأجزاء على ما هو قبله تعالى من العلل ، وما هو معه من الشرائط والمعدات . هذا لو اعتبرنا كل جزء من الأجزاء بحياله ثم نسبناه وحده إلى الواجب تعالى(٣) .

أما في النظرة الثانية الأدق : (فإن الارتباط الوجودي الذي لا سبيل إلى إنكاره بين

---

(١) ن .م ، ج١ : ص٨٠ (بتصرف) .
(٢) ن .م ، ج١ : ص١١١ .
(٣) ن .م ، ج١٥ : ص١٣٨ ـ ١٣٩ (بتصرف) .

كل شيء وبين علله الممكنة وشروطه ومعداته يقضي بنوع من الاتحاد والاتصال بينها ، فالواحد من الأجزاء ليس مطلقاً منفصلاً بل هو في وجوده المتعين مقيد بجميع ما يرتبط به ، متصل الهوية بغيره . فالإنسان الابن الذي كنا نعتبره في المثال المتقدم بالنظر السابق موجوداً مستقلاً مطلقاً ، فنجده متوقفاً على علل وشروط كثيرة والواجب تعالى أحدها ، يعود بحسب هذه النظرة هوية مقيدة بجميع ما كان يعتبر توقفه عليه من العلل والشرائط غير الواجب تعالى ، فحقيقة زيد مثلاً هو الإنسان ابن فلان وفلانة ، المتولد في زمان كذا ومكان كذا ، المتقدم عليه كذا وكذا ، والمقارن لوجوده كذا وكذا من الممكنات ، فهذه هي حقيقة زيد مثلاً ، ومن الضروري أن ما حقيقته ذلك لا تتوقف على شيء غير الواجب ، فالواجب هو علته التامة التي لا توقف له على غيره ، ولا حاجة له إلى غير مشيئته ، وقدرته تعالى بالنسبة إليه مطلقة غير مشروطة ولا مقيدة ، وهو قوله تعالى : ﴿يخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير﴾ .

وعندما فرغ الطباطبائي من تفسير الآيات ٢٦ ـ ٢٧ من سورة آل عمران عقد بحثاً فلسفياً لبيان انتهاء سلسلة العليّة في العالم إلى الواجب تعالى و«استناد الملك وسائر الأمور الاعتبارية إليه تعالى» ، لأن الأمور الاعتبارية وإن كانت عارية عن الوجود الحقيقي ، إلاّ أن لها آثاراً ، هي الحافظة لأسمائها ، وهذه الآثار أمور حقيقية مقصودة بالاعتبار ، ولها نسبة إليه تعالى ، فهذه النسبة هي المصححة لنسبتها ، فالملك وإن كان أمراً اعتبارياً وضعياً لا نصيب لمعناه من الوجود الحقيقي ، وإنما هو معنى متوهم لنا جعلناه وسيلة إلى البلوغ إلى آثار خارجية ، لم يمكننا البلوغ إليها لولا فرض هذا المعنى الموهوم وتقديره . لكن لما كانت حقيقة معنى الملك واسمه باقياً ما دامت هذه الآثار الخارجية باقية مترتبة عليه ، فاستناد هذه الآثار الخارجية إلى عللها الخارجية هو عين استناد الملك إليه ، وبذلك يتبين أن لها جميعاً استناداً إلى الواجب تعالى باستناد آثارها إليه على حسب ما يليق بساحة قدسه وعزه[1] .

ولا يسعنا في هذه العجالة استقراء تمام مباحث العليّة في الميزان بعد عرضنا للمادة السابقة كأمثلة لهذه المباحث ، وإلاّ فإن المؤلف يعالج جملة مشكلات عقائدية من أهمها مسائل القضاء والقدر ، والجبر والاختيار ، والخلق والرابطة بين الأشياء والباري تعالى ، على أساس قانون العليّة وأحكامه ، فحيثما تحدثت الآيات القرآنية عن هذه

(١) ن .م ، ج٣ : ص١٧٢ ـ ١٧٣ (بتصرف) .

الموضوعات ، نجد التفسير ينتهي في ذيل بحوثه إلى العلية وأحكامها ، كيما يشيد المفهوم العقائدي الصحيح .

٣ ـ التوحيد وصفاته وأسمائه تعالى :

التوحيد هو المحور في القرآن الكريم ، فكل ما يشتمل عليه القرآن من عقائد ، وأحكام ، ومفاهيم ، وقيم وأخلاق ، إنما ينبثق عن التوحيد ، بل هو التوحيد تلبس وتجلى في هذه الأشياء ، فهي بمجموعها تعود إلى التوحيد ، والتوحيد يعود في تفاصيله ومفرداته إليها بتمامها ، كما يؤكد ذلك الطباطبائي .

ولما كانت كل مباحث تفسير الميزان في نهاية الأمر تفضي إلى التوحيد ، فإن استقصاء جميع ما يرتبط بالتوحيد يقتضي قراءة متأنية للكتاب بتمامه من البداية إلى النهاية ، وهو عمل خارج عن غرضنا في هذا الموضوع ، لكن ذلك لم يمنعنا من رصد نماذج محدودة تُدلل على اتساق متداخل بين البحث الفلسفي والتفسير .

ففي تفسير الآية ٤٢ من سورة النجم مثلاً ، يستظهر صاحب الميزان من قوله تعالى : ﴿**وأن إلى ربك المُنتهى**﴾ ، أن جميع موجودات العالم تنتهي في وجودها ومن آثار وجودها إلى الله سبحانه بلا واسطة أو مع الواسطة ، وأن كل ما فيها يجري من التدبير والنظام بنحو جزئي أو كلي فإنه ينتهي إليه تعالى ، لأن التدبير الجاري بين الأشياء ليس إلاّ الروابط الجارية بينها القائمة بها ، وموجد الأشياء هو الموجد لروابطها المُجري لها بينها ، فالمُنتهى المطلق لكل شيء هو الله سبحانه ، وبهذا تكون كافة الموجودات في العالم تعود إليه تعالى في وجودها وتمام آثارها[(١)] .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿**إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده**﴾ الآية ٤١ من سورة فاطر ، يستظهر منها الطباطبائي (أنه تعالى لما استدل على توحده في الربوبية بجعل الخلافة في النوع الإنساني بقوله : ﴿**هو الذي جعلكم خلائف في الأرض**﴾ الآية ، ثم نفى الشركة مطلقاً بالحجة ، عمم الحجة بحيث تشمل الخلق كله أعني السموات والأرض ، فاحتج على توحده بإبقاء الخلق بعد إحداثه ، فإن من البيِّن الذي لا يُرتاب فيه ، أن حدوث الشيء وأصل تلبسه بالوجود بعد العدم غير بقائه وتلبسه بالوجود بعد الوجود على نحو الاستمرار ، فبقاء

---

(١) م .ن . ج١٩ ص٤٨ (بتصرف) .

الشيء بعد حدوثه يحتاج إلى إيجاد بعد إيجاد على نحو الاتصال والاستمرار . وإبقاء الشيء بعد إحداثه كما أنه إيجاد بعد الإيجاد كذلك هو تدبير لأمره ، فإنك إن دققت النظر وجدت أن النظام الجاري في الكون إنما يجري بالإحداث والإبقاء فقط . . . وعلى أي حال فالإمساك كناية عن الابقاء وهو الإيجاد بعد الإيجاد على سبيل الاتصال والاستمرار ، والزوال هو الاضمحلال والبطلان)[1] .

وفي ذيل قوله تعالى : ﴿**لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون**﴾الآية ٢٣ سورة الأنبياء ، عقد صاحب الميزان بحثاً فلسفياً قرآنياً «في حكمته تعالى ومعنى كون فعله مقارناً للمصلحة» أوضح فيه هذه المسألة في سياق عدة مقدمات تفضي إلى هذه النتيجة .

ويتلخص ما كتبه فيما يلي :

١ ـ تقرّر في الفلسفة أن الفعل بمعنى الأثر الصادر عن الفاعل إرادياً كان أو غير إرادي لا يخلو من غاية ، بمعنى كون فعله خيراً من تركه ، ونفعه غالباً على ضرره ، فما في الفعل من جهة خير مترتبة عليه هو الذي يبعثنا نحو فعله ، وهو ما يسمى بغاية الفعل .

٢ ـ إن اشتمال الفعل على جهة الخير المترتبة على تحققه ، هو ما يسمى بمصلحة الفعل ، وهذه المصلحة هي الباعث للفاعل على فعله ، وهي سبب إتقان الفعل الموجب لعدّ الفاعل حكيماً في فعله ، ولولاها لكان الفعل لغواً لا أثر له .

٣ ـ من البديهي أن المصلحة المترتبة على الفعل لا وجود لها قبل وجود الفعل ، وما يبعث الفاعل نحو الفعل إنما هو وجود المصلحة العلمي لا الخارجي ، بمعنى أن لدى الإنسان صورة علمية عن النظام الخارجي وما يجري فيه من قوانين كلية ، وأصول منتظمة تقضي بانسياق الحركات إلى غاياتها ، والأفعال إلى أغراضها ، وما تحصّل عنده بالتجربة من روابط الأشياء بعضها مع بعض ، ولا ريب أن هذا النظام العلمي تابع للنظام الخارجي مترتب عليه .

٤ ـ يسعى الإنسان أن يطبق أفعاله على الصورة العلمية للنظام لديه ، ويراعي في فعله ما تقرّر فيه من مصالح ، فإن أصاب في تطبيقه الفعل على الصورة العلمية كان حكيماً في فعله ، وإن أخطأ في تطبيق هذه الصورة على النظام الخارجي ، ولم يُصب لقصور أو تقصير لم يُسمَّ حكيماً وإنما سُمي جاهلاً ولاغياً ونحوهما .

---

(١) م .ن . ج١٧ : ص٥٥ .

٥ ـ الحكمة صفة للفاعل الذي يتطابق فعله مع النظام العلمي ، المنطبق بدوره على النظام الخارجي ، واشتمال الفعل على المصلحة يعني ترتب الفعل على الصورة العلمية المطابقة للخارج .

إذن الحكمة بالحقيقة صفة ذاتية للخارج ، وإنما يتصف الفاعل أو فعله بها من حيث انطباق الفعل عليه بواسطة العلم ، وكذلك اشتمال الفعل على المصلحة بمعنى تفرعه على صورتها العلمية الحاكية عن الخارج .

٦ ـ إنما يتم هذا الكلام في الفعل الذي يراد به مطابقة الخارج ، كالأفعال الإرادية للإنسان ، أما الفعل الذي هو نفس الخارج وهو فعل الله سبحانه فهو نفس الحكمة ، لا لمطابقته أمراً آخر هو الحكمة ، كما أن اشتمال فعله تعالى على المصلحة بمعنى انه متبوع بالمصلحة ، لا انه تابع للمصلحة بحيث تدعو هذه المصلحة الفاعل للفعل وتبعثه نحوه .

٧ ـ على هذا الأساس فإن كل فاعل يُسأل عن فعله ، فيقال له : لِمَ فعلتَ كذا؟ لأن المطلوب أن يتطابق فعله مع النظام الخارجي في ضوء ما لديه من صورة علمية لهذا النظام ، ما خلا الباري تعالى فإنه لا مورد لمثل هذا السؤال عن فعله ، لأن فعله عين النظام الخارجي ، الذي يُطلَب بالسؤال تطبيق الفعل عليه ، ولا نظام خارجي آخر حتى يطبق هو عليه ، وفعله هو الذي تكون صورته العلمية مصلحة داعية باعثة نحو الفعل ولا نظام آخر فوقه حتى تكون الصورة العلمية المأخوذة منه مصلحة باعثة نحو هذا النظام[1] .

نقتصر على بيان هذه الأمثلة خشية أن يخرجنا الاستطراد عن غرض الموضوع الأصلي .

٤ ـ مباحث العقيدة الأخرى :

كتب صاحب الميزان بحوثاً مفصلة استوعب فيها أمهات المسائل الاعتقادية ، وفي كل هذه البحوث نجده ينجز مهمتين متعاضدتين ، فبينما يحاول تأسيس موقف عقائدي في هدي القرآن ، لا تغيب عن بحثه أبرز الشبهات حول المسائل الاعتقادية ، فيثيرها على شكل «إن قلتَ قلتُ» في ذيل البحث ، بعد أن يفرغ من تأسيس المفهوم وإشادة آركانه .

---

(١) ن .م ، ج١٤ : ص٢٧٢ ـ ٢٧٤(بتصرف) .

من هنا يتبدى لمن يراجع الميزان أن المؤلف كرّس جانباً أساسياً من بحثه التفسيري في دراسة العقائد واستجلاء مفهوماتها تحت إشعاع القرآن ، فمثلاً حاول أن يهتم بدراسة مسألة الجبر والاختيار والأمر بين الأمرين والقضاء والقدر ، والنبوة ، والإمامة ، والبرزخ والمعاد والقيامة ، وما يرتبط بذلك من موضوعات ، مضافاً إلى قضايا التوحيد التي ألمحنا إليها فيما سبق .

وهنا سنشير إلى نموذج واحد من هذه المباحث وهو بحث فلسفي في بيان «أن النبوة مسألة فلسفية ووجه الحاجة إلى بعث الأنبياء» ، ويتلخص ما أفاده في ذلك بما يلي :

١ ـ قد يقال : لما كانت النبوة نحو تبليغ لأحكام وقوانين مجعولة اعتبارية ليست حقيقية ، فإنها مسألة غير فلسفية ، لأن البحث الفلسفي هو بحث في أحوال الموجود من حيث هو موجود ، أي في الأشياء الخارجية العينية دون الأمور الاعتبارية .

الجواب :

إن البحث في النبوة من جهة أخرى بحث فلسفي ، وذلك لأن ما تدعو له النبوة من معارف وأحكام خلقية عملية لها علاقة بالنفس ، من حيث إنها تثبت فيها علوماً راسخة أي أحوالاً تؤدي إلى ملكات راسخة ، وهذه العلوم والملكات تكون صوراً للنفس الإنسانية تعين طريقها إلى السعادة والشقاوة ، والقرب والبُعد من الله سبحانه ، فإن الإنسان بواسطة الأعمال الصالحة والاعتقادات الحقة الصادقة يكتسب لنفسه كمالات لا تتعلق إلاّ بما هُيِّيء له عند الله سبحانه من القرب والزلفى والرضوان والجنة . وبواسطة الأعمال الطالحة والعقائد الباطلة يكتسب لنفسه صوراً لا تتعلق إلا بالدنيا وزخارفها الفانية ، ويؤديها ذلك إلى أن ترد بعد مفارقة الدنيا وانقطاع الاختيار إلى دار البوار ومهاد النار ، وهذا سير حقيقي . وعلى هذا فمسألة النبوة حقيقة فلسفية .

٢ ـ قد يقال : ما هي الحاجة لبعث الأنبياء؟

الجواب : لما كان الواجب تام الإفاضة ، فيجب أن تكون هناك إفاضة لكل نفس مستعدة بما يلائم استعدادها من الكمال ، وتتبدل بها قوتها إلى الفعلية ، من الكمال الذي يسمى سعادة إن كانت ذات صفات حسنة وملكات فاضلة معتدلة ، أو الذي يسمى شقاوة إن كانت ذات رذائل وهيئات ردية . وإذ كانت هذه الملكات والصور

حاصلة لها من طريق الأفعال الاختيارية المنبعثة عن اعتقاد الصلاح والفساد ، والخوف والرجاء ، والرغبة إلى المنافع ، والرهبة من المضار ، وجب أن تكون هذه الإفاضة أيضاً متعلقة بالدعوة الدينية ، بالتبشير والإنذار ، والتخويف والتطميع ، لتكون شفاء للمؤمنين فيكملوا به في سعادتهم ، وخساراً للظالمين فيكملوا به في شقاوتهم ، والدعوة تحتاج إلى داع يقدم بها ، وهو النبي المبعوث من عنده تعالى[(١)] .

٥ ـ الرد على المذاهب والاتجاهات الفلسفية والعقائدية الباطلة :

استوعب صاحب الميزان الكثير من الشبهات التقليدية في تفسيره ، بل تخطاها إلى ملاحقة الإشكالات المعاصرة ، واعتنى عناية خاصة بما أثارته الفلسفة المادية الأوروبية الحديثة في اقتصارها على تفسير المعرفة البشرية بدائرة المحسوس فقط ، ونفيها أية معرفة تصديقية لا تنالها التجربة . ويمكن القول إن البراهين التي ساقها الطباطبائي على نقض المذهب التجريبي في المجلد الأول من الميزان الذي صدر قبل أربعين عاماً ، لم تتفوق عليها أية نقود أخرى تعرض لها هذا المذهب ، وسنقتصر هنا على ذكر مستخلص من هذه البراهين ، كنموذج لأسلوبه النقدي في نقض الإشكالات العقائدية والمذاهب الفلسفية الباطلة .

أوضح صاحب الميزان بإيجاز ما أفاده بعض الفلاسفة الحسيين المحدثين ، من عدم الاعتماد على غير الإدراكات الحسية ، والاقتصار فقط على ما هو محسوس ، وذكر ما احتجوا به على ذلك ، بأن الإدراكات العقلية المحضة عرضة لوقوع الأخطاء فيها ، مع عدم وجود ما يميز الصواب من الخطأ وهو الحس والتجربة ، خلافاً للإدراكات الحسية ، فإنا إذا أدركنا شيئاً ما بواحد من الحواس أتبعنا ذلك بالتجربة بتكرار الأمثال ، ولا نزال نكرر حتى نستثبت الخاصة المطلوبة في الخارج ، ثم لا يقع شك بعد ذلك .

ثم نقض هذا المذهب ببراهين عديدة ، جاء فيها :

١ ـ إن المقدمات المأخوذة في هذا الاستدلال عقلية وليست حسية ، فهي محاولة للاستدلال على بطلان الاعتماد على المقدمات العقلية بمقدمات عقلية ، فيلزم من صحة الحجة فسادها .

٢ ـ إن الخطأ في الحواس لا يقل عن الخطأ في الإدراكات العقلية ، فلو كان مجرد وقوع الخطأ في باب موجباً لطرحه لكان طرح باب الحواس أوجب .

---

(١) ن .م ، ج٢ : ص١٥٠ ـ ١٥١ (بتصرف) .

٣ ـ لو كانت جميع العلوم الحسية ثابتة بالتجربة ، لكن من الواضح أن نفس التجربة لا يمكن التحقق من صدقها بتجربة أخرى للزوم التسلسل ، فلا بد أن يكون العلم بصحتها من طريق غير الحس ، وبذلك يكون الاعتماد على الحس والتجربة اعتماداً على العلم العقلي اضطراراً .

٤ ـ إن الحس لا ينال غير الجزئي المتغير ، والعلوم لا تستنتج ولا تستعمل غير القضايا الكلية وهي غير محسوسة ولا مجربة[(١)] .

هذا مثال أوجزنا فيه بعض مناقشات الطباطبائي للنزعة الحسية في الفلسفة الأوروبية الحديثة ، ومطالعة سريعة لتفسيره تكشف لنا عن نظائر عديدة لمثل هذه المناقشات نقض فيها مذاهب وتيارات وإشكالات متنوعة .

ولم يقتصر المعقول في تفسير الميزان على البحوث الفلسفية وإنما تجاوزها إلى بحوث كلامية ، مضافاً إلى بعض البحوث المنطقية ، فمثلاً كشف في بحث مفصل أن جميع التشكيكات والشبهات الواردة على أصول المنطق تستند إلى نفس القوانين المنطقية[(٢)] ، مثلما فعل في الكشف عن أن التشكيكات على المذهب العقلي من قِبل الحسيين تعتمد على مقدمات عقلية .

في ضوء الاشارات المتقدمة التي أوردناها ـ كما ألمحنا غير مرة ـ كنماذج فحسب ، يتضح مدى حضور البحث الفلسفي في التفسير ، بعد أن واكبنا أحد أهم التفاسير التي صنفها فيلسوف معروف تخرج في الحوزة العلمية في النجف الأشرف .

وربما لا نعدو الحقيقة لو قلنا إن «مواهب الرحمن في تفسير القرآن» للسيد عبد الأعلى السبزواري ، كان ثمرة أخرى مكتنزة لمدرسة النجف لا تفوقها أعمق وأخصب الأعمال التفسيرية الأخرى التي أنجزها المفسرون في هذا العصر ، مع العلم أنه آخر منجز تفسيري أطلت به مدرسة النجف ، وقد غادرنا السيد السبزواري إلى الدار الآخرة في ظروف غامضة قبل أن يفرغ من نشر تفسيره بتمامه .

وعندما نتصفح الأجزاء المتوفرة من هذا التفسير ، فإن أول ما نراه فيه هو الاتساق المتداخل بين مباحث الفلسفة والتفسير ، مثلما وجدنا ذلك في الميزان ، وان كان الطباطبائي لا يخوض كثيراً في نقض متبنيات الفلاسفة ، بل نجده يعتمد مقولات

---

(١) ن .م ، ج١ : ص ٥٠ ـ ٥١ (بتصرف) .

(٢) ن .م ، ج٥ : ص ٢٦١ ـ ٢٧٦ .

مدرسة الحكمة المتعالية ولا يرفض شيئاً منها ، خلافاً للسبزواري الذي تردد في قبول بعضها ، وناقش في صحتها ولم يُسلّم بنتائجها أحياناً .

بناء على ذلك نخلص إلى القول بأن الفلسفة بل مطلق العلوم العقلية سجلت حضوراً متميزاً في أبرز الأعمال التفسيرية التي صنفها خريجو مدرسة النجف في العصر الحديث ، وإن مقولات ونظريات ومصطلحات الفلسفة والمنطق استعان بها هؤلاء المفسرون ، كأحد الأدوات التفسيرية التي تُقتنص من خلالها مدلولات دقيقة للنص القرآني ويقرأ هذا النص عبرها قراءة موازية لقراءته في ضوء الآيات الكريمة الأخرى والأحاديث الشريفة والمداليل اللغوية للألفاظ ، فتتجلى منه آفاق ومفاهيم تعبر عن مدى أعمق يتكشف عنه مدلول النص .

البحث الفلسفي في أصول الفقه

تمازج علم أصول الفقه منذ نشأته بمقولات المعقول ، وتوغلت مسائل المنطق وعلم الكلام والفلسفة في مصنفاته الأولى ، وربما طفحت تلك المسائل إلى درجة خرجت فيها مصنفات أصول الفقه عن الغرض الأصلي لهذا العلم ، فقد كتب السيد المرتضى أن علم الأصول (شرد من قانون أصول الفقه وأسلوبها ، وتعدَّاها كثيراً وتخطاها ، فتكلم على حدِّ العلم والظن وكيف يولِّد النظرُ العلمَ ، والفرق بين وجوب المسبَّب عن السَبب ، وبين حصول الشيء عند غيره على مقتضى العادة ، وما تختلف العادة وتتفق ، والشروط التي يُعلَمُ بها كون خطابه تعالى دالاً على الأحكام وخطاب الرسول عليه السلام ، والفرق بين خطابيهما بحيث يفترقان أو يجتمعان ، إلى غير ذلك من الكلام الذي هو محضٌ صرفٌ خالص للكلام في أصول الدين دون أُصول الفقه)[1] .

وقط انطلقت أصوات في أزمنة متتالية تدعو للتفكيك بين البحث الأصولي وبحوث المعقول ، كانت أعنفها صرخة الحركة الاخبارية في القرن العاشر الهجري ، كما نجد ذلك في كتاب «الفوائد المدنية» لمحمد أمين الاسترابادي المتوفى سنة ١٠٢٣هـ ، ومحاولات المحدثين الإخباريين الذين جاءوا من بعده في تدوين أصول فقه لا يستند على معطيات المعقول ، وإنما يُستَلهَم من السُّنة الشريفة المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام ، كما ادعوا ذلك .

---

(١) السيد المرتضى ، علم الهدى علي بن الحسين الموسوي . الذريعة إلى أصول الشريعة . تصحيح : أبو القاسم گرجي . جامعة طهران : ١٣٦٣ش ، ١ : ٢ .

وفي هذا العصر سعى بعض العلماء لإحياء دعوة المحدثين الإخباريين ، بأدوات أخرى ومنهج جديد يقوم على التفكيك بين علوم الشريعة بأسرها والعلوم العقلية ، فذهب هذا الموقف إلى مدى أقصى مما ذهب إليه الاخباريون في دعوتهم لاستبدال علم أصول الفقه بأصول متلقاة من الأخبار مباشرة ، إذ يدعو رواد المدرسة التفكيكية إلى تنقية تمام العلوم الإسلامية التي محورها القرآن الكريم والسنة الشريفة من آثار المعرفة البشرية لا سيما المنطق والفلسفة(١) .

ومن المعلوم أن مثل هذه الدعوات بالرغم من غيرتها على الشريعة ، واحتجاجها على مناهج أتباع المعقول في اسرافهم باستخدام آليات المنطق والفلسفة في الاستدلال الشرعي ، بيد أن ادعاء الحصول على علوم شرعية خالصة نقية من دون أن تتأثر بروح العصر المنجزة في فضائه الخاص ، ونزعات الباحث وثقافته الخاصة ورؤيته الكونية ، ومجموعة العوامل الأخرى البيئية المحيطة بالباحث ، إن هذا الادعاء لا تنهض التجربة بالبرهنة عليه ، ولا يمكن التأكد من مصداقيته في ضوء ما هو منجز من معرفة دينية . ولا نريد أن نستطرد في بحث هذه المسألة ، فإن لتفصيل القول فيها محلاً آخر .

على أية حال فمع كل هذه النداءات ، وما استتبعها من معارك وسجالات فكرية لم تتوقف حتى هذه اللحظة اختراقات المعقول لأصول الفقه ، فإن تراث المعقول خصوصاً الفلسفة بدأ يتعاظم نفوذه في علم الأصول ويتغلغل إلى شتى مباحثه في الشوط الأخير من أشواط تطور هذا العلم ، وبلغ ذلك مداه الأقصى على يد الشيخ محمد حسين الأصفهاني المعروف بالكمباني المتوفى سنة ١٣٦١هـ ، والذي يُعد من أبرز العارفين بالفلسفة في الحقبة الأخيرة في النجف الأشرف ، إذ وصفه تلميذه الشيخ محمد رضا المظفر بأنه (من أعاظم فلاسفة الإسلام الذين لا يسمح بمثلهم الزمن إلاّ في فترات متباعدة ، لولا أن شيخنا غلب عليه الفقه والأصول وانقطع إليهما عن الظهور بالفلسفة)(٢) .

ويعتبر كتابه «نهاية الدراية في شرح الكفاية»(٣) أهم مصنف أصولي تجلى فيه تفاعل الفلسفة وأصول الفقه في النجف أخيراً . وسنكتفي هنا بالإشارة إلى أمثلة محدودة من البحث الفلسفي في هذا الكتاب .

---

(١) حكيمي ، محمد رضا . مكتب تفكيك (بالفارسية) .

(٢) مقدمة الشيخ المظفر لكتاب : تحفة الحكيم . للأصفهاني . ص٥ .

(٣) صدر الكتاب أخيراً في ستة أجزاء بتحقيق مؤسسة آل البيت لاحياء التراث في قم .

ففي السطر الأول من «نهاية الدراية» يبدأ الأصفهاني ببيان حقيقة موضوع العلم، تبعاً لأستاذه الآخوند محمد كاظم الخراساني صاحب المتن «كفاية الأصول»، معتمداً في بيانه على ما أفاد علماء المعقول، في التفريق بين العرض الذاتي والعرض الغريب، وإن موضوع كل علم هو ما يُبحث فيه عن عوارضه الذاتية، ثم يغور في تشعبات الأقوال وحججها، فيذكر ما أفاده صدر الدين الشيرازي في «الأسفار الأربعة ١ :٣٣»، ثم يعطف عليه بما قرره ملاهادي السبزواري لبيان الشيرازي حول هذه المسألة في حاشيته على «الشواهد الربوبية ص٤١٠»، ويواصل بحث الموضوع مستعيناً بأدوات البحث الفلسفي، حتى يُخيَّل للقارئ وهو في غمرة البحث كأنه يقرأ متناً من متون الفلسفة المبهمة[1].

ثم يشير إلى قاعدة «الواحد لا يصدر عنه إلاّ الواحد» في سياق بحثه حول موضوع العلم، وكيفية الاستدلال بهذه القاعدة على (أن العلم عبارة عن مجموع قضايا مشتتة، يجمعها الاشتراك في غرض خاص، دُوّن لأجله علم مخصوص، فلا محالة ينتهي الأمر إلى جهة جامعة بين تلك القضايا موضوعاً ومحمولاً، والموضوع الجامع لموضوعات القضايا موضوع العلم، والمحمول الجامع لمحمولاتها محموله . . . وأنه لا برهان على اقتضاء وحدة الغرض لوحدة القضايا موضوعاً ومحمولاً، إلاّ أنّ الأمور المتباينة لا تؤثر أثراً واحداً بالسنخ، وأن وحدة الموضوع أو وحدة المحمول تقتضي وحدة الجزء الآخر)[2]. ويعقِّب على ذلك موضحاً (أن البرهان المزبور لا يجري إلاّ في الواحد بالحقيقة، لا الواحد بالعنوان، وما نحن فيه من قبيل الثاني، بداهة أن صون اللسان عن الخطأ في المقال ـ في علم النحو مثلاً ـ ليس واحداً بالحقيقة والذات، بل بالعنوان، فلا يكشف عن جهة وحدة ذاتية حقيقية)[3].

وفي موضوع المعنى الحرفي نراه يتكئ على مقولة أخرى من مقولات الفلاسفة حين يبين حقيقة المعنى الحرفي والفرق بينه وبين المعنى الإسمي، فهو لا يفسر الفرق بينهما على أساس الفرق بين الجوهر والعرض كما فعل آخرون، وإنما يرجعه إلى الوجود المحمولي والوجود الرابط، فوجود المعنى الإسمي وجود في نفسه (وجود محمولي)،

(١) الأصفهاني، محمد حسين. نهاية الدراية في شرح الكفاية. قم: مؤسسة آل البيت لاحياء التراث، ١ : ١٩ ـ ٢٧ .
(٢) ن.م، ١ : ٣٤ .
(٣) ن.م، ١ : ٣٤ .

ووجود المعنى الحرفي لا في نفسه أي بغيره (وجود رابط) بمعنى أنه يقوم بالربط بين معنيين ، وليس له وجود مستقل ثالث غير وجود المعنيين المترابطين ، فهو موجود بوجودهما .

وهنا يميز بين الوجود الرابط والوجود الرابطي ، فيعتبر وجود العرض وجوداً رابطياً ، بمعنى أن وجود العرض وإن كان قائماً بالغير (بالجوهر) لكن ذلك لا ينافي الوجود النفسي ، (فالعرض من أنحاء الموجود في نفسه ، مع أن وجوده في نفسه عين وجوده لغيره ، . . . وأن حقيقة النسبة لا توجد في الخارج إلاّ بتبع وجود المنتسبين من دون نفسية واستقلال أصلاً ، فهي متقومة في ذاتها بالمنتسبين ، لا في وجودها فقط . بخلاف العرض ، فإن ذاته غير متقومة بموضوعه ، بل لزوم القيام بموضوعه ذاتي وجوده ، فإن وجوده في نفسه وجوده لموضوعه)[(١)] .

وفي المبحث ذاته يلجأ الأصفهاني لاستعارة مفاد الهليات المركبة أي بمعنى ثبوت شيء لشيء ، ومفاد الهليات البسيطة أي بمعنى ثبوت الشيء ، عندما يريد بيان عدم اختلاف جميع أنحاء النسب والتدليل على أن الوجود الرابط في ثبوت شيء لشيء أو ثبوت الشيء لا يختلف[(٢)] . ثم يستخدم مسألة الحمل الأولي والحمل الشايع للتمييز بين المعاني الحرفية والأسماء الموازية لها[(٣)] .

ويتكرر تداول مصطلحات الفلسفة ومقولاتها في مباحث كتاب «نهاية الدراية» بأسرها ، فلا تختص بذلك مباحث الألفاظ دون سواها ، وإنما هيمنت النزعة الفلسفية لدى الشيخ الأصفهاني على كل بحث تناوله ، فاصطبغت المسائل الأصولية في كتابه بصبغة فلسفية عميقة ، تتكشف بوضوح من المسألة الأولى فيه حتى الأخيرة ، فمثلما وجدناه يستعين بأدوات البحث الفلسفي في أول بحث يطرقه في الكتاب ، يستمر باعتماد هذا الأسلوب في البحث في معظم المسائل الأخرى إلى خاتمة الكتاب ، حيث نلتقي بحشد واسع لآليات منهج البحث الفلسفي لديه ، فالبحث اللغوي الذي يستند على المواضعات العرفية ، ولا علاقة له بمقولات الفلسفة وقوانين المنطق ، يسعى المؤلف لاقصاء قوانين العرف ومواضعاته التي يتأسس عليها ، ويصطنع له مرتكزات أخرى

---

(١) ن .م ، ١ : ٥٢ .

(٢) ن .م ، ١ :٥٣ .

(٣) ن .م ، ١ : ٥٣ .



باحة جامعة النجف الدينية (جامعة كلانتر)

يستعيرها من الفلسفة والمنطق ، فمثلاً عندما يريد اكتشاف مدلول اسم الجنس ومعرفة نحو دلالة اللفظ المطلق على معناه المجرد من القيد ، يغور هذا الباحث الأصولي في مقدمة يتعرف فيها على أنحاء لحاظ الماهية وما يميز كل واحد منها عن الآخر ، ثم بعد ذلك يعود متسائلاً : هل ان اسم الجنس مثل كلمة «رجل» موضوع للحاظ الماهية بشرط شيء ، أم بشرط لا ، أم لا بشرط؟ وإذا كانت كلمة رجل موضوعة للماهية اللابشرط ، فهل أنها موضوعة للماهية اللابشرط القسمي أو المقسمي؟ .

إن مثل هذه البحوث تستنزف جهداً ووقتاً هائلاً من طلاب ومدرسي أصول الفقه ، لا سيما في مباحث الألفاظ ، مع أن مباحث الألفاظ تعود لحقل آخر يتمثل بفقه اللغة ، وفلسفة اللغة ، وعلم الدلالة ، وعلم النص ، وقد استطاعت دراسات اللغة في الغرب اليوم تخطي مسافات طويلة في تطورها وتكاملها ، منذ توظيف المعطيات العلمية الحديثة لمؤسس علم اللغة الحديث العالم اللغوي السويسري المعروف فرديناند دي سوسيور .

إن ترك مباحث اللغة ترقد تحت سلطة الفلسفة والمنطق ، واستعارة منهج البحث الفلسفي وأدواته في تحديد مداليل الألفاظ ، جعل هذه المباحث تتحرك في مدارات مسدودة لا تتخطاها ، لأن الفضاء الخاص للغة ومكوناتها لا يتطابق مع فضاء البحث الفلسفي ، ولم تقتصر هذه الإشكالية على مباحث الألفاظ وإنما امتدت لتنفذ إلى مختلف المباحث ، مما جعل البحث الأصولي يتخطى فضاءه الخاص ويجول في آفاق رؤية الفلاسفة .

تجدر الإشارة إلى أن الشيخ محمد حسين الأصفهاني لم يبتدع هذه الطريقة في البحث الأصولي ، ولم يكن كتابه «نهاية الدراية» هو الوحيد الذي توشح بصبغة فلسفية ، وإنما يمثل هذا الكتاب النموذج الأوضح للتفاعل بين أصول الفقه والفلسفة في مدرسة النجف الأشرف ، وإلاّ فإن أي مصنف آخر في علم الأصول تنبسط في مباحثة مصطلحات الفلسفة ونظرياتها .

ويبدو أن الفلسفة تمارس دوراً تعطيلياً بالنسبة لتطور تجربة البحث الأصولي في الاتجاه الصحيح ، فمتى أصبح حضور الفلسفة أكثف يكون أثرها أخطر في اصطناع مسارات افتراضية موهومة للبحث الأصولي ، تنزلق به بعيداً عن مساره الخاص ،

وتنأى به بالتدريج عن وظيفته في رفد عملية الاستدلال الفقهي بما تتطلبه من قواعد ، ينبغي أن تتجدد في ضوء تطور الفقه واستجابته لمتطلبات المجتمع والدولة المتنوعة .

إلى هنا نكتفي بهذه الإشارات السريعة لبيان التفاعل بين الفلسفة والتفسير من جهة ، والفلسفة وأصول الفقه من جهة أخرى ، على أن الفلسفة والمعقول بصورة أعم سجلت حضوراً بدرجات أدنى في الفقه وعلم الحديث ، ويمكن مراجعة بعض النماذج الواضحة لذلك فيما يتكرر عبر عملية الاستدلال في علوم الشريعة بمجموعها من برهاني الدور والتسلسل ، بل يمكن القول إن الاستدلال الفقهي يجري من خلال قنوات القياس الأرسطي بأشكاله المعروفة ، ولا نراه يتعداها ، بيد أن السيد الشهيد محمد باقر الصدر أدخل عنصراً جديداً في الاستدلال الشرعي في البحث الأصولي والفقهي وحتى الرجالي ، يعتمد على ما اشاده في كتابه «الأسس المنطقية للاستقراء» من حساب الاحتمالات ، ويعتبر استخدام حساب الاحتمالات لأول مرة بهذا الشكل في مثل هذه المباحث وتطبيقه في موارد مختلفة ، من إبداعات الشهيد الصدر[1] .

---

(١) لاحظ بعض هذه الموارد في :
أ ـ بحوث في شرح العروة الوثقى ، للشهيد الصدر ٣ : ٤١٩ ، ٤٢٤ ، ٤ :٢٩٥ ، ٣٥٥ .
ب ـ مباحث الأصول ، للشهيد الصدر ، تقرير السيد كاظم الحائري ج٢ : ق٢ : ٢٣٠ ، ٤٩٧ ، ٥٠٦ .
جـ ـ كتاب الخمس ، للسيد محمود الهاشمي ١ : ١٨٩ .
د . كتاب القضاء للسيد كاظم الحائري ٥٣١ ، ٧٨١ .

أعلام المعقول في مدرسة النجف

تعرضت دراسات المعقول عامة والفلسفة خاصة لضربات عنيفة من بعض الفقهاء في النجف لا سيما في القرن الرابع عشر الهجري ، مما أدى إلى بلبلة الآراء والمواقف إزاء من يتعاطى هذه الدراسات ، فسعى بعض أساتذة المعقول المعروفين إلى هجر تدريس هذا الفن والانصراف منه إلى تدريس الفقه والأصول ، كيما يبرهنوا على مقدرتهم في تدريس العلوم الشرعية ، ويتحرروا من أسر الفاقة والحرمان الذي يطارد كل مَنْ يُعنى بالفلسفة ، فمثلاً يحكي لنا السيد النجفي القوچاني المتوفى سنة ١٣٦٣هـ ، أن أستاذه في الفلسفة الشيخ محمد باقر الاصطهباناتي قال له : (إن همي منحصر الآن في تدريس الفقه والأصول بعد نهاية الشهر المبارك ـ يعني رمضان ـ شريطة أن تعينني بعزيمتك ، فأنا قد اكتسبت من تدريسي للفلسفة اسم «الحكيم» الذي هو مرتبة اللاأبالية وانعدام الديانة والعلم ، ولهذا السبب ابتُليت لسنين بالعزلة والفقر والحرمان والديون ، بينما أنا في الفقه والأصول مساوٍ على الأقل للآخوند ـ يقصد محمد كاظم الخراساني ـ والسيد محمد كاظم اليزدي ، وغيرهما ممن لهم المقام العالي ، إن لم أكن أفضل . وكل ما حدث لي كان بسبب تركي لتدريس الفقه والأصول)[1] وفي موضع آخر يحكي القوچاني عن أحد تلامذته انه عندما وجهه لدراسة الفلسفة امتنع ، ثم ذهب إلى السيد كاظم اليزدي الذي كان أبرز المراجع في عصره ليستفتيه في ذلك ، فلما التقاه يقول : (التقيت بالسيد اليزدي وسألته عن رأيه

---

(٢) السيد النجفي القوجاني . سياحة في الشرق . ترجمة : يوسف الهادي . بيروت : دار البلاغة ١٩٩٢م ، ص٢٣١ .

بقراءتي للفلسفة بمقدار يمكنني من معرفة مصطلحاتها ، فقال لي : لا ينبغي أن تدرسها إذ أن موضوعاتها ليست حقاً ولا باطلاً صرفاً ، فإن لم تسقط في الضلالة فإنك ستضيع عمرك على الأقل ، ولهذا فأنا أعتبرها حراماً)[١] .

لقد توارث هذا الموقف غير واحد من الفقهاء المتأخرين ، وانتشر اثر ذلك سجال ومعارك كلامية صاخبة ، ظلت لمدة طويلة مختبئة ، فجهر بها خصوم الفلسفة ، بعد ذيوع مثل هذه الفتاوى . بيد أن ضراوة الهجوم على الفلسفة ومريديها ، لم يُطح بحياة الدرس الفلسفي في النجف ، ولم يوقف تعاطي تراث الفلاسفة ، والاهتمام بدراسته وتدوين الشروح والحواشي حوله ، ففي أحلك الظروف لم يتعطل الدرس الفلسفي وإنما كان يختبئ لفترة داخل غرف سرية في المدارس أو البيوت متوارياً عن سلاح الفتاوى ، ثم ينبثق من جديد ويسجل حضوراً نشطاً في حلقات الدرس عند أول فرصة تهدأ فيها عواصف الإرهاب العلمي .

ومن الملفت للنظر أنه بالرغم من التشديد والمواجهة القاسية لدارسي الفلسفة فإن شعلة الدرس الفلسفي لم تنطفىء في النجف ، وأضحت مدرسة النجف الفلسفية هي المدرسة الأم التي شع منها الدرس الفلسفي في هذا العصر إلى حواضر مهمة في العالم الإسلامي ، فأوقد فيها جذوة المنحى العقلي في التفكير ، وأشاع تداول دراسة الفلسفة ، مثلما فعل السيد جمال الدين الحسيني المعروف بالأفغاني ، فإنه بعد أن مكث تلميذاً في النجف لأربع سنوات هاجر إلى مصر فاهتم بتعليم الفلسفة هناك ، وتأسست على يديه حركة نشطة برز فيها مجموعة من تلامذته كالشيخ محمد عبده ، كانت تُعنى بفن المعقول عناية خاصة ، كما يؤكد ذلك أحمد أمين بقوله : (ولما جاء جمال الدين الأفغاني مصر في عهدنا الحديث ـ وكان فيه نزعة تشيع ، وقد تعلم الفلسفة الإسلامية بهذه الأقطار الفارسية ـ كان هو الذي نشر هذه الحركة في مصر)[٢] .

وكان الدرس الفلسفي قد ازدهر في الحوزة العلمية بقم بعد ورود العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي إليها ، وهو الذي تعلم الفلسفة في مدرسة النجف عند أساتذة من أبرزهم السيد حسين البادكوبي . ومما لا شك فيه أن النهضة المعاصرة في

---

(١) م .ن ، ص٣٤٢ .

(٢) أمين ، أحمد . ضحى الإسلام . بيروت : دار الكتاب العربي ، ١ : ١٩٠ ـ ١٩١ .

دراسة الفلسفة في قم وكافة المؤسسات التعليمية في إيران يعود السهم الأوفر فيها للجهود الهائلة التي أنفقها العلامة الطباطبائي في إعداد جيل متمرس من أساتذة الفلسفة توزع بين الجامعات والحوزات العلمية ، كالشهيد الشيخ مرتضى المطهري ، والسيد جلال الدين الآشتياني ، والشيخ عبدالله جوادي آملي ، والشيخ حسن زادة آملي ، والشيخ محمد تقي مصباح اليزدي . . . وغيرهم .

وهكذا رفدت مدرسة النجف الفلسفية الأزهر في القاهرة بثمراتها ، مثلما رفدت الحوزة العلمية في قم أيضاً ، فبينما يُعد الأول أعرق حاضرة للعلوم الإسلامية عند السنة ، تعد الثانية أوسع حاضرة في دراسة العلوم الإسلامية اليوم عند الشيعة الإمامية . ويخيل إليّ أن هذه البركات النجفية ما هي إلاّ قبس من فيوضات أمير المؤمنين عليه السلام وتربته الزكية المقدسة .

ومما يتميز به الدرس الفلسفي في الحوزات العلمية (في النجف الأشرف وإيران أن لدراسة الفلسفة سنداً يصل أساتذة الفلسفة إلى أصحاب الآراء الفلسفية ، وبذلك يدركون حقائقها ، ويكتشفون رموزها ، فنحن بحكم سند الدراسة المتصل إلى ابن سينا مثلاً ندرس آراءه ونكشف رموزها ، كما لو كنا ندرسها من ابن سينا نفسه ، وهذه المزية مفقودة في مصر وغيرها)[١] .

وعلى هذا سنأتي على ذكر أعلام المعقول في النجف بدءاً بالشيخ الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠هـ ، ثم من جاء بعده حتى اليوم ، كيما تتكشف لنا حلقات سلسلة الدرس الفلسفي عبر تاريخ الحوزة العلمية الذي يناهز الألف عام ، وما تخلله من حالات ازدهار وانكماش في نشاطها العلمي . وفيما يلي سلسلة هؤلاء الأعلام :

١ ـ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ) .

تقدم الحديث عن آثاره الكلامية ، وعمله التأسيسي في الدور الأول من أدوار مدرسة النجف الفلسفية .

---

(١) هويدي ، محمد رشيد ، صفحة من رحلات الإمام الزنجاني وخطبه ، النجف : مطبعة الغري ، ١٩٤٧م ، ص٤٢٤ .

٢ ـ رضي الدين نجم الأئمة محمد بن الحسن الاسترابادي النجفي المتوفى سنة ٦٨٦هـ .

متكلم ، منطقي ، نحوي ، أقام بالنجف ومارس التدريس والتأليف فيها[(١)] .

٣ ـ عبد الرحمن القدسي (القرن الثامن) .

أستاذ السيد حيدر الآملي ، قرأ عليه في النجف كتاب منازل السائرين وشرحه ، ثم كتاب فصوص الحكم مع شرحه ، ثم رسائل أخر ، وكان الآملي قد التقاه سنة ٧٥١هـ ، حينما كان القدسي مجاوراً بالمشهد الغروي المقدس ، وأجازه في رجب سنة ٧٥٣هـ . ووصف الآملي شيخه قائلاً : (وكان هناك شخص عارف كامل ، خامل الذكر بين الناس ، ولي من أولياء الله)[(٢)] .

٤ ـ السيد حيدر بن تاج الدين علي پادشاه الآملي (٧١٩ أو ٧٢٠هـ ـ) .

هبط النجف سنة ٧٥١هـ ، ومكث مجاوراً بالمشهد المقدس أكثر من ثلاثين سنة ، أنجز فيها الشطر الأعظم من آثاره العلمية ، وكان قد اضطلع بدور رائد في تأسيس الحكمة العرفانية عند الشيعة الإمامية ، كما أشرنا لذلك فيما تقدم .

٥ ـ حسن الفتال النجفي (القرن التاسع) .

فقيه ، كان حيّاً سنة ٩٠٢هـ ، قرأ «حكمة الإشراق» للسهروردي على الفيلسوف المعروف جلال الدين الدواني المتوفى سنة ٩٠٧هـ ، عندما زار الأخير النجف ومكث فيها فترة أتيح له فيها أن يؤلف بعض الكتب ، ويدرس حكمة الإشراق[(٣)] .

٦ ـ خضر الحبلة رودي نجم الدين بن شمس الدين محمد بن علي الرازي ثم النجفي .

قرأ المعقول بشيراز على السيد شمس الدين محمد بن المير سيد شريف الجرجاني المتوفى سنة ٨٣٨هـ والمتوفى والده الجرجاني سنة ٨١٦هـ ، ثم ذهب إلى الحلة وفيها ألف بعض تصانيفه ، ثم جاور بالنجف ، له عدة آثار في المعقول ، منها «جامع الدرر

---

(١) الأميني ، محمد هادي . معجم رجال الفكر والأدب في النجف ، ١ : ١١٢ ـ ١١٣ .

(٢) الآملي ، حيدر . تفسير المحيط الأعظم . ص٥٣١ .

(٣) الطهراني . الذريعة ، ١٢ : ٦٣ ، والأمين محسن . أعيان الشيعة . بيروت : دار التعارف ، ٥ : ١٥٠ .

في شرح الباب الحادي عشر» ومختصره الموسوم «مفتاح الغرر» ألفه في الغري عام ٨٣٦هـ[(١)] .

٧ ـ ملا عبدالله بن شهاب الدين حسين اليزدي ، المتوفى سنة ٩٨١هـ .

فقيه ، منطقي ، اشتهر في المعقول حتى ظن فيه أنه لا خبرة له بغيره ، وقد قال : إني لو شئت أن أقيم على كل مسألة برهاناً من أدلة المعقول بحيث لم يكن لأحد رده لفعلت ، له آثار عديدة في المعقول ، من أشهرها «الحاشية على التهذيب» للتفتازاني ، وهي المعروفة بـ«حاشية ملا عبدالله» ، فرغ منها في الغري سنة ٩٦٧هـ[(٢)] .

٨ ـ الأمير فيض الله بن عبد القاهر الحسيني النجفي (كان حياً سنة ١٠١٣هـ) .

فقيه من تلامذة المقدس الأردبيلي ، تصدىٰ للتدريس وتخرج عليه نفر من الفقهاء والأكابر .

من آثاره : تعليقات على ألغيات شرح التجريد[(٣)] .

٩ ـ محمد مهدي بن أبي ذر النراقي النجفي (١١٢٨ ـ ١٢٠٩هـ) .

فقيه ، حكيم ، متكلم ، من تلامذة الوحيد البهبهاني ، والشيخ يوسف البحراني ، أقام بالنجف ، وتصدى للتدريس والتأليف فيها ، ترك آثاراً عديدة في المعقول ، من أشهرها : شرح الإلهيات من كتاب الشفاء[(٤)] .

١٠ ـ محمد بن علي بن محمد حسين الزنجاني المتوفى سنة ١٢٢٠هـ .

فقيه ، حكيم ، متكلم ، من تلامذة السيد مهدي بحر العلوم ، والشيخ جعفر كاشف الغطاء . من آثاره : تحفة الأنام في شرح منظومة الكلام ، ومنظومة في الكلام ، والدلائل في الإمامة[(٥)] .

١١ ـ أحمد بن زين الدين بن إبراهيم الأحسائي (١١٦٦ ـ ١٢٤١هـ) .

عالم مشارك في علوم عديدة غزير الانتاج ، في العشرين من عمره هاجر إلى

---

(١) الطهراني ، آغا بزرك . طبقات أعلام الشيعة : القرن التاسع . ص٥٥ .
(٢) آل محبوبة ، جعفر . ماضي النجف وحاضرها ، ٣ : ٣٨٥ ـ ٣٨٦ .
(٣) الأميني . مصدر سابق ، ١ :٣٠٩ .
(٤) الأميني . مصدر سابق ، ٣ : ١٢٨٦ .
(٥) م .ن .ص٦٤١ .

النجف ، وحضر لفترة على الشيخ جعفر كاشف الغطاء وغيره من الأعلام ، واضطر لمغادرة النجف إثر الطاعون الذي اجتاحها وقتئذ ، وتنقل بين عدة مدن في العراق وإيران .

تبنى منهجاً خاصاً في فهم النصوص وتأويلها ، فانتهى إلى بعض الآراء والمواقف التي أثارت طائفة من الأعلام المعاصرين له والمتأخرين عنه . فمثلاً قال في ترجمته السيد محسن الأمين : إن (لصاحب الترجمة وأمثاله من الكشفية شطحات وعبارات معميات من خرافات وأمور تلحق بالسخافات ، تشبه شطحات بعض الصوفية . . . منها ما رأيته في رسالة له صغيرة مخطوطة ذهب عني اسمها ، وقد سأله سائل عن الدليل على وجود المهدي عليه السلام ، ليجيب به مَنْ اعترض عليه فيه ، فأجابه بعبارات لا تُفهم ، تشبه هذه العبارة : إذا التقى كاف الكينونة مع باء البينونة ، مع كثير من أمثال هذا التعبير ، ظهر ما سألت عنه ، ثم قال له : ابعث بهذا الجواب إلى المعترض ، فإن فهمه فقد أخزاه الله ، وإن لم يفهمه فقد أخزاه الله . فقلتُ لما رأيتُ ذلك : إن كان بعث إليه بهذا الجواب ، فلا شك أنه لم يفهمه ، وقد أخزاه الله . وفي الناس مَنْ يُدافع ويُحامي عن أمثال هذه الشطحات والعبارات المعميات ، ويقول : لا بد أن يكون لهم فيها مقصد صحيح ، ولا يجب إذا لم نفهم المراد منها أن نقدح فيها ، وهو قول مَنْ لا يعقل ولا يفهم أو لا يحب أن يعقل ويفهم)[١] .

وقد تبنى طائفة من عامة الناس آراءه واتبعوا طريقته ، فاشتهروا باسم «الشيخية» ، أي أتباع الشيخ أحمد ، كما يعرفون بـ«الكشفية» (نسبة إلى الكشف والإلهام الذي يدعيه هو ويدعيه له أتباعه)[٢] .

من آثاره : بيان حقيقة العقل والروح والنفس ، شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، شرح الحكمة العرشية لملا صدرا الشيرازي ، تحقيق الجواهر الخمس والأربع عند الحكماء والمتكلمين والأجسام الثلاثة والأعراض الأربعة والعشرين ومادة الحوادث وبعض مسائل الفقه ، معنى الامكان والعلم والمشيئة وغيرها ، شرح علم الصناعة والفلسفة وأحوالها ، الوجودات الثلاثة الوجود الحق والوجود المطلق والوجود المقيد ، شرح المشاعر لملا صدرا الشيرازي[٣] .

---

(١) الأمين ، محسن . أعيان الشيعة . تحقيق : حسن الأمين . بيروت : دار التعارف ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م ، ٢ : ٥٩٠ .

(٢) ن .م ، ص٥٨٩ .

(٣) ن .م ، ص٥٩١ ـ ٥٩٣ .

١٢ ـ محمد حسين بن آقا محمد إسماعيل بن محمد مهدي الأردستاني اليزدي الحائري المتوفى سنة ١٢٧٣هـ .

فقيه ، محقق ، هاجر إلى النجف فحضر درس الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر ، والشيخ مرتضى الأنصاري ، ثم انتقل إلى كربلاء . من آثاره : القسطاس المستقيم في المنطق ، المكيال القويم في علم الميزان ، تعليقة على حاشية ملا عبدالله على التهذيب[(١)] .

١٣ ـ ملا باقر التركي النجفي المتوفى سنة ١٢٧٣هـ .

عالم ، محقق في العلوم الرياضية والهيئة ، كان معاصراً للشيخ محمد حسن صاحب الجواهر ومن أخصائه ، وقال البعض : إن كل ما يتعلق بالعلوم العقلية في كتاب «جواهر الكلام» كان منه[(٢)] .

١٤ ـ يعقوب بن مقيم بن الشريف بن مقيم الدرزي البارفروشي المازندراني المتوفى بعد ١٢٧٤هـ .

هاجر إلى النجف للدراسة ، تتلمذ على الشيخ مرتضى الأنصاري وغيره .
من آثاره : حاشية الأسفار[(٣)] .

١٥ ـ محمد بن عبدالله بن حمد الله بن محمود حرز الدين (١١٩٣ ـ ١٢٧٧هـ) .

فقيه منطقي ، تتلمذ على الشيخ محمد حسين الكاظمي ، وصاحب الجواهر ، والسيد مهدي القزويني ، من آثاره : حاشية في المنطق ، شرح الشمسية لقطب الدين الرازي[(٤)] .

١٦ ـ موسى بن حسن بن أحمد بن محمد بن محسن المحسني الربعي المدني الأحسائي الفلاحي (١٢٣٩ ـ ١٢٨٩هـ) .

هاجر إلى النجف ، وحضر على يد أعلامها يومذاك ، مشارك في عدة علوم ، كان خبيراً بالمنطق وكافة العلوم العقلية . من آثاره : منظومة في المنطق أسماها الباكورة[(٥)] .

---

(١) الأميني ، محمد هادي . مصدر سابق ، ١ : ١٠٤ .
(٢) حرز الدين ، محمد . مصدر سابق ، ١ : ١٢٥ ـ ١٢٦ .
(٣) الأميني ، محمد هادي . مصدر سابق ، ٣ : ١١٣٨ .
(٤) الأميني ، محمد هادي . مصدر سابق ، ١ : ٤٠٦ .
(٥) حرز الدين ، محمد . مصدر سابق ، ٣ : ٤٣ ـ ٤٤ .

١٧ ـ ميرزا باقر الشكي النجفي المتوفى سنة ١٢٩٠هـ .

فقيه ، حكيم ، خبير في العلوم العقلية ، كان يقيم في «مدرسة المعتمد» في النجف من دون أن تكون له دار ولا عيال ، حتى توفي فيها ، ولم يكن يلبس عمامة لتواضعه وإنما كان يلبس قلنسوة من جلود حمل الضأن الأسود ، ويعتذر عن عدم لبس العمامة التي هي شعار العلماء وأهل الدين بأنه غير قابل للبسها[(١)] .

١٨ ـ محمد تقي الگلبايگاني النجفي (١٢١٨ ـ ١٢٩٨هـ) .

فقيه ، محقق في الحكمة والفلسفة والكلام والمعقول ، كان ورعاً زاهداً متواضعاً ، عاش في النجف في حجرة من الطابق الأعلى في الصحن الشريف ، وهو من أصحاب ميرزا باقر الشكي . من آثاره : شرح أصول الكافي ، رسالة في علم الكلام[(٢)] .

١٩ ـ ميرزا حسن التستري النجفي المتوفى سنة ١٢٩٨هـ .

محقق ، خبير في العلوم الرياضية والهيئة ، والحكمة والعلوم العقلية ، كان من مشاهير الأساتذة في النجف ، حضر عليه طائفة من العلماء العلوم العقلية منهم الميرزا حسن ابن الميرزا خليل الطهراني المتوفى سنة ١٣٠٨هـ[(٣)] .

٢٠ ـ حسين بن موسى بن إبراهيم الحسيني البناء الجصاني النجفي (القرن الثالث عشر) .

كان من أساتذة الكلام في القرن الثالث عشر الهجري في النجف . من آثاره : رسالة في الكلام[(٤)] .

٢١ ـ ميرزا موسى بن فضل الله بن هادي الحسيني الهمداني المعروف بالكلانتري (١٢٣٧ ـ ١٣٠٤هـ) .

هاجر إلى النجف وأقام فيها مدة ، حضر على فضلائها ، ثم رحل إلى بلاده ، وكان

---

(١) ن م ، ١ : ١٢٧ ـ ١٢٩ .
(٢) ن م ، ٢ : ٢١١ ـ ٢١٣ .
(٣) ن م ، ١ : ٢٣٥ ـ ٢٣٦ .
(٤) الأميني ، محمد هادي . مصدر سابق ، ١ : ٣٥٤ .

قد أقام في سبزوار لمدة سنتين ، حضر على الحكيم الملا هادي السبزواري ، من آثاره : تعليقة على كتاب الأسفار ، رسالة في الحكمة الاشراقية[١] .

٢٢ ـ علي بن محمد بن طيب بن محمد بن نور الدين بن نعمة الله الموسوي الجزائري المعروف بالسيد علي الشوشتري (القرن الثالث عشر) .

فقيه ، عابد زاهد مرتاض متأله ، كان يحضر درس الفقه والأصول للشيخ مرتضى الأنصاري ، فيما كان الأنصاري يحضر درس السيد علي الشوشتري الأسبوعي في الأخلاق . كان له دور رائد في ارساء أسس منهج التربية والارتياض الروحي في القرن الأخير في مدرسة النجف ، تخرج على يديه عدد من المتألهين المعروفين ، من أبرزهم المولى حسين قُلي الهمداني ، الذي واصل منهج أستاذه الشوشتري ، وأسهم في إعداد طائفة من التلامذة الذين عملوا على نشر هذا المنهج وتعميمه في حوزات أخرى خارج النجف[٢] .

٢٣ ـ محمد بن هاشم بن محسن بن علي الغالبي الموسوي الشرموطي النجفي (١٢٥٢ ـ ١٣٠٨هـ) .

فقيه ، محقق ، كان أستاذاً في الفلسفة ، والهيئة وغيرها ، من آثاره : الحكمة الجديدة[٣] .

٢٤ ـ المولى حسين قُلي بن رمضان الشوندي الهمداني النجفي (١٢٣٩ ـ ١٣١١هـ) .

فقيه ، متأله ، من أبرز أساتذة الأخلاق في النجف في عصره ، سافر إلى سبزوار ومكث فيها مدة ، لازم خلالها درس الحكيم ملا هادي السبزواري ، ثم هاجر إلى النجف ، فحضر على الشيخ مرتضى الأنصاري سنوات عديدة ، كما حضر على السيد علي الشوشتري الأخلاق[٤] ، فتلقى من الأخير منهج السير والسلوك وأصبح عقيب وفاة أستاذه الشوشتري من أبرع الأساتذة في هذا الفن ، فلم يكن في زمانه مَنْ يماثله

---

(١) حرز الدين ، محمد . مصدر سابق ، ٣ : ٥٠ .

(٢) الأمين ، محسن . مصدر سابق ، ٨ :٣١٦ .

(٣) حرز الدين ، محمد . مصدر سابق ، ٢ : ٣٦٣ ـ ٣٦٥ .

(٤) الطهراني ، آغا بزرك . نقباء البشر في القرن الرابع عشر ، ٢ : ٦٧٤ ـ ٦٧٨ .

في علم الأخلاق وتهذيب النفوس ، انتفع بدرسه عدد وافر من الفضلاء ، كان من أشهرهم السيد أحمد الكربلائي ، والسيد محمد سعيد الحبوبي ، والسيد جمال الدين الحسيني المعروف بالأفغاني ، والسيد حسن الصدر ، والشيخ محمد البهاري ، والشيخ موسى شرارة ، والشيخ علي القمي ، وغيرهم[(١)] .

ويعود الفضل للمولى الهمداني في امتداد المدرسة السلوكية التي أرسى أسسها استاذه السيد الشوشتري إلى حواضر علمية أخرى في العالم الإسلامي ، فقد نفذت إلى الأزهر من خلال تلميذه السيد جمال الدين ، فيما انتشرت في الحوزات العلمية الأخرى خارج النجف عبر تلامذة الهمداني الآخرين ، ولم تزل تتدفق حيوية يتوارثها التلامذة جيلاً بعد جيل من مشايخهم .

٢٥ ـ السيد جمال الأفغاني (١٢٥٤ ـ ١٣١٤/ ١٣١٥هـ) .

رائد الإصلاح والتجديد في العصر الحديث في العالم الإسلامي ، تنقل بين عدة بلدان ، هبط النجف ومكث فيها أربع سنوات متتالية ، حضر فيها على الشيخ مرتضى الأنصاري ، والمولى حسين قُلي الهمداني ، ويبدو أنه تلقى المعقول والتجربة السلوكية من الأخير ، وهي التي أتاحت له القدرة على مقاومة مختلف الظروف واجتياز أعنف الإرهاصات التي واجهها في حياته بنجاح ، وهو يطوف حواضر العالم الإسلامي وقتئذ ، ولا يمكث مدة بمكان حتى تتجاوب مع دعوته للإصلاح النخبة وتلتف حوله الجماهير ، فيُفزع ذلك السلطات الحاكمة ، مما يدعوها إلى محاصرته والتشديدعلى دعوته ، ثم نفيه[(٢)] . يعود له الفضل في نشر الفلسفة الإسلامية في مصر ، بعد أن كانت الفلسفة غائبة عنها ، وربما محظورة في بعض مدارسها الدينية[(٣)] .

وصفه جرجي زيدان بأنه : (قطب من أقطاب الفلسف) ، وتحدث تلميذه الشيخ محمد عبده عن بداية معرفته به قائلاً :

(إن أحد المجاورين الشوام قال لي : إنه جاء مصر عالم أفغاني عظيم وهو يقيم في خان الخليلي فسررت بذلك ، وأخبرت الشيخ حسن الطويل مدرس المنطق والفلسفة

(١) الأمين ، محسن . مصدر سابق ، ٦ :١٣٦ .

(٢) ن .م ، ٤ : ٢٠٦ ـ ٢١٦ . ومطهري ، مرتضى . الإسلام وإيران ، ٣ : ١٧٢ . مهدوي ، أصغر وايرج أفشار مجموعة إسناد ومدارك چاپ نشده درباره سيد جمال الدين . ص١٠٠ ـ ١٠١ .

(٣) أمين ، أحمد . ضُحى الإسلام ، ١ : ١٩٠ ـ ١٩١ .

بالأزهر ودعوته إلى زيارته ، فوجدته يتعشّى ، فدعانا إلى الأكل معه فاعتذرنا ، فطفق يسألنا عن بعض آيات القرآن وما قاله المفسرون والصوفية فيها ثم يفسرها لنا ، فكان هذا مما ملأ قلوبنا به عجباً وحباً . لقد اهتدى إليه كثير من طلبة العلم واستوروا زنده فأورى ، واستفاضوا بحره ففاض دراً ، وحملوه على تدريس الكتب فقرأ من الكتب العالية في فنون الكلام الأعلى والحكمة النظرية طبيعية وعقلية ، وفي علم الهيئة الفلكية وعلم التصوف وعلم الفقه الإسلامي . . . قرأ لهم وشرح كتباً مثل : «الزوراء» للدواني في التصوف ، و«شرح القطب على الشمسية» و«المطالع» و«سلم العلوم» في المنطق ، و«الهداية» و«الاشارات» و«حكمة العين» و«حكمة الإشراق» في الفلسفة ، و«عقائد الجلال الدواني» في التوحيد ، و«التوضيح» و«التلويح» في الأصول و«الجغميني» و«تذكرة الطوسي» في الهيئة القديمة وكتاباً آخر في الهيئة الجديدة)[١] .

وقد وصف المفكر الفرنسي المعروف أرنست رينان (١٨٢٣ ـ ١٨٩٢م) السيد جمال الدين حين التقاه في شهر آذار عام ١٨٨٣م في باريس بقوله : (قليلون هم الذين تركوا في نفسي انطباعاً أقوى مما تركه هو . . . وقد جعلني تحرُّر تفكيره وشخصيته النبيلة الوفية ، أتمثله وأنا أتحدث إليه واحداً من معارفي القدامى وقد عادت إليه الحياة مثل ابن سينا وابن رشد أو سواهما . .)[٢] .

بالرغم من استيعاب النشاط العملي والاجتماعي والسياسي لحياة السيد جمال الدين ، لكنه استطاع أن يؤلف بعض الكتب ، منها : رسالة في الرد على الدهريين ، التعليقات على شرح الدواني للعقائد العضدية ، رسالة الواردات في سر التجليات .

٢٦ ـ أبو الفضل بن أبو القاسم بن محمد علي بن هادي الكلانتري النوري الطهراني (١٢٧٣ ـ ١٣١٦هـ) .

فقيه ، حكيم ، متكلم ، رياضي ، مفسر ، هاجر إلى النجف وحضر على الأعلام فيها . من آثاره : حاشية الأسفار[٣]

---

(١) أبو حمدان ، سمير . جمال الدين الأفغاني . بيروت : الشركة العالمية للكتاب ، ١٩٩٢م ، ص٢٨ ـ ٢٩ ، ٦٥ .

(٢) ن .م ، ص١٣٠ ـ ١٣١ .

(٣) الأميني ، محمد هادي . مصدر سابق ، ٢ : ٨٥٦ .

٢٧ ـ محمد هادي بن محمد أمين الطهراني النجفي المعروف بالمدرس (١٢٥٣ ـ ١٣٢١هـ) .

فقيه ، متكلم ، هاجر إلى النجف وحضر على الشيخ مرتضى الأنصاري ، والسيد محمد حسن الشيرازي . من آثاره : الحق اليقين في علم الكلام ، التوحيد ، رسالة في الفرق بين الوجود والماهية ، رسالة في علمه تعالى ، رسالة في الإمامة[1] .

٢٨ ـ علي بن محمد بن علي بن إسماعيل الموسوي الغريفي البحراني النجفي المتوفى سنة ١٣٢١هـ .

فقيه ، محقق ، خبير في العلوم العقلية ، والهيئة ، والحساب ، كان يدرس هذه العلوم في النجف ، حضر على الشيخ محمد طه نجف ، والشيخ محمد حسين الكاظمي . من آثاره : أرجوزة في المنطق ، أرجوزة في علم الهيئة والهندسة[2] .

٢٩ ـ محمد باقر بن عبد المحسن بن سراج الدين الاصطهباناتي الشيرازي الشهيد سنة ١٣٢٦هـ .

فقيه ، حكيم ، محقق في العلوم العقلية والنقلية ، قصد سامراء وحضر على الميرزا محمد حسن الشيرازي ، ثم عاد إلى النجف ، وتمحض لتدريس الفلسفة ، حيث درّس «كتاب الأسفار» و«شرح التجريد» .

وكان قد تتلمذ في المعقول على الحكيم محمد رضا القمشه أي في طهران ، الذي يعتبر أحد أبرز أساتذة الفلسفة والعرفان وقتئذ في إيران .

عاش منزوياً فقيراً في النجف ، يوم ترك طلاب العلوم الدينية العلوم العقلية وانصرفوا لدراسة الفقه والأصول فحسب ، حتى هجرت تلك العلوم وباتت لا تُدرس بل لا يتوفر لها مدرس[3] ، بيد أنه كان ينتهز فرصة تعطيل دروس الفقه والأصول ليبدأ تدريس مباحث الحكمة المتعالية لصدر الدين الشيرازي ، كما يحكي تلميذه السيد النجفي القوچاني أنه كان هو وجماعة من الطلاب في زيارته قبيل شهر رمضان

(١) الأميني ، محمد هادي . مصدر سابق ، ٢ : ٨٥٦ ـ ٨٥٧ . وحرز الدين ، محمد . مصدر سابق ، ٣ : ٢٢٥ ـ ٢٢٨ .

(٢) حرز الدين ، محمد . مصدر سابق ، ٢ : ١٢١ ـ ١٢٣ .

(٣) حرز الدين ، محمد . مصدر سابق ، ١ : ٢٣٦ .

المبارك ، فقال لهم : (أليس من المناسب في شهر رمضان المبارك أن ندرس مباحث الملا صدرا التي وصلتني مناولة ، كي يصبح واضحاً أن مقاصده رحمه الله كانت هي الحق ، وليس كما يدل ظاهر كلماته التي أدت إلى التوهم وأوجبت تكفيره ، وأن أحقية بحث مواضيعه منحصرة بي وبكم ، وهي موضوعات جيدة إذا اجتهدتم فيها)[١] .

تعلم الحكمة المتعالية على يده عدد من التلاميذ ، كان من أشهرهم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، والشيخ محمد حسين الأصفهاني[٢] . قُتل غيلة في شيراز سنة ١٣٢٦هـ .

٣٠ ـ محمد بن محمد تقي بن رضا بن محمد مهدي بحر العلوم الطباطبائي النجفي (١٢٦١ ـ ١٣٢٦هـ) .

فقيه ، محقق في المعقول والكلام ، حضر المعقول على الحكيم الشيخ ملا باقر الشكي[٣] .

٣١ ـ ملا محمد كاظم بن حسين الهروي الخراساني النجفي المعروف بالآخوند الخراساني (١٢٥٥ ـ ١٣٢٩هـ) .

فقيه ، أصولي ، فيلسوف ، بدأ دراسته في مشهد ، ثم غادرها سنة ١٢٧٧هـ قاصداً النجف ، وفي طريقه مر بسبزوار فمكث فيها من رجب ١٢٧٧هـ إلى ذي الحجة من العام نفسه متلمذاً على الحكيم الملا هادي السبزواري ، ثم واصل رحلته إلى النجف ، بيد أنه حينما مر بطهران استقر في مدرسة الصدر ثلاثة عشر شهراً وعشرين يوماً ، حضر فيها على الحكيم أبا الحسن جلوه ، وحسين الخوئي في الفلسفة ، ثم انصرف إلى النجف وأدرك الشيخ مرتضى الأنصاري فحضر درسه ، وبعد وفاته اختلف إلى مجلس درس الميرزا السيد محمد حسن الشيرازي ، فكان أكثر أخذه منه .

بعد أن هاجر أستاذه الميرزا الشيرازي إلى سامراء بقي هو في النجف وأصبح أبرز أستاذ في حوزتها العلمية ، وتخرج عليه عدد غفير من الفقهاء والمحققين ، من آثاره : تعليقة على أسفار ملا صدرا الشيرازي ، تعليقة على منظومة السبزواري[٤] .

---

(١) السيد النجفي القوچاني . مصدر سابق . ص٢٢٩ .
(٢) الطهراني ،آغا بزرك . نقباء البشر ، ١ : ٢١٢ ـ ٢١٣ ، والأمين ، محسن . أعيان الشيعة ، ٩ : ١٨٧ .
(٣) حرز الدين ، محمد . مصدر سابق ، ٢ : ٣٨١ ـ ٣٨٣ .
(٤) الأمين ، محسن ، مصدر سابق ، ٩ : ٥ ـ ٦ . وحرز الدين محمد . مصدر سابق ، ٢ : ٣٢٣ ـ ٣٢٥ .

٣٢ ـ أحمد الشيرازي المتوفى حدود ١٣٣٠هـ .

فقيه ، حكيم ، متأله ، رياضي ، هاجر إلى النجف وصار مدرساً فيها ، وكان محل درسه بالمدرسة القوامية ، من تلامذته في المعقول الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء[١] .

٣٣ ـ أحمد بن إبراهيم الموسوي الطهراني الحائري النجفي المعروف بالسيد أحمد الكربلائي المتوفى سنة ١٣٣٢هـ .

فقيه ، متأله ، كان من خواص المولى حسين قُلي الهمداني ، ومن تلامذة الميرزا الشيرازي ، وحبيب الله الرشتي ، وحسين الخليلي ، وصفه الشيخ آغا بزرك الطهراني بأنه كان (أوحدي عصره في مراتب العلم والعمل والسلوك والزهد والورع والتقوى والمعرفة بالله والخوف والخشية منه ، كان يصلي في الخلوات ويتحذر من اقتداء الناس به في الصلوات ، وكان كثير البكاء حتى أنه لا يملك نفسه في صلاته لا سيما في النوافل الليلية ، وقد فزت سنين بقرب داري من داره وشاهدت منه في المدة أموراً يطول ذكرها ، وكان خدوماً لأمه باراً بها وتوفي قبلها)[٢] .

أهم أثر خلفه هو مجموعة المكاتبات حول التوحيد التي جرت بينه وبين الشيخ محمد حسين الأصفهاني المعروف بالكمپاني ، وقصة هذه المكاتبات كما يلي :

سأل الشيخ اسماعيل التبريزي المتخلص بتائب الآخوند ملا محمد كاظم الخراساني عن معنى بيت شعر يرتبط بمسألة التوحيد ، للشاعر الفارسي ، العطار النيشابوري في «منطق الطير» ، فأجابه الآخوند الخراساني جواباً مختصراً لم يتجاوز ثلاثة أسطر . بعد ذلك وجه إسماعيل التبريزي رسالة تتضمن السؤال نفسه إلى الشيخ محمد حسين الأصفهاني ، فكتب الأخير جواباً مفصلاً اشتمل على بيان مسألة التوحيد في ضوء مباني الحكماء ، وجاء فيه : إن الصفات الثبوتية للحق تعالى عين ذاته .

وكان التبريزي قد بعث السؤال ذاته في رسالة أخرى للسيد أحمد الكربلائي ، فكتب جواباً أوضح فيه مسألة التوحيد في ضوء مذاق العرفاء ، جاء فيه : إن ذاته

---

(١) الأمين ، محسن . مصدر سابق ، ٢ : ٦٠٣ . وكاشف الغطاء ، محمد حسين . الفردوس الأعلى . ص يه .

(٢) الطهراني ، آغا بزرك . نقباء البشر ، ١ : ٨٧ ـ ٨٨ .

المقدسة أسمى من كل اسم ورسم ، ومعنى البيت هو : إن الأشياء لا يمكنها الوصول لذلك المقام المنيع ، والعقل لا يقدر على إدراك ذلك لأنه سيفنى ويضمحل قبل بلوغه ذلك المقام .

فما كان من الشيخ التبريزي إلاّ أن أعطى جواب الشيخ الأصفهاني للسيد الكربلائي وبالعكس ، فكتب الكربلائي مجدداً جواباً ينقض فيه ما أفاده الأصفهاني ، وفعل الأصفهاني الشيء نفسه ، فبادل التبريزي بينهما الإجابتين ، فكتبا من جديد ، وتواصل الحوار الفلسفي العرفاني بينهما حتى دوّن كل واحد منهما سبع رسائل استوعبت المهم من مباحث التوحيد ، فكان محور ما كتبه الكربلائي هو الدفاع عن مذهب العرفاء في التوحيد مستعيناً بالبرهان والذوق والشهود والوجدان ، فيما دافع الأصفهاني عن مذهب الحكماء معتمداً على البرهان . وفي خاتمة المطاف جمع التبريزي هذه المكاتبات ونشرها سنة ١٣٢٩هـ في مجموعة تحت عنوان «تذكرة المتقين» بعد أن ضم إليها بعض مكاتيب الشيخ محمد البهاري الهمداني ، والمولى حسين قُلي الهمداني[(١)] .

وقد أضحت لمكاتبات الكربلائي والأصفهاني أهمية خاصة في الحقبة التالية بين الحكماء المتألهين ، فمثلاً اعتمدها العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي كمتن دراسي فدرسها لبعض طلابه في أيام الخميس والجمعة والعطل في الحوزة العلمية في قم ، وعمد إلى كتابة تذييلات ومحاكمات على الثلاثة الأولى منها ، ثم جاء تلميذه السيد محمد حسين الطهراني فكتب تتمة لتذييلات أستاذه العلامة الطباطبائي على ما تبقى منها[(٢)] .

تجدر الإشارة إلى أن المدرسة السلوكية في النجف امتدت من السيد علي الشوشتري عبر تلميذه المولى حسين قلي الهمداني ، ومن الأخير إلى تلميذه السيد أحمد الكربلائي ، ومن الثالث إلى تلميذه الميرزا علي القاضي الطباطبائي التبريزي (١٢٨٥ ـ ١٣٦٦هـ) ، ثم أخيراً إلى تلميذ القاضي السيد محمد حسين الطباطبائي .

---

(١) الطهراني آغا بزرك ، مصدر سابق ، ١ : ٨٧ ـ ٨٨ .

(٢) الطهراني ، محمد حسين . توحيد علمي وعيني (بالفارسية) . طهران : انتشارات حكمت ، ص١١ ـ ٤٩ (يشتمل هذا الكتاب على مجموع المكاتبات مع تذييلات ومحاكمات الطباطبائي وتتمة التذييلات للطهراني) .

٣٤ ـ محمد علي بن محمد حسن بن محمد علي بن نصير الدين الإمامي الخوانساري النجفي (١٢٥٤ ـ ١٣٣٢هـ) .

فقيه ، مشارك في عدة علوم ، خبير في الهيئة والرياضيات ، هاجر إلى النجف ، وحضر على الميرزا محمد حسن الشيرازي قبل انتقاله إلى سامراء ، تصدى للتدريس فتخرج عليه عدد من الفضلاء ، من آثاره : حاشية منظومة السبزواري(١) .

٣٥ ـ فتح الله بن محمد جواد النمازي الشيرازي المعروف بشيخ الشريعة الأصفهاني (١٢٦٦ ـ ١٣٣٩هـ) .

فقيه ، محقق في المعقول والمنقول ، هاجر إلى النجف من أصفهان ، وأصبح من أبرز الأساتذة ، أسهم بتدريس الفلسفة ، تقلد المرجعية ، وقاد حركة الجهاد ضد الانجليز في العراق بعد وفاة الميرزا محمد تقي الشيرازي سنة ١٣٣٨هـ . من آثاره : رسالة في علم الله تعالى ، قاعدة الواحد البسيط لا يصدر عنه إلاّ واحد(٢) .

٣٦ ـ ميرزا جواد الملكي التبريزي المتوفى سنة ١٣٤٣هـ .

فقيه ، أخلاقي ، من ذوي السير والسلوك ، هاجر إلى النجف ، وحضر على الشيخ آغا رضا الهمداني ، والآخوند محمد كاظم الخراساني ، وتربى على يد الأخلاقي المعروف المولى حسين قُلي الهمداني ، وهو أحد الذين امتدت من خلالهم المدرسة السلوكية للهمداني إلى الحوزة العلمية في قم بعد أن عاد إلى إيران وتوطن قم سنة ١٣٢١هـ . من آثاره : أسرار الصلاة(٣) .

٣٧ ـ محمد بن ناصر بن علي بن علي بن أحمد بن نمر العوامي (١٢٧٧ ـ ١٣٤٨هـ) .

مشارك في عدة علوم ، هاجر إلى النجف وحضر على بعض الأعلام ، وتصدى للتدريس ، من آثاره : حاشية على إشارات ابن سينا ، الدر النظيم في معرفة الحادث والقديم(٤) .

---

(١) الأميني ، محمد هادي . مصدر سابق ، ٢ : ٥٥١ ـ ٥٥٢ .
(٢) ن .م ، ٢ : ٧٦٧ . وكاشف الغطاء ، محمد حسين ، الفردوس الأعلى . ص يج .
(٣) م .ن ، ٣ : ١٢٤٢ . والأمين ، محسن . مصدر سابق ، ٤ : ٢٥٤ .
(٤) ن .م ، ٢ : ٩٠٨ .

٣٨ ـ محمد جواد البلاغي (١٢٨٢ ـ ١٣٥٢هـ) .

فقيه ، مفسر ، متكلم ، غيور في الدفاع عن العقيدة ، حضر في النجف على الشيخ محمد طه نجف ، والشيخ آغا رضا الهمداني ، والآخوند الخراساني ، وحضر في سامراء على الميرزا محمد تقي الشيرازي ، تصدى لمقاومة حركة التبشير المسيحي ، والفرق الهدامة ، وتعلم لأجل ذلك الانجليزية والعبرانية ، يعد من مجددي القرن الأخير في الحوزة ، من آثاره : الهُدى إلى دين المصطفى (في الرد على النصارى) ، الرحلة المدرسية أو المدرسة السيارة (في الرد على اليهود والنصارى) ، أعاجيب الأكاذيب (في الرد على النصارى) ، التوحيد والتثليث (في الرد على النصارى) ، عَمّانوئيل (في المحاكمة مع بني إسرائيل) ، داعي الإسلام وداعي النصارى (في الرد على النصارى) ، رسالة في الرد على جرجيس سايل وهاشم العربي (في الرد على النصارى) ، رسالة في الرد على كتاب «ينابيع الإسلام» (في الرد على النصارى) ، رسالة في الرد على كتاب «تعليم العلماء» (في الرد على النصارى) ، المسيح والأناجيل (في الرد على النصارى) ، نور الهدى (في الرد على بعض الشبهات) ، البلاغ المبين (في الإلهيات) ، أنوار الهدى (في الرد على الطبيعيين والماديين وشبهاتهم الإلحادية) ، مصابيح الهدى (في الرد على القاديانية) ، الشهاب (في الرد على كتاب «حياة المسيح» للقاديانية) ، نصائح الهدى (في الرد على البابية) ، قصيدة في معارضة قصيدة ابن سينا العينية في النفس ، داروين وأصحابه ، رسالة في البداء[1] .

٣٩ ـ حسين بن هاشم العوامي البحراني الخطي (١٢٧٨ ـ ١٣٥٨هـ) .

عالم فاضل ، خبير في المعقول ، درس في النجف ، ثم عاد إلى البحرين ، من آثاره : تعليق على شرح منظومة السبزواري في الحكمة ، حواشي وشروح في التوحيد والفقه والمنطق .

٤٠ ـ حسين بن رضا بن موسى الحسيني البادكوبي (١٢٩٣ ـ ١٣٥٨هـ) .

فقيه ، فيلسوف ، ولد في قرية من قرى بادكوبا ، وجهه والده لدراسة العلوم الإسلامية فبدأ تلقي المقدمات في موطنه ، ثم هاجر لطلب العلم إلى طهران ، فأقام في «مدرسة الصدر» ، ومكث في طهران سبع سنين ، حضر فيها على الحكيم أبا الحسن

---

(١) الطهراني ، آغا بزرك . مصدر سابق ، ١ : ٣٢٣ ، والأمين ، محسن . مصدر سابق ، ٤ : ٢٥٥ .

جلوه ، وميرزا هاشم الاشكوري وغيرهما ، ثم غادرها إلى النجف وحضر على الآخوند الخراساني والشيخ محمد حسن المامقاني وغيرهما .

عندما حل في النجف ازدهرت دراسة الفلسفة مجدداً على يديه ، حتى صارت النجف آنئذ أنشط حاضرة علمية تحتضن الدرس الفلسفي ، بل يمكن القول إن الفلسفة في هذه الفترة اتخذت حوزة النجف عاصمة لها بعد أن مكثت سنوات عديدة في طهران وسبزوار ومن قبلهما في أصفهان وشيراز .

ولو حاولنا أن نرصد أزمنة رحلة الدرس الفلسفي في الحواضر العلمية عند الشيعة ، كيما نحدد موقع الدرس الفلسفي الحديث في النجف ، سنرى هذه الرحلة تنطلق من شيراز نحو أصفهان في القرن العاشر الهجري ، وفي سماء أصفهان يبزغ نجم طائفة من الفلاسفة ، من أعرفهم السيد محمد باقر المشتهر بالمحقق الداماد المتوفى سنة ١٠٤٠هـ ، وتلميذه محمد بن إبراهيم القوامي الشيرازي المشتهر بصدر المتألهين الشيرازي وملا صدرا المتوفى سنة ١٠٥٠هـ ، ويستمر عطاء مدرسة أصفهان الفلسفي إلى منتصف القرن الثالث عشر مع الحكيم ملا علي النوري المتوفى سنة ١٢٤٦هـ وعبر أصفهان تتدفق الفلسفة نحو خراسان وطهران ، حيث دب النشاط الفلسفي في خراسان منذ القرن الثاني عشر وبلغ ذروة تطوره مع الحكيم ملا هادي السبزواري المتوفى سنة ١٢٨٩هـ ، والذي تعلم الفلسفة في أصفهان ، ولا يتوقف الدرس الفلسفي في خراسان بعد هذه الفترة ، إذ نلتقي بحكماء تواصل عطاؤهم إلى منتصف القرن الرابع عشر ، مثلما نلاحظ ذلك بالنسبة لـ آقا بزرك حكيم المتوفى سنة ١٣٥٥هـ . أما طهران فقد رحلت إليها الفلسفة من أصفهان في القرن الثالث عشر عندما بعث ملا علي النوري أحد أفضل تلامذته وهو ملا عبدالله الزنوزي إلى طهران بعد تأسيس مدرسة مروي ، ومع وصول الزنوزي تستعد طهران لوراثة الدور الفلسفي لمدرسة أصفهان ، فيبزغ في سمائها مجموعة من الفلاسفة ، من أبرزهم الحكيم محمد رضا صهباي قمشه أي المتوفى سنة ١٣٠٦هـ الذي هاجر إلى طهران من أصفهان في الفترة الأخيرة من حياته ، وعلي المدرس الزنوزي المتوفى سنة ١٣٠٧هـ وهو ابن عبدالله الزنوزي ، والميرزا أبو الحسن جلوه المتوفى سنة ١٣١٤هـ والذي جاء مهاجراً إلى طهران من أصفهان ، فأضحت طهران بوجود هؤلاء الحكماء الثلاثة أنشط حاضرة للدرس الفلسفي وقتئذ .

وفي النصف الأول من القرن الرابع عشر تنامى نشاط الدرس الفلسفي في النجف

بالتدريج ، بالرغم من المواقف المتشددة التي كان يبديها بعض الفقهاء إزاء الفلسفة والفلاسفة ، وكان وفود السيد حسين البادكوبي إلى النجف في ذلك الوقت أحد أهم العوامل في تنمية وترشيد حركة الدرس الفلسفي فيها .

فقد صوّرَ الشيخ الطهراني موقعه وأثره في تنشيط حركة الدرس الفلسفي في النجف قائلاً : (اشتهر بالفلسفة والعلوم العقلية وعُرفَ بالمهارة والخبرة والتحقيق والتدقيق ، وتخرج عليه في ذلك جمع من أفاضل الطَلاب ، وكان أحد اثنين عُرفا بذلك ، ونشرا علمهما بين المشتغلين ، والثاني هو الشيخ محمد حسين الأصفهاني الشهير بالكمپاني . . . فقد كانا كفرسي رهان دارت عليهما رُحى هذه العلوم في النجف طويلاً ، وكانا جديرين في الواقع ، حيث صرفا شطراً من عمرهما في تحصيل هذا الفن وإتقانه ، حتى حلا الذروة والسنام منه وبلغا فيه مبلغاً عظيماً ، ولم يكونا مختصين به فقد كانا مجتهدين في الفقه ، محققين في الأصول ، لكن شهرة ذلك غلبت عليهما)[١] .

كان السيد البادكوبي موضع ثقة الحوزة العلمية والمرجعية الدينية ، فمثلاً عهد اليه المرجع المعروف السيد أبو الحسن الأصفهاني حل الأسئلة والإشكالات في قضايا العقيدة والمعقول ، التي كانت ترد إلى المرجعية في النجف من شتى الأماكن ، بيد أن السيد الأصفهاني تبنى موقفاً متشدداً من دراسة الفلسفة بعد سنوات قليلة من وفاة السيد البادكوبي ، عندما حضر منح راتب الحوزة لمن يدرس الفلسفة ، واشترط على كل مَنْ يتقاضى الراتب الذي يدفعه أن يقتصر على دراسة الفقه والعلوم الشرعية فقط .

تتلمذ على السيد البادكوبي عدد غفير من الطلاب في المعقول والعرفان ، وأصبح بعضهم مراجع فيما بعد ، منهم : السيد محمد هادي الميلاني ، والسيد أبو القاسم الخوئي ، والسيد عبد الأعلى السبزواري . كما تتلمذ عليه السيد محمد حسين الطباطبائي ، الذي أحيا وطور الدرس الفلسفي في الحوزة العلمية في قم ، وامتدت من خلاله مدرسة النجف الفلسفية إلى قم والذي يعد مؤسس النهضة الراهنة للدرس الفلسفي في إيران ، والملا صدرا البادكوبي الذي واصل تجربة أستاذه السيد البادكوبي في النجف ، من آثار السيد البادكوبي : حاشية الأسفار ، حاشية الشوارق .[٢]

(١) الطهراني ، آغا بزرك . مصدر سابق ، ٢ : ٥٨٤ .
(٢) ن .م ، ٢ : ٥٨٥ .

٤١ ـ أبو عبدالله الزنجاني (١٣٠٩ ـ ١٣٦٠هـ) .

عالم فاضل ، مشارك في عدة علوم ، هاجر إلى النجف سنة ١٣٣١هـ ، فدرس على السيد محمد كاظم اليزدي ، وشيخ الشريعة الأصفهاني ، والسيد أبا الحسن الأصفهاني ، والشيخ محمد حسين النائيني ، والشيخ ضياء الدين العراقي ، مكث ثمانية أعوام في النجف ثم رجع إلى إيران ، فعمل أستاذاً للفلسفة والتفسير في جامعة طهران حتى توفي . من آثاره : كتاب الأفكار وهو كتاب فلسفي ، تعليق على كتاب بقاء النفس لنصير الدين الطوسي ، رسالة في قاعدة الواحد لا يصدر عنه إلاّ الواحد (استدرك عليها وقرضها أستاذه شيخ الشريعة الأصفهاني) ، الفيلسوف الفارسي صدر الدين الشيرازي[١] .

٤٢ ـ محمد حسين بن محمد حسن معين التجار الغروي الأصفهاني الشهير بالكمپاني (١٢٩٦ ـ ١٣٦١هـ) .

فقيه ، أصولي ، فيلسوف ، متبحر في علوم المعقول ، هاجر من الكاظمية إلى النجف بعد بلوغه عشرين عاماً ، تتلمذ على الحكيم محمد باقر الاصطهباناتي في المعقول ، وفي الفقه والأصول على السيد محمد الفشاركي ، والآخوند محمد كاظم الخراساني ، والشيخ آغا رضا الهمداني .

أضحى ثاني اثنين مع السيد حسين البادكوبي يمثلان محور حركة دراسة المعقول في النجف في النصف الأول من القرن الرابع عشر كما تقدمت الإشارة لذلك ، وان لم يكن الأصفهاني كالبادكوبي متمحضاً لتدريس المعقول وربما لم يشرع بتدريس متون الفلسفة والمعقول بشكل عام ، إلاّ في حالات قليلة ، كما فعل حين درّس المنظومة درساً خاصاً لتلميذه السيد أبا القاسم الخوئي ، بيد أن تدريسه للأصول كان يمتزج بالفلسفة حتى يغدو فيها البحث أحياناً بحثاً فلسفياً ، ويخرج عن كونه بحثاً أصولياً ، كما لاحظنا فيما سبق عند الحديث عن البحث الفلسفي في أصول الفقه في كتابه «نهاية الدراية في شرح الكفاية» .

وصفه تلميذه الشيخ محمد رضا المظفر بأنه (أعظم فلاسفة الإسلام الذين لا يسمح

---

(١) الأمين ، محسن . مصدر سابق ، ٢ : ٣٧٧ ـ ٣٧٨ .

بمثلهم الزمان إلاّ في فترات متباعدة ، لولا أن شيخنا غلب عليه الفقه والأصول وانقطع إليهما عن الظهور بالفلسفة)[١] .

تتلمذ عليه عدد كبير من الطلاب أصبح بعضهم من الأعلام في وقت لاحق ، مثل الشيخ محمد رضا المظفر ، والسيد محمد حسين الطباطبائي ، والسيد أبو القاسم الخوئي ، وكثير غيرهم .

من آثاره : «تحفة الحكيم وهي منظومة في الحكمة» ، قال عنها تلميذه المظفر : (أعلى آثاره الفلسفية وأغلاها أرجوزته في الحكمة والمعقول «تحفة الحكيم» التي هي آية من آيات الفن ، مع أسلوبها العالي السهل الممتنع ، جمعت أصول هذا الفن وطرائف هذا العلم بتحقيق كشف النقاب عن أسراره وأزاح الستار عن شبهاته)[٢] ، ديوان شعر في العرفان والحكمة ، مكاتباته مع السيد أحمد الكربلائي التي تقدم الكلام عنها في ترجمة حياة السيد الكربلائي[٣] .

٤٣ ـ الميرزا علي بن حسين بن أحمد بن رحيم الطباطبائي التبريزي القاضي (١٢٨٥ ـ ١٣٦٦هـ) .

مفسر ، فقيه ، متأله ، عابد ، ناسك ، زاهد ، هاجر إلى النجف سنة ١٣١٣هـ ، فحضر على المولى محمد الفاضل الشرابياني ، والشيخ محمد حسن المامقاني ، وشيخ الشريعة الأصفهاني ، والآخوند الخراساني ، والميرزا حسين الخليلي ، برع في الفقه والأصول والحديث والتفسير ، وتلقى الأخلاق والتربية والتهذيب على السيد أحمد الكربلائي الطهراني فصار من أعظم أساتذة الأخلاق بعد وفاة أستاذه الكربلائي[٤] ، وتولى تربية مجموعة من الطلاب ، من أشهرهم السيد محمد حسين الطباطبائي ، الذي استأثر به وتعلم منه منهج السير والسلوك ، فضلاً عن تلقيه من أستاذه السيد القاضي طريقة تفسير القرآن بالقرآن وفقه الحديث ، كما يؤكد ذلك السيد الطباطبائي بقوله : (علمني المرحوم القاضي أسلوب تفسير الآية بالآية ، وأنا في التفسير أقتفي أثره وأتبع طريقته ، وقد كان ذو ذهن واسع وواضح في فهم معاني الروايات الواردة عن الأئمة المعصومين ، كذلك تعلمت طريقة فهم الأحاديث أي فقه الحديث منه)[٥] .

(١) مقدمة الشيخ المظفر لمنظومة «تحفة الحكيم» لأستاذه الأصفهاني .

(٢) ن .م .

(٣) حرز الدين ، محمد . مصدر سابق ، ٢ : ٢٦٣ ـ ٢٦٧ .

(٤) الطهراني ، آغا بزرك . مصدر سابق ، ٤ : ١٥٦٥ ـ ١٥٦٦ .

(٥) الطهراني ، محمد حسين . مهر تابان (بالفارسية) ص١٧ .

ويعتبر السيد القاضي من أعظم المفسرين في هذا العصر ، وقد شرع في كتابة تفسير للقرآن بلغ فيه إلى سورة الأنعام ، ويمكن القول إن تفسير «الميزان» هو ثمرة اقتطفها تلميذه الطباطبائي من منهجه الرائد في التفسير طبقاً لما حكاه لنا الطباطبائي قبل قليل .

٤٤ ـ حبيب الله الشهير بذي الفنون بن جعفر السلطان آبادي الطهراني (١٢٧٨ ـ ١٣٦٧هـ) .

عالم فاضل ، فيلسوف ، خبير بالهيئة والرياضيات ، هاجر إلى النجف سنة ١٣٠١هـ ، ومكث فيها عشر سنوات تلقى العلوم على أعلامها ، ثم عكف عائداً إلى إيران[١] .

٤٥ ـ ميرزا محمد هادي بن علي الحسيني الهروي البجستاني الخراساني (١٢٩٧ ـ ١٣٦٨هـ) .

فقيه ، متكلم ، مشارك في علوم عديدة ، هاجر إلى النجف وحضر على شيخ الشريعة الأصفهاني ، والآخوند محمد كاظم الخراساني ، وتتلمذ في المعقول على الحكيم محمد باقر الاصطهباناتي ، ثم أصبح من الأساتذة المرموقين . من آثاره : إزالة الوصمة عن براهين العصمة ، أصول الآيات وآيات الأصول (بحث في علم الكلام على ضوء القرآن) ، أعلام الإسلام (في أصول الدين) ، الألفين في دين المصطفى (ألفا بيت من الشعر في أصول الدين والحكمة الإلهية) ، إنتقاء الاعتقاد في المبدأ والمعاد ، بر الآباء في إنجيل برنابا ، البصائر الربانية (في إثبات الصانع والوحدانية) ، البيّنات والزبر (في وجوه أدلة العصمة لأهلها) ، الجنة الوسمى في شرح الأسماء الحسنى ، حاشية على شرح المطالع (في المنطق ، لم يتم) ، الحجة البالغة (رسالة فارسية في أصول الدين) ، حقائق الصدق (في أصول الدين الحق) ، درر الفرائد (حاشية على منظومة السبزواري في المنطق والحكمة والكلام) ، شرح الألفين (شرح لكتاب الألفين ، لم يتم) ، المعجزة والإسلام (في أصول الدين) ، المغرفة في المعرفة (في الحكمة الإلهيّة)[٢] .

---

(١) الطهراني ، آغا بزرك . مصدر سابق ، ١ : ٣٥٥ .

(٢) سيرة آية الله الخراساني . قم : ١٤١٥هـ .

٤٦ ـ عقيل بن عبد الرزاق بن عبد الفتاح الحسيني الخلخالي (المتوفى سنة ١٣٧٠هـ).

عالم فاضل، محقق متتبع، مشارك في بعض العلوم، هاجر إلى النجف ودرس فيها، ومارس التدريس والتأليف، من آثاره: حاشية على الأسفار[١].

٤٧ ـ صدر الدين بن حسن بن جعفر الحسيني الكوپائي المتوفى سنة ١٣٧٢هـ.

فقيه، محقق في المعقول والمنقول، مفسر، هاجر إلى النجف وتتلمذ على شيخ الشريعة الأصفهاني، والشيخ أحمد الشيرازي، والسيد محمد كاظم اليزدي، والآخوند الخراساني، كان يُدرِّس الفلسفة والتفسير حتى وفاته. من آثاره: شروق الحكمة في حل معضلات الأسفار والمنظومة[٢].

٤٨ ـ محمد حسين بن علي بن محمد رضا بن موسى بن جعفر كاشف الغطاء النجفي (١٢٩٤ ـ ١٣٧٣هـ).

فقيه، حكيم، متكلم، مشارك في عدة علوم، من أبرز المصلحين في القرن الرابع عشر، يقول عن دراسته للمعقول (ثم لم تنطو صحيفة العقد الثاني من حياتنا إلاّ ونحن منهمكون في طلب دائب وحركة سافرة بالاشتغال في علوم الحكمة والفلسفة والكلام عند أساطينها الذين هاجروا إلى النجف الأشرف لتحصيل العلوم الشرعية عند مراجع الشيعة الأعاظم في القرن الرابع عشر، مضافاً إلى اشتغالنا في علوم البلاغة كالمعاني والبيان والبديع والرياضيات من الحساب والهيئة وأضرابها، بل الفقه وأصوله، والحضور في حوزة درس الطبقة العليا من الأساطين، كالكاظمين صاحب العروة وصاحب الكفاية... وعلى الشيخ الفقيه الهمداني صاحب مصباح الفقيه المتوفى سنة ١٣٢٢هـ وغير هؤلاء من الأعاظم قدس الله أسرارهم... ومع استفراغ الوسع وبذل الجهود البليغة في علمي الفقه وأصوله، والحديث، والتفسير، ونحوها، وصرف أكثر ساعات يومي وليلتي فيها، أجد في فؤادي شعلة متوقدة وعطشاً ملتهباً يحفزني إلى الانتهال والاشتغال بالعلوم الإلهية والمعارف العليا، والحكمة المتعالية، فكنت أدرس في عين ذلك الوقت كتب صدر المتألهين قدس الله سره، من مختصراته كالمشاعر

(١) الأميني، محمد هادي. مصدر سابق، ٢: ٥١٠ ـ ٥١١.
(٢) ن.م، ١: ١٣٨، ١٤٧ ـ ١٤٨.

والعرشية وشرح الهداية ، ومطولاته كالأسفار وشرح أصول الكافي ، ثم ألحَّ بي العطش والظمأ إلى التماس جرعة من كتب العرفاء الشامخين كالفصوص والنصوص والفكوك ، وكثير من مثنويات جلال الدين الرومي ، والجامي ، وشمس الدين التبريزي ، والشبستري ، وغيرهم ، ممن نهج على منهاجهم وعرج في معراجهم ، فكنت لا أجد راحة وروحاً لروحي من عناء الحياة ومتاعب الكفاح ، إلاّ بمزاولة الأدب العربي ، والتلذذ بمطالعة كتب القوم والأنس بأشعارهم ومعارفهم ، حتى بلغت من ذلك على مثل ما قيل : كنت أشرب ولا أرتوي ، فصرت أرتوي ولا أشرب)(١) .

وكان الشيخ كاشف الغطاء قد تتلمذ في المعقول على الشيخ محمد باقر الاصطهباناتي ، والشيخ أحمد الشيرازي ، والميرزا علي محمد النجف آبادي ، والشيخ ملا رضا الهمداني الواعظ ، وملا علي أصغر المازندراني .

من آثاره : الدين والإسلام أو الدعوة الإسلامية ، التوضيح في الإنجيل والمسيح ، الآيات البينات (أربع رسائل مهمة في رد الأموية والبهائية والوهابية والطبيعية) ، المراجعات الريحانية ، الفردوس الأعلى ، حاشية على كتاب الأسفار لملا صدرا ، حاشية على العرشية لملا صدرا ، حاشية على رسالة الوجود لملا صدرا ، جنة المأوى(٢) .

٤٩ ـ عبد الحسين بن عيسى بن يوسف بن علي الرشتي الگيلاني النجفي (١٢٩٢ ـ ١٣٧٣هـ) .

عالم فاضل ، محقق ، أصولي ، منطقي ، أستاذ في الفلسفة والكلام ، حضر في النجف على الآخوند الخراساني ، وشيخ الشريعة الأصفهاني ، والسيد محمد كاظم اليزدي . من آثاره : رسالة في البداء ، حاشية على الأسفار ، حاشية على الشواهد الربوبية ، حاشية على شرح المطالع ، حاشية على شرح الشمسية ، رسالة في موضوع العلم(٣) .

٥٠ ـ فضل الله (شيخ الإسلام) بن نصرالله بن عبد الرحيم الزنجاني (١٣٠٢ ـ ١٣٧٤هـ) .

محقق متتبع ، من أساتذة الحكمة ، هاجر إلى النجف بصحبة أخيه (أبو عبدالله

---

(١) كاشف ، الغطاء ، محمد حسين . الفردوس الأعلى . ص و ـ ح .

(٢) آل محبوبة ، جعفر . مصدر سابق ، ٣ : ١٨٥ .

(٣) حرز الدين ، محمد . مصدر سابق ، ٢ : ٤٨ ـ ٥٠ .

الزنجاني) ، وحضر على السيد محمد كاظم اليزدي ، وشيخ الشريعة الأصفهاني ، من آثاره : حاشية منظومة السبزواري ، حاشية الشوارق ، حاشية رسالة حدوث العالم ، رسالة في أصالة الماهية ، تاريخ علم الكلام في الإسلام ، تعليقات على كتاب أوائل المقالات ، حاشية المنطق ، الواحد لا يصدر عنه إلاّ الواحد[(١)] .

٥١ ـ جمال الدين بن السيد حسين الگلبايگاني (١٢٩٦ ـ ١٣٧٧هـ) .

فقيه ، حكيم ، أخلاقي متأله ، درس الفلسفة والأخلاق في أصفهان على الآخوند الشيخ محمد الكاشي ، والمولى جهانگير خان القشقائي ، والسيد محمد تقي الشهير بالمدرس ، قال ابنه السيد محمد جمال الهاشمي في ترجمته : (وكان قدس سره طيلة مكثه في أصفهان مواظباً في سيره إلى الكمال وسلوكه إلى الحقيقة ، تهديه إلى مقصده مشايخ لهم مقامهم السامي في دنيا السير والسلوك ، أمثال الحجة الكبير السيد محمد جواد العاملي ، والواصل إلى مقامات الكمال الشيخ الطريحي . وفي سنة ١٣١٩ هاجر إلى النجف الأشرف ، وقد حضر لدى وروده النجف الأشرف ، بحث المغفور له الحجة الكبير الآخوند الخراساني في الفقه والأصول ، واستمر على حضوره عنده حتى توفي سنة ١٣٢٩ ، وحضر أيضاً بحث الفقيه الجليل الآغا رضا الهمداني المتوفى سنة ١٣٢٢هـ ، كما حضر فقه المرحوم آية الله الطباطبائي اليزدي المتوفى سنة ١٣٣٧هـ ، وبحث نابغة عصره الشيخ هادي الطهراني . . . وأما أساتذته في الأخلاق في النجف الأشرف ، أولهم العلامة النحرير والعالم الشهير الورع التقي السيد مرتضى الكشميري أعلى الله مقامه ، وكان المترجم له يتردد على المرحوم ويحضر مجلسه ويستفيد منه ، وبعد وفاة المرحوم الكشميري اتصل بالمرحوم المولى الحاج شيخ علي محمد النجف آبادي ، والعالم العامل الشهير الحاج السيد أحمد الكربلائي ، والعالم العامل المولى الشيخ محمد البهاري)[(٢)] .

٥٢ ـ محمد جواد بن علي بن كاظم الجزائري (١٢٩٨ ـ ١٣٧٨هـ) .

فقيه ، محقق في الفلسفة والكلام ، حضر على الشيخ عبد الكريم الجزائري ، والآخوند الخراساني ، والشيخ عبد الهادي شليلة ، والسيد محمد الفيروز آبادي ،

---

(١) الأميني ، محمد هادي . مصدر سابق ، ٢ : ٦٣٧ ـ ٦٣٨ .

(٢) ترجمة حياة السيد جمال الگلبايگاني ، بقلم ولده السيد محمد (مخطوطة لدى حفيده السيد هاشم محمد جمال في قم) .

والشيخ آغا ضياء العراقي ، والسيد أبا الحسن الأصفهاني ، وغيرهم . تميز بدور رائد في النضال السياسي ضد الاستعمار البريطاني تعرض بسببه إلى الاعتقال والنفي . من آثاره : كتاب الآراء والحكم (نظم وشرح لكثير من مباحث النفس ومسائل الحكمة والكلام) ، حل الطلاسم (عارض بها قصيدة الطلاسم للشاعر إيليا أبو ماضي) ، فلسفة الإمام الصادق (عليه السلام)[١] .

٥٣ ـ محمد رضا بن محمد بن عبدالله المظفر (١٣٢٢ ـ ١٣٨٣هـ) .

فقيه ، محقق في المنطق والفلسفة ، مجدد ، رائد مشروع إصلاحي كبير في النجف في القرن الرابع عشر ، حضر في النجف على أخيه الشيخ محمد حسن المظفر ، والشيخ آقا ضياء العراقي ، والشيخ محمد حسين النائيني ، وكان أكثر تلقيه في الأصول والفلسفة من الشيخ محمد حسين الأصفهاني ، فانطبع الشيخ المظفر بمنهج أستاذه الأصفهاني ، وتمثل الكثير من آرائه ، وسار على نهجه الحديث في ترتيب مباحث الأصول في كتابه «أصول الفقه» .

تمخضت جهوده وجهود بعض أصحابه في ولادة جمعية «منتدى النشر في النجف الأشرف» التي باشرت العمل الإصلاحي في الحوزة ، وتبنت الدعوة لتحديث النظام التعليمي ، فأسست لأجل ذلك كلية حديثة ، أرادت لها أن تكون نموذجاً لتجربة إصلاح النظام التعليمي ، فكان الثقل الأكبر في هذا المشروع ينوء به المظفر ، إذ قام بتأليف مناهج المنطق ، والفلسفة والكلام ، وأصول الفقه لهذه الكلية الفتية ، فضلاً عن مباشرته لتدريس هذه المواد ، والإدارة وغيرها من مهام أخرى فيها . تخرج في هذه الكلية عدد غفير من الفضلاء ، أصبح بعضهم من الأعلام البارزين في عصرنا هذا .

ولم يقتصر دور المظفر على التدريس في أروقة الكلية ، بل كان من أساتذة البحث الخارج البارزين في الحوزة العلمية ، كذلك ساهم بتدريس كتاب «الأسفار الأربعة» في بيته لمجموعة من الفضلاء من خاصة تلامذته .

من آثاره : المنطق ، ابن سينا (ترجمته ودراسة لفلسفته) ، أحلام اليقظة (دراسة لفلسفة صدر المتألهين الشيرازي) ، عقائد الإمامية ، الفلسفة الإسلامية (وهو كراسات وزعها المظفر على تلامذته عند تدريس الفلسفة في كلية الفقه ، من إعداد تلميذه : السيد محمد تقي الطباطبائي التبريزي)[٢] .

---

(١) الأمين ، محسن . مصدر سابق ، ٩ : ٢٠٦ .

(٢) الآصفي ، محمد مهدي . مدرسة النجف وتطور الحركة الرصلاحية فيها . النجف الأشرف : مطبعة النعمان .

٥٤ ـ محمد رضا بن جواد بن محمد الشبيبي (١٣٠٦ ـ ١٣٨٥هـ) .

محقق بارع في الأدب والتاريخ والفلسفة ، من رواد حركة الإصلاح ، ومن أعلام النهضة في العراق ، حضر على الآخوند الخراساني وغيره من الأعلام في النجف . شغل عدة مناصب سياسية وعلمية في العراق ، منها رئاسة المجمع العلمي العراقي ، من آثاره : تاريخ الفلسفة من أقدم عصورها إلى اليوم ، أدب النظر في فن المناظرة ، فلاسفة اليهود في الإسلام (يشتمل على تلخيص فلسفة ابن كمونة وابن ملكان وغيرهما من مشاهير فلاسفة اليهود في الإسلام)[1] .

٥٥ ـ هبة الدين محمد علي الشهرستاني (١٣٠١ ـ ١٣٨٦هـ) .

فقيه ، محقق في الكلام والفلسفة ، مشارك في عدة علوم ، من أعلام النهضة الحديثة في العراق ، مكث في النجف ست عشرة سنة ، قرأ فيها على الآخوند الخراساني ، وشيخ الشريعة الأصفهاني .

كان من أبرز دعاة التجديد في النصف الأول من القرن الرابع عشر ، أصدر مجلة «العلم» في النجف سنة ١٣٢٨هـ ، (وقد نحى فيها منحى إصلاحياً لم يألفه الناس من قبل ، وهاجم بعض التقاليد الطارئة على أذهان المتدينين ، وككل مصلح يتصدى لنشر آرائه ، فقد لاقى مقاومة وعنتاً شديدين ، واتصلت بعض أفكاره بالأقطار الإسلامية خارج العراق فكان لها نفس الصدى ، وثارت بينه وبين السيد عبد الحسين شرف الدين معركة قلمية عنيفة على صفحات مجلة العرفان . وكان من أقطاب الحركة الدستورية في العراق وإيران منذ عام ١٣٢٤ ـ ١٣٣٠هـ)[2] .

من آثاره : فيض الباري في تهذيب الهيات منظومة الحكيم السبزواري ، الصحف المكرمة في الحكمة المنظمة ، توحيد أهل التوحيد ، المرجانية في تلخيص المنظومة الاعتقادية ، فلسفة الاستكمال وأصولها ، الإمامة والأمة ، حديث مع الدعاة البروتستانتيين ، الرد على البابية ، الهيئة والإسلام ، السر العجيب في تلخيص منطق التهذيب ، نتيجة المنطق ، التوت والملكوت في إثبات التوحيد ، الجبر والاختيار ، المعجزة الخالدة[3] .

---

(١) آل محبوبة ، جعفر . مصدر سابق ، ٢ : ٣٨٠ ـ ٣٨٣ .

(٢) الأمين ، محسن ، ، نفس المصدر ، ١٠ : ٢٦١ .

(٣) عبيري ، عباس . هبة الدين شهرستاني (بالفارسية) . طهران : منظمة الإعلام الإسلامي ، ١٣٧٣ش ، ص ٩٠ ـ ٩٨ .

٥٦ ـ عبد الكريم الزنجاني (١٣٠٤ ـ ١٣٨٨هـ) .

فقيه ، محقق ، غزير العلم ، متبحر في الفلسفة والعلوم العقلية ، مشارك في عدة علوم ، حضر على السيد كاظم اليزدي ، والسيد محمد الفيروز آبادي ، طاف في عدة أقاليم من العالم الإسلامي ، وكان لرحلاته وخطبه ومحاجاته دوي إعلامي واهتمام علمي واسع في المحافل العلمية ساعتئذ ، وصف رحلته في البلاد العربية الشيخ محمد جواد مغنية قائلاً : (اتسعت شهرة الزنجاني منذ رحلته إلى بلاد العرب ومحاضراته في الجامع الأموي ، والجامعة السورية بدمشق ، ودار الأيتام الإسلامية ببيروت ، والمسجد الأقصى بفلسطين والأزهر ، وكلية الآداب والجامعة المصرية ، وغيرها من المؤسسات والمجتمعات بمصر . . . دعا الدكتور طه حسين عميد كلية الآداب بالجامعة المصرية فيلسوفنا الكبير الإمام الزنجاني إلى إلقاء محاضرة عن «دراسة الفلسفة في النجف وإيران» ، فلبى الدعوة ، وتكلم ساعتين ، وقد شغلت هذه المحاضرة أكثر من أربعين صفحة ، ومَنْ قرأها أدرك ما حمل صاحب كتاب «الأيام» الذي عبث بالعمائم والشيوخ ، وسخر بالأزهر والأزهريين ، على تقبيل يد هذا الإمام الزنجاني الجليل . إن المحاضرة خير من ألف كتاب وضعه أساتذة الفلسفة في العصر الحديث ، فقد أفهم فيها المصريين أنهم لا يعلمون شيئاً من الفلسفة الإسلامية ، وأنهم يدرسونها ويُدّرسونها وهم أبعد الناس عن إدراكها ومعرفتها ، وأن مدارس الشيعة الإمامية في النجف وإيران هي التي تقرر هذه الحقائق على وجهها الأكمل . أما أسلوب الخطاب ، فقد جاء حسب الترتيب الطبيعي الذي يفرض الإذعان على السامع ويقوده إلى الاستسلام مختاراً أو غير مختار . افتتح الخطاب بإقامة الأدلة والبراهين على وجود فلسفة إسلامية تخص المسلمين أنفسهم ، وعلى أن عهد الإسلام عهد ابتكار في الفلسفة ونظريات جديدة ، وليست الفلسفة اليونانية إلاّ نواة للفلسفة الإسلامية . . . ثم عدّد علامتنا الإمام كتب الفلسفة ومنهاج دراستها في مدارس الشيعة ، وانتقل إلى الفلسفة في الأزهر ، والجامعة المصرية ، ودار العلوم ، فأثبت جهل المصريين بالفلسفة لتقليدهم المستشرقين ، الذين لم يفهموا شيئاً عن الإسلام ورجاله وفلسفته ، بالشواهد الواضحة والأدلة القاطعة ، وبرهن على جهل المصريين بنسبة المذاهب الفلسفية إلى غير أصحابها ، وعلى عدم فهمهم مقاصد الفلاسفة ، بما يبعث سوء الظن بالشهادات وحامليها ، والكتب ومؤلفيها ، وأرجع هذه الأخطاء إلى مصدر واحد ، هو الركون إلى المستشرقين ، وكيف نستند في معرفة ثقافتنا وديننا إلى قوم غرباء باللسان والوطن والدين؟ وهل هناك

باعث سوى الجهل والتعصب البغيض . . . ولا يدعو مصلحنا المفكر إلى نبذ الفلسفة الحديثة والاقتصار على الفلسفة القديمة فحسب ، بل يقول : يجب أن نضم نفائس الفلسفة الغربية الحديثة إلى حقائق الفلسفة الشرقية القديمة ، وندرسهما معاً على ضوء العقل ، ثم نستنتج منهما ثمرات فلسفية صحيحة تصلح للحياة والبقاء)[١] .

وقد أوصى شيخ الجامع الأزهر الشيخ محمد مصطفى المراغي (الناشئة الإسلامية التي تريد أن تفهم الشرع والدين والاجتماع والفلسفة ، أن لا تقدم شيئاً على قراءة خطب الإمام الزنجاني وكلماته وتصانيفه ومؤلفاته) وشهد له بقوله : (لقد قسم الله له من اكتناه أسرار التشريع وفلسفة الدين الإسلامي ما لم يقسمه إلا لكبار الأئمة وأحبار الأمة ، نفع الله المسلمين بآثاره وهداهم في ظلمات هذه الحياة بزاهر أنواره)[٢] .

وقال الدكتور طه حسين منوهاً بمحاضرته عن دراسة الفلسفة ، وكأنه يكرر ما قاله رينان بعد أن استمع إلى السيد جمال الدين الأفغاني في باريس : (استمعت إلى محاضرة الإمام الزنجاني في الفلسفة ، فظننت أن ابن سينا حيٍ يخطب)[٣] .

بيد أن الشيخ الزنجاني تعرض لشتى الاتهامات ، وعاش الحقبة الأخيرة من حياته محاصراً ، مثلما هي حالة الكثير من المصلحين ذوي الآراء الحرة الجديدة ، التي ينفيها الواقع الساكن ويضطهد أصحابها .

من آثاره : دروس الفلسفة ، قال عنه الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء : (إن الإمام الزنجاني بتأليفه دروس الفلسفة ، أنسى من قبله من الفلاسفة وأتعب مَنْ بعده) ، وقال الأستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي بدمشق : (إن كتاب دروس الفلسفة تأليف الإمام الزنجاني جدير بأن نسميه «قرآن الفلاسفة») ، وقال الأستاذ محمد فريد وجدي : (إن هذا الكتاب يكشف عن سمو الفلسفة العربية الإسلامية ، ما لا يكشفه كتاب غيره ، ويحاكم الفلسفة العصرية محاكمة دقيقة ، تتبين منها حاجتها إلى التكافل مع الفلسفة الإسلامية ، وهذا مرمى بعيد المدى ، جدير بإطالة النظر وإجالة الروية على

(١) مغنية ، محمد جواد . فلسفة الزنجاني . مجلة العرفان (صيدا) مج٣٣ : ج٩ (رمضان ١٣٦٦هـ) ص٩٩٨ .

(٢) الزنجاني ، عبد الكريم . دروس الفلسفة . النجف : مطبعة الغري ، ١٩٦٢م ، ص ٩ ـ ١٠ (المقدمة) .

(٣) م .ن . ص ٩ (المقدمة) .

ضوء هذا الكتاب ، ولا أظن أن الفلسفة الإسلامية وجدت مدافعاً عنها أكثر غيرة عليها وأدق نظراً فيها من الأستاذ الإمام الزنجاني ، أثابه الحق على عمله الطيب)[١] .

ومن آثاره الأخرى : تطور الفلسفة ، محاضرات الفلسفة ، التوفيق بين آراء أهل التحقيق ، روح الفلسفة ، التعليقات على الأسفار ، التعليقات على إلهيات الشفاء ، التعليقات على شرح الإشارات للطوسي ، التعليقات على حكمة الإشراق ، حاشية اللئالي المنظومة ، كتاب النفس ، رسالة في المعاد الجسماني ، رسالة في المعراج ، رسالة الوحي والإلهام ، الجواب عن أسئلة بندت رام الهندوسي ، التعليقات على الشوارق ، الأديان والإسلام ، عصمة الأنبياء والأئمة ، برهان الإمامة ، رد المذاهب المبتدعة ، المنطق الحديث ، التعليقات على شرح المطالع ، التعليقات على منطق شرح الإشارات ، شرح الايساغوجي[٢] .

٥٧ ـ صدرا بن ملا آقا ميرزا القفقازي البادكوبي المعروف بالشيخ صدرا البادكوبي (١٣١٦ ـ ١٣٩٢هـ) .

ولد في قرية «قلعة» على ثلاثة فراسخ من بادكوبه في أسرة علمية ، فنشأ نشأة علمية ، درس اللغة العربية وآدابها على أبيه ، وهو الذي بادر إلى تعليمه وتربيته تربية علمية صالحة ، وقبل أن يبلغ حد البلوغ فجعه الموت بفقد أبيه ، وهو بعد في الثالثة عشرة من عمره ، ولكن بما أن أسرته أسرة علمية فقد عوضه عمه محمد عن هذه الخسارة الفادحة ، فقام مقام أبيه ونقله إلى داره وتولى تربيته وتعليمه على أحسن ما يرام ، فقرأ على عمه العلوم الأدبية والرياضية حتى برع فيهما ، وقرأ بعض دروس السطوح على السيد عبد الخالق وغيره من العلماء هناك حتى عام ١٣٣٥هـ ، وعندما اندلعت الثورة البلشفية فاجتاحت ديار المسلمين ، فر منها ونجا بنفسه من خلال البحر عن طريق تركستان إلى خراسان في ربيع الأول سنة ١٣٣٦هـ ، وأقام في مشهد مجداً في طلب العلم طيلة إحدى عشرة سنة ، فأتم دراسة السطوح على السيد باقر الرضوي ، والسيد جعفر الشهرستاني ، وحضر في الدروس الأدبية على أستاذ الأدب العربي ملا عبد الجواد النيشابوري المشتهر بالأديب الأول ، وقرأ الفلسفة والعلوم الرياضية على الفيلسوف الزاهد الشيخ أسد الله اليزدي ، فقرأ عليه شرح المنظومة ،

---

(١) م .ن . ص٤ ـ ٥ (المقدمة .

(٢) صفحة من رحلة الإمام الزنجاني . ص ٢٤٣ ـ ٢٤٦ .

وشرح الهداية ، والمبدأ والمعاد لصدر المتألهين الشيرازي ، وقرأ شرح الإشارات ، وكتاب الأسفار على الحكيم المشهور آقا بزرك الحكيم ، وحضر الدروس العالية في الفقه والأصول على ميرزا محمد ابن الآخوند الخراساني صاحب الكفاية ، وآقا حسين الطباطبائي القمي ، والشيخ مرتضى الأشتياني الولد الأكبر للميرزا الاشتياني الكبير . ثم هاجر إلى النجف الأشرف سنة ١٣٤٨هـ ، فحضر على الشيخ محمد حسين النائيني ، والشيخ محمد حسين الأصفهاني ، والسيد حسين البادكوبي .

مارس تدريس السطوح والفلسفة في الحوزة العلمية في النجف أكثر من أربعين عاماً ، ولم يتوقف عن العطاء العلمي حتى وفاته ، وصار أبرز أستاذ للفلسفة في النجف في هذا العصر ، وكان الشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر أحد تلامذته ، حيث درس عليه الفلسفة نحو خمس سنين .

تميز بخلقه الرفيع ، وتواضعه الجم ، فضلاً عن تحليه بدرجة عالية من الورع والتقوى ، وعاش حياة شديدة الإملاق ، لازمها عفاف وغنى نفس فائقان .

توفي في ١١ شعبان ١٣٩٢هـ ، ودُفن بوادي السلام في النجف الأشرف . من آثاره : تعليقات على بعض الكتب الفلسفيةَ[١] .

٥٨ ـ محمد كاظم شمشاد المتوفى سنة ١٣٩٢هـ .

عالم فاضل ، هاجر إلى النجف بصحبة أبيه ، حضر على السيد أبا القاسم الخوئي ، والسيد محمود الشاهرودي ، تصدى لتدريس الفلسفة في كلية الفقه . من آثاره : علم الكلام ، الفلسفة الإسلامية[٢] .

٥٩ ـ محمد علي التوحيدي التبريزي (١٣٤٧ ـ ١٣٩٥هـ) .

عالم فاضل ، حضر على السيد أبا القاسم الخوئي ، من آثاره : حاشية منظومة السبزواري ، حاشية شرح التجريد[٣] .

---

(١) الطباطبائي ، عبد العزيز . معجم أعلام الشيعة . (مخطوط) (توسعنا في سرد ترجمة الشيخ صدرا البادكوبي ، ولم نقتصر على البُعد الفلسفي وما يرتبط بالمعقول كما هو منهجنا في هذه التراجم ، وذلك لأن الباكودبي لم ترد ترجمته في كتب التراجم المتداولة خلافاً لسواه) .
(٢) الأميني ، مصدر سابق ، ص٧٥٤ .
(٣) ن .م ، ص٣٢٣ ـ ٣٢٤ .

٦٠ ـ حسن بن آغا بزرك بن علي أصغر بن فتح علي بن إسماعيل الموسوي البجنوردي (١٣١٦ ـ ١٣٩٥هـ).

فقيه، محقق في المعقول والمنقول. وفد إلى النجف من خراسان سنة ١٣٤٠هـ، فحضر على الشيخ آقا ضياء العراقي، والشيخ محمد حسين النائيني، والسيد أبا الحسن الأصفهاني. ثم أصبح من أساتذة الفقه والفلسفة المشهورين في النجف الأشرف. من آثاره: كتاب في الحكمة[١].

٦١ ـ محمد باقر الصدر (١٣٥٣ ـ ١٤٠٠هـ).

فقيه، فيلسوف، منطقي، عبقري، نابغة، مشارك في علوم عديدة، غزير الاطلاع على العلوم الإنسانية الحديثة، وواسع المعرفة بثقافة عصره، من أبرز مجددي القرن الرابع عشر الهجري، ذو دور رائد في تأسيس مشاريع فكرية وسياسية لم يسبقه إليها أحد، مجاهد شجاع لا يخشى في الله لومة لائم، أمضى تمام حياته في خدمة الإسلام والذوبان في العقيدة، حتى توّج جهاده حين أعار جمجمته لله، فبرز للهجوم على أشرس نظام دموي سفاك يقوده الجلاد صدام حسين، وسقط صريعاً هو وأخته العالمة المجاهدة الزكية آمنة، توهّج دَمُهُ الطاهر فتجاوز نوره الآفاق، وغطس في أعماق وجدان المجاهدين بل كل الأحرار والمناضلين في العالم، وتحوّل إلى طاقة فعالة توقظ روح النضال لدى الأحرار، صار اسمه أنشودة الثوار، وبدأ يترسخ خطه، وتتعمق شعاراته في وعي الدعاة إلى الله مع امتداد الزمان، تعلمنا منه أشياء كثيرة، ولما نزل نُبصر الدرب بوحي رؤاه ومقولاته.

بدأ حياته العلمية في الكاظمية موطن أهله، ثم هاجر إلى النجف سنة ١٣٦٥هـ، وكان عمره وقتئذ اثنتي عشرة سنة، وحضر كتاب «المعالم» على أخيه السيد إسماعيل، وكان يثير إشكالات مهمة على صاحب المعالم في هذه المرحلة، تتطابق مع ما أورد صاحب الكفاية، وكان لفرط ذكائه أن قرأ معظم السطوح من دون أن يحضر لدى أستاذ، حضر في البحث الخارج درس خاله الشيخ محمد رضا آل ياسين، والسيد أبي القاسم الخوئي[٢].

---

(١) الطهراني، آغا بزرك، نقباء البشر، ١ : ٣٨٥ ـ ٣٨٦.

(٢) الحائري، كاظم. ترجمة حياة السيد الشهيد (نشرها في مقدمة الجزء الأول من القسم الثاني من كتابه: مباحث الأصول). قم: ١٤٠٧هـ، ص٤٢.

أما دراسته للمعقول، فإنه قرأ المنطق وهو في الحادية عشرة من عمره، وكتب «رسالة في المنطق» أورد فيها مجموعة اعتراضات على بعض الكتب المنطقية[١].

وفي حدود سنة ١٣٧٥هـ أقنع السيد أبو القاسم الخوئي تلميذه السيد الشهيد الصدر أن يدرس الفلسفة بالشكل المتعارف في الحوزة العلمية، مع العلم أن السيد الخوئي لم ينطلق في هذا الموقف من شكه في الموهبة العقلية الوافرة للصدر، ولا من شكه في نبوغه وقدرته المعروفة في فهم واستيعاب نظريات وأفكار الفلاسفة ونقدها، وإنما كان يبغي الحفاظ على سمعة تلميذه، وحماية موقعه العلمي، لأن التقاليد العلمية في الحوزه تستهجن تعاطي أي فن والتأليف فيه، من دون تلقيه من خلال الحضور على أستاذ معروف في ذلك الفن[٢]، لا سيما وان الشهيد الصدر كان بصدد الدفاع عن العقيدة ونقض إشكالات وشبهات الفلسفة الغربية الحديثة، وما أولدته من تيارات فكرية متنوعة في ديار المسلمين[٣].

كذلك طلب السيد الخوئي من الشيخ صدرا البادكوبي أن يعقد درساً خاصاً للشهيد الصدر يُدرسهُ فيه كتاب «الأسفار» لصدر المتألهين الشيرازي، فاستجاب الشيخ البادكوبي لهذا الطلب، وبدأ يحضر عنده السيد الصدر، وتواصل حضور الشهيد الصدر عند الشيخ البادكوبي خمس سنوات كما قيل[٤].

وكان أسلوب دراسته للأسفار كما يقول الشيخ البادكوبي أنه (اشترط عليَّ أن لا يتابعني في التدريس الرتيب لهذا الكتاب، بل طلب مني أن يقرأ عليّ كل يوم صفحات من هذا الكتاب، ويسألني عما أشكل عليه فقبلت، وأنهى دراسة الكتاب بسرعة على هذا الشكل)[٥].

---

(١) ن .م، ص٤٢ (نقلاً عن رسالة بقلم السيد عبد الغني الأردبيلي).

(٢) ذكر السيد عبد العزيز الطباطبائي في مقابلة معه في قم بتاريخ ١ رجب ١٤١٦هـ: (انه عندما صدر كتاب «فلسفتنا» تساءل بعض الفضلاء الذين اجتمعوا في بيت أحد الأسر العلمية المعروفة، وهو بيت ابن الميرزا النائيني، عما إذا كان محمد باقر الصدر قد درس الفلسفة، حتى يكتب في الفلسفة؟! وكان الشيخ صدرا البادكوبي حاضراً، فقال: لقد حضر عندي محمد باقر الصدر درس «الأسفار» خمس سنوات، ففوجئ أكثر الحاضرين بهذا الخبر).

(٣) ذكر ذلك الشيخ محمد رضا الجعفري في مقابلة شخصية معه في قم بتاريخ ١٥ رجب ١٤١٦هـ.

(٤) ذكر ذلك السيد عبد العزيز الطباطبائي في مقابلة شخصية معه في قم في ١ رجب ١٤١٦هـ.

(٥) الأشكوري، نوري. «مقال له حول أستاذه الشهيد الصدر». مجلة الجهاد عدد ١٣.

والملاحظة الأساسية التي كان يبديها الشهيد الصدر على أسلوب أستاذه البادكوبي ، هي أن الشيخ يقوم بتعليم وتلقين الأفكار والآراء الواردة في «الأسفار» من دون أن يمارس تقويمها ونقدها[١] .

ويبدو أن الأسلوب التحليلي النقدي في دراسة العلوم ، الذي يعتمد على طريقة «إن قلتَ قلتُ» ، هو السمة التي اتسم بها الدرس الفلسفي ، وكافة مناشط الدرس الشرعي الأخرى في النجف . بيد أن هذا الأسلوب اضمحل في تدريس المعقول والفلسفة خاصة في مدرسة النجف في العقود الأخيرة ، فلم يكن أساتذة الفلسفة القلائل سوى معلمين يمارسون المنهج التلقيني في التدريس ، بعد هيمنة أفكار صدر الدين الشيرازي على عقولهم ، وخضوعهم لمدرسته الفلسفية المعروفة بالحكمة المتعالية .

وربما كان هذا أحد أهم أسباب انحسار نفوذ الدرس الفلسفي التقليدي في مدرسة النجف راهناً ، لأن هذه المدرسة تبتني على المنهج التحليلي النقدي في دراسة العلوم ، وفي فضاء هذا المنهج يجري تخصيب وتطوير الآراء وإبداع النظريات ، وإن كان ذلك في الحقل النظري البحت . وهذا هو العامل الرئيس وراء إثراء التجربة الفقهية والأصولية في مدرسة النجف وامتدادها رأسياً .

في العقد الثالث من عمره باشر الشهيد الصدر دراسة الفلسفة الأوروبية الحديثة ، وبعد أن غار في مدارسها العديدة بدءاً من العصر الاغريقي إلى القرن العشرين ، وخبرها ووقف على دروبها ومسالكها المختلفة ، عكف على تحليلها وتفكيك مكوناتها وإحالتها إلى عناصرها الأساسية التي تنتهي إليها ، فأثمر عمله هذا كتاب «فلسفتنا» وهو أول آثاره الفلسفية المنشورة ، وفي هذا الكتاب يقودنا الصدر في رحلة فلسفية نقدية ممتعة ، نطوف بها الحياة العقلية في أوروبا عبر أزمنتها الممتدة في التاريخ ، بدءاً بسقراط وأفلاطون ورؤاهم الفلسفية إلى برتراند راسل . وفي كل مرة يحتك فيها بأحد فلاسفة أوروبا ويستنطق نصوصه ويقرر موقفه ويفسر ما يريد أن يقوله ، ينقده ، ثم يعود ليقرر رؤية العقيدة الإلهية وكلمة الإسلام في ذلك ، فإن «فلسفتنا» طبقاً لما حكاه الصدر هي كلمة الإسلام ، عندما (كان لا بد للإسلام أن يقول كلمته ، في معترك هذا الصراع المرير ، وكان لا بد أن تكون الكلمة قوية عميقة ، صريحة واضحة ، كاملة

(١) مقابلة الشيخ محمد رضا الجعفري .

شاملة ، للكون ، والحياة ، والإنسان . . . وليس هذا الكتاب إلا جزءاً من تلك الكلمة ، عولجت فيه مشكلة الكون ، كما يجب أن تعالج في ضوء الإسلام)[١] .

وقُدر لكتاب «فلسفتنا» أن يكون أشحذ سلاح تمنطق به الإسلاميون أيام احتدام الصراع والمعركة الضارية بين الإيمان والإلحاد ، حين اجتاح المد الأحمر مناطق واسعة من ديار المسلمين ، ففاقت شهرة هذا الكتاب أي كتاب آخر في الموضوع ذاته ، وعُرف الشهيد الصدر بهذا الكتاب في العالم .

وفي العقد الرابع اتجه الصدر لدراسة الأساس المنطقي لتكوين العلم ، دراسة شاملة ومستوعبة ، إذ (انكب على دراسة البرهان الأرسطي ، واطلع باستيعاب وعمق على نظريات المنطق الحديث في الاستقراء وأساسه المنطقي «حساب الاحتمال» ، فأوضح خلال «الأسس المنطقية للاستقراء» تهافت نظرية البرهان الأرسطية ، كما عالج ينبوع أخطاء التفكير الغربي في تفسيره لنظرية الاحتمال . وقدم بالتالي نظرية متكاملة في تفسير حساب الاحتمال ، أقام على أساسها بناء متكاملاً لفهم جديد لنظرية المعرفة البشرية بكامل تفاصيلها . فثار على أرسطو في بيئة تقدس نظرية القياس الأرسطية ، وهضم قمة الانتاج الغربي واقفاً على نقاط الضعف في تفكير أساتذة المنطق الحديث أمثال راسل ، وكينز ، وأعطى للبشرية طرزاً جديداً من التفكير)[٢] .

لقد استطاع الشهيد الصدر أن يكتشف ويصوغ مذهباً جديداً يفسر كيفية نمو المعرفة البشرية وتوالدها في «الأسس المنطقية للاستقراء» ، ويعد هذا المذهب اتجاهاً آخر في تفسير المعرفة غير ما كان معروفاً بين المذهبين التجريبي والعقلي ، ويمكن القول إن ولادة هذا المذهب الذي أسماه الصدر «المذهب الذاتي للمعرفة» تمثل أعظم إنجاز أثمرته دراسات المعقول الإسلامي في القرن الأخير[٣] .

ذكر الشهيد الصدر أنه حاول في هذا الكتاب (بناء نظرية المعرفة على أساس معين ، ودراسة نقاطها الأساسية في ضوء يختلف عما تقدم في كتاب فلسفتنا ، سوف نتخذ من دراسة الدليل الاستقرائي ، ومعالجة الثغرة فيه أساساً لمحاولتنا هذه)[٤] . وتمثل عمل

---

(١) الصدر ، محمد باقر ، فلسفتنا . بيروت : دار التعارف ، ١٤٠٠هـ ، ص٦ .

(٢) آل حيدر ، حيدر . ماذا جاء حول كتاب فلسفتنا للشهيد الصدر؟ . قم : مكتب الإعلام الإسلامي ، ١٤٠٣هـ ، ص٤٧ .

(٣) الرفاعي ، عبد الجبار . متابعات ثقافية . ثم : مكتب الإعلام الإسلامي ، ١٤١٤هـ ، ص٩٩ .

(٤) الصدر ، محمد باقر الأسس المنطقية للاستقراء . بيروت : دار التعارف ، ١٤٠٢هـ ، ص٨ .

الصدر في كتاب «الأسس المنطقية للاستقراء» في (نظريتين أساسيتين : تناولت الأولى تفسير الاحتمال ، وصياغة نظرية جديدة للاحتمال ، تمّ له على هديها تفسير الدليل الاستقرائي ، ومن خلال تفسير الاستقراء على أساس نظرية الاحتمال يمنح التعميم الاستقرائي تصديقاً منطقياً ، لكنه تصديق ناقص لا يبلغ درجة القطع واليقين . . . أما النظرية الثانية : فهي اتجاه جديد في تفسير اليقين الاستقرائي ، والمعرفة البشرية بعامة ، حيث يمنح للدليل الاستقرائي في مراحل متقدمة يقيناً ، لكنه يقين غير ضروري ومن ثم فهو غير منطقي ، وفي الوقت ذاته ليس يقيناً فوضوياً قائماً على أساس النزعة السيكولوجية المحضة ، . بل هو يقين يرتكز على مبررات موضوعية ، وله شروطه المنطقية)[1] .

إن السيد الشهيد الصدر حاول أن يعمم النتائج التي خلص إليها في كتاب الأسس ، في غير واحد من بحوثه ، مثلما نرى في البحث الذي كتبه كمقدمة لرسالته الفقهية «الفتاوى الواضحة» بعنوان «موجز في أصول الدين» ، فإنه استخدم فيه الدليل الاستقرائي ، كما أشار لذلك في مقدمة هذا البحث بقوله : (وعلى هذا فالمنهج الذي نتبعه في الدليل العلمي لإثبات الصانع تعالى ، هو منهج الدليل الاستقرائي القائم على حساب الاحتمالات ، ومن أجل ذلك نعبر عن الدليل العلمي لإثبات الصانع بالدليل الاستقرائي . . . ومنهج الدليل الاستقرائي القائم على حساب الاحتمالات له صيغ معقدة ، وبدرجة عالية من الدقة ، وتقييمه الشامل الدقيق ، يتم من خلال دراسة تحليلية كاملة للأسس المنطقية للاستقراء ونظرية الاحتمال)[2] . كذلك قام بتوظيف حساب الاحتمال في موارد عديدة من أبحاثه الأصولية والفقهية بل والرجالية أيضاً .

من آثاره : رسالة في علم المنطق ، فلسفتنا ، الأسس المنطقية للاستقراء ، بحث فلسفي مقارن بين الفلسفة القديمة والفلسفة الحديثة (بدأ بتأليفه آخر أيام حياته ولم يتمه) ، موجز في أصول الدين (بحث عقائدي حول : المُرسِل ، الرسول ، الرسالة) ، اليقين الرياضي والمنطق الوضعي .

٦٢ ـ فاضل اللنكراني (١٣١٣ ـ ١٤٠٢هـ) .

عالم فاضل ، هاجر إلى النجف سنة ١٣٣٨هـ وحضر على شيخ الشريعة

---

(١) أبو رغيف ، عمار . منطق الاستقراء . قم : مجمع الفكر الإسلامي ، ١٤١٠هـ ، ص١٤ .

(٢) الصدر ، محمد باقر . الفتاوى الواضحة . بيروت : دار التعارف ، ١٤٠١هـ ، ص١٨ ـ ١٩ .

الأصفهاني ، والشيخ محمد حسين النائيني ، والشيخ ضياء الدين العراقي ، والسيد أبا الحسن الأصفهاني ، والشيخ إسماعيل المحلاتي ، والشيخ مهدي المازندراني ، أوفده السيد الأصفهاني إلى الكاظمية سنة ١٣٦٣هـ . قرأ عليه جمع من الأفاضل . من آثاره : حاشية شرح منظومة السبزواري ، حاشية شرح التجريد ، رسالة في أصول الدين[١] .

٦٣ ـ محمد حسين الطباطبائي (١٣٢١ ـ ١٤٠٢هـ) .

مفسر ، فقيه ، فيلسوف ، متكلم منطقي ، عارف متأله ، مجدد ، واسع الاطلاع على الثقافة الإنسانية ، غزير المعرفة بشتى العلوم ، خبير بالفلسفة والعلوم الإنسانية الحديثة في الغرب ، مؤسس النهضة الحديثة في دراسة الفلسفة في إيران ، أعظم مفسر في العصر الحديث ، سنُجمل فيما يلي أهم المحطات في حياته طبقاً لما ذكره في ترجمة نفسه : (ولدت في أسرة علمية بمدينة تبريز ، وقد حازت شهرة علمية منذ زمن بعيد في ذلك البلد ، وفقدت أمي في الخامسة من عمري ، وأبي في التاسعة منه ، فذقت بذلك ألم اليتم وأحسست به منذ صباي . . . وبعد شطر من عمرنا ذهبنا إلى المدرسة وبإشراف معلم خاص ، كان يأتي إلى بيتنا كل يوم . . . وقد انتهيت من تعليم القرآن الكريم الذي كان يدرس قبل كل شيء . . . ثم شرعت بدراسة العلوم الدينية واللغة العربية ، وفرغت من دراسة المتون العلمية المتعارفة آنذاك لدى الأوساط العلمية ، ففي خلال سبع سنوات قرأت . . . وفي المنطق «الكبرى في المنطق» وكتاب «الحاشية» و«شرح الشمسية» ، وفي الفلسفة «الإشارات والتنبيهات» لابن سينا ، وفي الكلام «كشف المراد» للشيخ خواجه نصير الدين الطوسي ، وهكذا انتهيت عن المتون الدراسية غير الحكمة المتعالية والعرفان . واستكمالاً لدراساتي الإسلامية ، ذهبت إلى النجف الأشرف فحضرت درس الأستاذ آية الله الشيخ محمد حسين الأصفهاني ، ودرست خارج أصول الفقه لمدة ست سنوات متتالية ، وفي أثناء تلك الفترة كنت أحضر الدراسات العالية في الفقه لشيخنا آية الله النائيني ، وأكملت عند سماحته أيضاً دورة كاملة خارج أصول الفقه لمدة ثماني سنوات ، وفي الرجال تتلمذت في كليات علم الرجال على المرحوم آية الله الحجة الكوهكمري . كان أستاذي في الفلسفة الإسلامية هو حكيم الإسلام السيد حسين البادكوبي ، وقد تتلمذت على سماحته في «منظومة

---

(١) الأميني ، محمد هادي . مصدر سابق ، ٣ : ١١٣١ .

السبزواري» و«الأسفار» و«المشاعر» للملا صدرا ، و«الشفاء» لابن سينا ، وكتاب «أثولوجيا» لأرسطو ، و«التمهيد» لابن تركه ، و«الأخلاق» لابن مسكويه . وقد كان الأستاذ البادكوبي يحبني كثيراً ، ويشرف على دراستي ، وترسيخ جذور التربية في وجودي ، ومن ذلك كان يرشدني إلى مدارج الفكر وطرق الاستدلال ، حتى اعتدت بها في تفكيري ، ومن ثم أمرني أن أحضر درس العالم الفلكي السيد أبا القاسم الخونساري ، فقرأت معه «الرياضيات العالية» دورة كاملة ، و«العلوم الهندسية» بكلا قسميها المسطحة والفضائية ، و«الجبر الاستدلالي» . ثم اضطررت للعودة إلى الوطن ، إثر تدهور الأوضاع الاقتصادية ، ونزلت بمدينة تبريز مسقط رأسي ، وأقمت بها مدة أكثر من عشر سنين . وفي الحقيقة كانت تلك الأيام أيام تعيسة في حياتي ، لأني بسبب الحاجة الماسة للعيش وتدبير شؤون الحياة ، انشغلت عن التفكر والدراسة ، واشتغلت بالفلاحة والزراعة ، وكنت أشعر بخسارة روحية عندما كنت هناك ، وكان يسود البؤس نفسي ، ويظلني غمام الألم والضجر ، حينما كنت مشغولاً عن الدراسة والتفكير ، ثم أغمضت العين عن أمر المعاش وتركت مدينتي عائداً إلى قم المشرفة ، وحين نزلتها أحسست بنجاتي من السجن المؤلم ، شاكراً العلي القدير ، لأنه أجاب دعائي ، وأعطاني التوفيق والسداد في سبيل العلم وإعداد طلاب العلوم الدينية ، ،وتهيئة جيل صالح لخدمة الإسلام والشريعة المحمدية)[1] .

وكان السيد محمد حسين الطباطبائي قد تلقى منهج تفسير القرآن بالقرآن ، وفقه الحديث ، والأخلاق والتربية السلوكية ، عند السيد ميرزا علي القاضي الطباطبائي ، كما أشرنا لذلك في ترجمة السيد القاضي ، وقد عُرف الأخير بأنه (فريد عصره في تهذيب النفس ، والأخلاق ، والسير والسلوك ، وكافة المعارف الإلهية ، والواردات القلبية ، والمكاشفات الغيبية السبحانية ، والمشاهدات العينية)[2] ، وهو تلميذ السيد أحمد الكربلائي ، والكربلائي تلميذ المولى حسين قلي الهمداني ، وبذلك امتدت المدرسة السلوكية للهمداني عبر السيد محمد حسين الطباطبائي ، فكان الطباطبائي يهتم بتربية طلابه وتعليمهم قواعد السير والسلوك بمقدار اهتمامه بتعليمهم المعقول ، فمثلاً اعتمد «رسالة السير والسلوك» المنسوبة للسيد بحر العلوم كمتن درّسه لبعض تلامذته غير مرة في الحوزة العلمية في قم ، وقام تلميذه السيد محمد حسين الطهراني

(١) الأمين ، محسن . مصدر سابق ، ٩ : ٢٥٥ .

(١) الطهراني ، محمد حسين . مهرتايان ، ص ١٧ .

بتقرير هذه الدروس التي ألقاها أستاذه الطباطبائي عامي ١٣٦٨ ـ ١٣٦٩هـ ونشرها بعنوان «رسالة لب اللباب في سير سلوك أولي الألباب»[١] .

وكان السيد الطباطبائي عندما هبط الحوزة العلمية في قم قد تمحور اهتمامه بشكل خاص بتصحيح عقائد طلاب العلوم الدينية ، والتأكيد على تهذيب النفس ، وتزكية الأخلاق ، وطهارة السر ، والتشرف بلقاء الله ، فبدأ عمله بتدريس كتاب «الأسفار» لكن مشروعه هذا اصطدم بموقف مناوىء للفلسفة ، حيث يقول : (عندما جئت من تبريز إلى قم بدأت درس «الأسفار» ، وتجمع عدد يقارب المائة من الطلاب لحضور هذا الدرس ، أمرَ آية الله البروجردي رحمة الله عليه بقطع راتب الطلاب الذين يحضرون درس الأسفار . وعندما بلغني الخبر تحيرت ماذا أفعل؟ فإذا قُطِع راتب هؤلاء الطلاب القادمين إلى الحوزة من مدن بعيدة ، وليس لديهم مورد رزق سوى هذا الراتب ، فماذا يفعلون؟ وإذا تركتُ تدريس الأسفار لأجل ذلك ، فإن هذه ضربة قاضية للوضع العلمي ، والعقيدي للطلاب؟ . . . وفي نفس اليوم أو غداً جاءني حاج أحمد خادم السيد البروجردي إلى المنزل بهذه الرسالة عنه ، وهي أنه قال : حينما كنا شباباً ، كنا ندرس الأسفار عند المرحوم جهانگير خان مجموعة صغيرة بشكل سري ، وأما درس الأسفار العلني في الحوزة الرسمية فإنه غير صالح بأي شكل من الأشكال ، ولا بد أن يُترك . فقلتُ له : أرجو أن تقول للسيد البروجردي ، نحن أيضاً درسنا هذه الدروس الرسمية المتعارفة مثل الفقه والأصول ، ونحن قادرون على تدريسها وتأسيس حوزات دراسية لها ، ولا ينقصنا شيء عن الآخرين . أنا حين وفدت من تبريز إلى قم ، كان هدفي فقط وفقط تصحيح عقائد الطلاب ، على أساس الحق ، ونقض العقائد المادية الباطلة ، وفي ذلك الوقت حين كان يذهب آية الله البروجردي بشكل سري إلى درس المرحوم جهانگير خان ، كان الناس والطلاب بحمد الله مؤمنين وذوي نيّات طاهرة ، ولم تكن هناك حاجة لتأسيس دروس علنية للأسفار ، أما اليوم فإن كل طالب يردُ إلى قم ، يحمل معه حقيبة من الشبهات ، والإشكالات . ولذلك لا بد أن نُعين الطلاب هذا اليوم ، ونعلمهم الفلسفة الإسلامية الحقة ، ونعدهم لدحض المذاهب المادية والمثالية ، وعلى هذا فلا نترك تدريس الأسفار . بيد أنه في الوقت نفسه أنا أعتقد أن آية الله البروجردي حاكم شرعي ، فإذا حكَمَ بترك الأسفار ، فسيكون الموقف من هذه المسألة موقفاً آخر .

---

(١) ترجمها إلى العربية عباس نور الدين ، وصدرت عن دار التعارف في بيروت سنة ١٤١٢ .

وبعد هذه القضية ذكر السيد الطباطبائي : إن آية الله البروجردي لم يعارضه ، وانه واصل تدريس كتب الفلسفة كالشفاء والأسفار لسنوات طويلة ، وأن السيد البروجردي كان يحترمه ، وبعث له ذات يوم بهدية نفيسة ، هي عبارة عن أحسن وأصح طبعة للقرآن الكريم)[١] .

لقد اتسم المنهج الفلسفي للطباطبائي بمجموعة سمات تميزه عن غيره ، فمع أنه يتبنى مدرسة الحكمة المتعالية لصدر المتألهين الشيرازي ، لكنه كان يقتفي أثر المشائين في مشربهم البرهاني ، فإنه حذف كل ما تغلغل في عملية الاستدلال الفلسفي من مكاشفات ، ومشاهدات ، وروايات شريفة ، وآيات قرآنية ، واقتصر على البرهان العقلي الذي ينتهي إلى القضايا البديهية في مؤلفاته الفلسفية ، كذلك أعاد نظم وترتيب المباحث الفلسفية بشكل منطقي بنحو أصبحت تُمهِّد فيها المسألة السابقة لما تليها ، وحاول تجريد البحث الفلسفي من الطبيعيات القديمة الباطلة ، وغيرها من المباحث الزائدة الاستطرادية التي لا تمت للبحث الفلسفي بصلة ، وأدت إلى ترهل وتضخم التراث الفلسفي الإسلامي .

من هنا قام بتأليف منهج مدرسي جديد للحوزات العلمية في الفلسفة الإسلامية ، يتكون من كتابين هما : «بداية الحكمة» الذي وضعه بديلاً لمنظومة ملا هادي السبزواري ، و«نهاية الحكمة» الذي وضعه كبديل لأسفار ملا صدرا .

واستطاع الطباطبائي أن يستوعب في كتابه «أصول الفلسفة والمذهب الواقعي» المقولات الأساسية في الفلسفة الأوروبية الحديثة تحليلاً ونقداً ، وبذلك افتتح بوابة واسعة لتحرر الدرس الفلسفي في الحوزة من الدائرة المسدودة التي كان يجول فيها مع الموروث الفلسفي فقط .

وكانت له مساهمات رائدة في التأليف في الفلسفة والمعقول عامة ، وهي :

بداية الحكمة ، نهاية الحكمة ، رسالة في البرهان ، رسالة في المغالطة ، رسالة في التحليل ، رسالة في التركيب ، رسالة في الاعتباريات ، رسالة في النبوات والمنامات ، رسالة في الذات ، رسالة في الأسماء والصفات ، رسالة في الأفعال ، رسالة في الوسائط ، رسالة في الإنسان قبل الدنيا ، رسالة في الإنسان في الدنيا ، رسالة في

(١) الطهراني ، محمد حسين . مهرتابان . ص ٦٠ ـ ٦٢ .

الإنسان بعد الدنيا وهو المعاد ، ورسالة في الولاية ، تعليقات على الأسفار ، عليّ (ع) والفلسفة الإلهية ، رسالة في الإعجاز .

هذه كلها بالعربية ، أما بالفارسية ، فهي :

أصول الفلسفة والمذهب الواقعي ، الوحي أو الشعور الخفي ، الشيعة في الإسلام ، مناظرات مع البروفسور هنري كوربان .

٦٤ ـ مسلم بن حمود بن ناصر الحسيني الحلي (١٣٣٥ ـ ١٤٠٤هـ) .

عالم فاضل ، محقق ، خبير بالفلسفة والكلام ، تصدى لتدريس الفلسفة في الحقبة الأخيرة في النجف ، قرأنا عنده شيئاً من منظومة السبزواري ، حين كان يدرسها في جامع الهندي لعدد قليل من الطلاب . من آثاره : الأصول الاعتقادية في الإسلام ، القرآن والعقيدة أو آيات العقائد ، نظرة في المادة أو مناظرة مع الماديين[(١)] .

٦٥ ـ عباس القوچاني النجفي (حدود ١٣٣١ ـ ١٤١٠هـ) .

ولد في قوچان ، ودرس المقدمات بها ، ثم رحل إلى مشهد الرضا عليه السلام فأكمل دراسة السطوح على أساتذتها ، وحضر في الفلسفة على الحكيم المعروف أقا بزرك الحكيم ، حتى صار خبيراً فيها ، ثم هاجر إلى النجف الأشرف في بضع وخمسين وثلاثمائة وألف للهجرة الشريفة ، فحضر بحوث الشيخ محمد حسين الأصفهاني ، والسيد أبا القاسم الخوئي ، وحضر في السير والسلوك والأخلاق مجالس السيد علي القاضي الطباطبائي ، ولازمه وتربى على يديه ، بحيث أوصى إليه وجعله وصيه من بعده . وكابد الفقر المدقع شأن كل الطلبة المغمورين من ذوي العفاف والكرامة ، وتولى تدريس الفلسفة في النجف طيلة عشرين عاماً ، كما كان يدرس السطوح العالية أيضاً . حقّق كتاب جواهر الكلام وأنجز منه أكثر من عشرين جزءاً[(٢)] .

٦٦ ـ عبد الأعلى السبزواري (١٣٢٨ ـ ١٤١٤هـ) .

فقيه ، مفسر ، أخلاقي ، محقق في المنقول والمعقول ، رحل من موطنه سبزوار إلى مشهد سنة ١٣٤٢هـ ، فحضر الفلسفة على الفيلسوف المشهور آغا بزرك الحكيم ، والسيد محمد العصار ، كما حضر دروس التفسير على العارف المتأله الشيخ حسن

(١) عواد ، كوركيس . معجم المؤلفين العراقيين ، ٣ : ٣٠١ .

(٢) الطباطبائي ، عبد العزيز . معجم أعلام الشيعة . (مخطوط) (توسعنا في ترجمته كما فعلنا مع الشيخ صدرا البادكوبي ، لأنا لم نعثر على ترجمة مدونة له فيما هو مطبوع من كتب التراجم) .

علي الأصفهاني ، ثم هاجر إلى النجف فحضر بحوث الشيخ محمد حسين النائيني ، والشيخ آغا ضياء العراقي ، والشيخ محمد حسين الأصفهاني ، كذلك واصل دراسة الحكمة عند السيد حسين البادكوبي ، ودراسة التفسير عند الشيخ محمد جواد البلاغي .

أصبح من الأعلام البارزين في النجف ، وتقلد المرجعية ، وكان له دور متميز في قيادة وتوجيه انتفاضة ١٥ شعبان المجيدة . ساهم بتدريس الفلسفة في النجف ، حيث كان ينتهز عطلة يومي الخميس والجمعة ليلقي دروسه في الفلسفة . من آثاره : إفاضة الباري في نقد ما ألفه الحكيم السبزواري ، تعليقات على الأسفار[١] .

(١) المهدي ، محمد علي . لمحة موجزة من حياة المرجع السيد عبد الأعلى السبزواري ص١٠-١٤ .

إيضاحات حول تراجم أعلام المعقول في النجف

بعد هذه الرحلة مع أعلام المعقول في النجف التي انبسطت على مساحة ممتدة من السنين تقترب من ألف عام ، تبدأ بالشيخ الطوسي في النصف الأول من القرن الخامس الهجري وتصل إلى السيد السبزواري في النصف الأول من القرن الخامس عشر ، والتي تعرفنا فيها على طائفة من الأعلام من أساتذة ومؤلفي الفلسفة ، وعلم الكلام ، والمنطق ، والعرفان ، لكن لا نستطيع أن نجزم بأنا أتينا على ذكر كل مَنْ كان متخصصاً بالمعقول أو مهتماً به ، لأن بعض الأعلام غفلتهم كتب التراجم ، إما لعدم معرفة مؤلفي هذه الكتب بهم ، لأنهم آثروا العزلة ، والانزواء ، أو لأن نشاطهم في الدرس الشرعي كالفقه والأصول كان محدوداً ، ومن المعروف في حوزة النجف أن من لا يتعاطى الفقه والأصول لا يُصنَف في طبقة الفضلاء ، فضلاً عن أن يُصنَف في الأعلام ، وجُل مؤلفي التراجم يرصدون حياة مَنْ يُصَنَف لديهم في الأعلام .

وربما وردت ترجمة بعض أعلام المعقول في بعض المؤلفات ، من دون بيان لمساهماته ونشاطه في المعقول تدريساً أو تأليفاً ، لخفية ذلك النشاط على كتّاب التراجم ، لأن الاتجاهات الرافضة للفلسفة والتي كان يمثلها بعض الفقهاء ، جعلت المهتمين بالفلسفة يتوارون في تعاطيها عن الأنظار ، ويمارسون تدريساتهم وكتاباتهم بشكل سري أحياناً . ومن الملفت للنظر أنه كلما تقدم الموقع العلمي لأحد طلاب العلوم الدينية تطلب ذلك منه التكتم على اهتمامه بالفلسفة ، لا سيما تدريسها والتصنيف فيها . فأدى ذلك إلى غياب جهود كثيرة ومهمة في الحياة العقلية في مدرسة النجف ، بعد اختفائها عن المؤرخين ومؤلفي كتب التراجم .

وينبغي التنويه بأن المنهج الذي اتبعناه في التعريف بأعلام المعقول في النجف كان يُعنى ببيان كل ما يرتبط بالمعقول دراسة ، وتدريساً ، وتأليفاً ، في حياتهم ، من دون تتبع أحوالهم الأخرى ، وحاولنا أن نؤكد على الحقبة النجفية في حياة بعضهم ممن هاجر من النجف وإليها ، مع غض النظر غالباً عن الفترات الأخرى التي عاشوها قبلاً أو بعداً خارج النجف . باستثناء حالات خاصة وجدنا فيها ضرورة تجاوز هذا المنهج والتوسع بالترجمة خارج حدوده .

وكنا نود أن نقدم رؤية موجزة لمنهج كل واحد من الفلاسفة والمتكلمين ، والعرفاء المعروفين ، لكن وجدنا أن مثل هذا العمل يخرج عن الحدود المرسومة لحجم هذا البحث ، فاكتفينا بتسجيل ملاحظات سريعة حول منهج بعض أولئك . ومما لا شك فيه أن دراسة مناهج هؤلاء الأعلام تتطلب دراسات مستأنفة مستفيضة ، لا يكفي فيها مجرد تلخيص سريع لبعض تجاربهم العقلية .

أخيراً لا بد من القول إن في المعاصرين الأحياء عدد لا يستهان به من أعلام المعقول في النجف ، لهم أعمال وجهود كثيرة ، ذكرنا بعض مؤلفاتهم المطبوعة في الملحق ، لكن لم يسعنا الحديث عن حياتهم وجهودهم الأخرى في المعقول ، لأن منهجنا يستثني الأحياء ابتداء .

واقع الدرس الفلسفي في الحوزة العلمية
في ضوء تحديات الحاضر وآفاق المستقبل

واصلت الحوزة العلمية دراسة وتدريس التراث الفلسفي الإسلامي ، بينما اندثرت مثل هذه الدراسات في كافة الحواضر العلمية الإسلامية التقليدية ، التي كانت تهتم بذلك منذ فترة طويلة ، فلا نجد تدريساً منهجياً منتظماً لتراث ابن سينا الفلسفي ، وتراث محيي الدين بن عربي ، وتراث صدر المتألهين الشيرازي ، وأخيراً تراث ملاّ هادي السبزواري ، كما تزخر بذلك حركة الدرس الفلسفي في الحوزة العلمية .

يُضاف إلى ذلك ، أو يتفرع عنه ، أن معظم أساتذة وتلامذة الفلسفة في الحوزة يعنون بالعرفان الإسلامي عناية خاصة ، فيعكفون على دراسة بعض المؤلفات الأساسية في هذا الحقل ، مثل كتاب «فصوص الحكم» لابن عربي ، وغيره ، ولذا قد يمكث هؤلاء سنوات عديدة لدراسة وفهم أفكار ونظريات الحكماء والعرفاء الإسلاميين ، المشتملة عليها هذه المؤلفات ، والمحكية غالباً بعبارة مكثفة ، معمقة ، مبهمة ، وربما مُلغزة ، يعاني ذو الاختصاص معاناة كبيرة ، ويستنزف جهداً عقلياً هائلاً ، في وعيها وتحليل مدلولاتها .

وعلى هذا الأساس انفردت الحوزة بتوفرها على أجيال من الفلاسفة ، وأساتذة الفلسفة الإسلامية الأكفاء ، في كل حقبة زمنية ، ولم يكن المرحوم العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي إلاّ واحداً من هؤلاء في عصرنا هذا .

ونحسب أنه لا يوجد أحد من أساتذة الفلسفة أو الفلاسفة ، في عالمنا اليوم ، تراكمت لديه خبرة متميزة في شرح وتوضيح وتحليل النصوص الفلسفية والعرفانية في التراث الإسلامي ، كالخبرة التي لدى هؤلاء الأساتذة .

وهي خبرة راكمتها طبيعة المناخ العلمي الخاص ، في دراسة وتدريس المتون القديمة للعلوم الإسلامية عامة ، والفلسفة منها خاصة ، وكذلك طريقة تدريس هذه المتون التي تقوم على استجلاء مدلولاتها ، واستنباء مفاهيمها ، بالاعتماد على تفكيكها إلى جُمل وعبارات ، وتحليل تلك العبارات ، واستنطاق كلماتها .

ولذلك فلا غرو أن يرابط دارسو الفلسفة سنوات عديدة في دراسة كتاب واحد «كالأسفار الأربعة» ، واستيعاب مسائله ، واستظهار وحفظ ما هو مهم منها ، ولعل الأرجوزة المعروفة بـ«المنظومة» التي نظمها ملا هادي السبزواري في المنطق والحكمة ، من المتون المتعارف استظهارها لدى بعض تلامذة الفلسفة .

من مكتسبات دراسة الفلسفة في الحوزة العلمية:

مما لا شك فيه أن استمرار حضور دراسة الفلسفة الإسلامية في الحوزة العلمية ، ساهم في تحقيق مكتسبات هامة ، ليس أقلها الكشف عن ابداعنا الفلسفي ، وما أنجزه الفلاسفة الإسلاميون من ابتكار نظريات ومقولات ومفاهيم فلسفية ، عبرت عن إضافة معرفية أساسية للتراث الفلسفي الإنساني .

إن اكتشاف الإبداع الخاص لحضارتنا الإسلامية ، هو الشرط اللازم لتأكيد الاعتزاز بالذات ، وتجلية الخصوصية الحضارية وحماية الأمة المسلمة من حالات الاستلاب ، والانبهار ، التي قد تتعرض لها ، بفعل اختراق الفلسفات الأخرى لعقل الأمة ، واضمحلال هويتها إثر ذلك .

ولذا يكون التعرف على الخصوصية والنسق الحضاري الخاص لأمتنا ، هو الأداة الموصلة إلى اكتشاف الهوية الحضارية ، وما تختزنه من بناءات وخصوصيات ، وآفاق ، ومن ثم اكتشاف السمات الحضارية النوعية ، والذاتيات الثقافية لها .

ومثل هذا الاكتشاف يقودنا بطبيعته إلى تحديد عناصر النهوض والتقدم ، واستدعاء ما هو حيّ ومتجدد من تلك العناصر ، واستبعاد ما هو نسبي وزمني منها ، واعتمادها كمرتكزات أساسية لإعاد توليد الأفكار والمقولات في ضوء متطلبات الحياة الراهنة ،

كي نتمكن من تعبئة طاقات الأمة الذاتية لمواجهة تحديات الحاضر ، وبناء قاعدة معرفية للنهضة .

بينما يسعى تيار النقل والاقتباس ، إلى تفريغ الطاقة الذاتية للأنا وتبديدها ، عندما يلجأ إلى استعارة المنتجات المعرفية للآخر ، فيما يُهمل بنحو تام كافة مكتسبات الأمة المعرفية في طول تأريخها ، ويتعالى على الرجوع إلى أي مؤلف من المؤلفات التي يزخر بها تراثنا الفلسفي .

ولا نريد أن ندّعي أن الانغلاق على التراث فقط ، وعدم اكتشاف منجزات الآخر وامتصاص ما هو صواب ، وحق ، وحقيقة منها ، هو وحده فقط يمكن أن يحقق النهضة ، وإنما نعني أن روّاد الحداثة والنقل يقعون في خطأ فادح حينما يهدرون التراث ، ويضحون بمنجزات السلف ، فيخسرون ما يختزنه هذا التراث من مقومات ذاتية فاعلة تؤسس النهضة ، وتحمي شخصية الأمة من الذوبان والتشويه .

ومن المكتسبات الأخرى التي أنجزها الدرس الفلسفي في الحوزة العلمية أنه استطاع أن يقدم إجابات فلسفية دامغة ، عن الكثير من الشبهات ، والاشكالات المتنوعة ، التي أشاعتها التيارات الفكرية والسياسية العلمانية في العالم الإسلامي ، بعد أن استعارتها من الفلسفة الأوروبية الحديثة ، وأعمال المستشرقين .

ويمكن القول : إن النقد الفلسفي الدقيق والمعمق ، الذي منيت به الفلسفة المادية الغربية ، وبالذات المادية الديالكتيكية ، وكذلك المذهب التجريبي ، في أعمال العلامة الطباطبائي ، وتلميذه الشهيد المطهري في إيران ، والسيد الشهيد محمد باقر الصدر في البلاد العربية ، لا يماثل أداءه أي نقد آخر ، مما صدر في ديارنا ، وهذا ما يعرفه بجلاء كل من اطّلعَ على أعمال هؤلاء الأعاظم ، خصوصاً «أصول الفلسفة والمذهب الواقعي» الذي ألفه العلامة الطباطبائي ، وكتب عليه تلميذه الشهيد المطهري تعليقات وشروحاً هامة ، وصدر منه خمسة أجزاء باللغة الفارسية ، وهكذا كتاب «فلسفتنا» ، والجزء الأول من «اقتصادنا» للشهيد الصدر ، وقد أوضح الباحث المعروف الأستاذ أكرم زعيتر إثر الكتاب الأول للشهيد الصدر بقوله :

(إن كتاب فلسفتنا هو دراسة موضوعية ، في معترك الصراع الفكري القائم بين مختلف التيارات الفلسفية ، وخاصة بين الفلسفة الإسلامية ، والمادية الديالكتيكية الماركسية ، وهذه الدراسة تتسم بالدفاع المنطقي الحار عن الميتافيزيقية أو الإلهية ، حتى

يمكن القول إن الكتاب هو جهد فلسفي منطقي موفق ، لنسف الأسس الفلسفية للإلحاد ، وإنني أعتقد أن المادية الديالكتيكية الماركسية ، لم تُجابه بمناقشات فلسفية واعية فاهمة ، ولم تُقرع بردود علمية من قبل كُتّاب العرب المتفلسفين ، كما جوبهت ، وكما قُرعت بهذا الكتاب ، أجل انه لم يَنازلها فلسفياً مُنازِل عربي أو مُسلم عنيد حسب اطلاعي مثل محمد باقر الصدر) .

لقد قدمت أعمال الطباطبائي ، ومطهري ، والصدر ، تقويماً موضوعياً للفلسفة المادية ، وحاكمت المذهب التجريبي محاكمة منطقية دقيقة ، زيَّفت فيها ركائز تلك الفلسفة ، وأوضحت التهافت الذي ينطوي عليه منطق المذهب التجريبي ، عندما يحاول تخطي حدود التجربة ، هذه الحدود التي لا تعدو عالم الطبيعة ، فيحكم بالنفي على عالم آخر «ما وراء الطبيعة» ، عالم لا تناله الحواس ، ولا تستخدم فيه التجربة وأدواتها .

كذلك برهنت هذه الأعمال على لون آخر من التهافت الذي وقع فيه هذا المذهب ، حينما حاول أن ينفي أي مصدر للمعرفة التصديقية خارج إطار التجربة ، غافلاً عن أن هذا النفي ذاته هو قضية تصديقية لا تتكىء على تجربة ؛ لأن التجربة لا تؤكد قيمة نفسها ، وبذلك يُسلِم هو بتصديقات عقلية خارج حدود التجربة ، فيقع في حبال ما نفاه في نفيه ، ويضَحى هذا النفي برهاناً على أنه لا بد أن يقبل بمعارف أولية قبلية لا تنالها التجربة .(١)

بقي أن نُشير إلى أن الدرس الفلسفي في الحوزة العلمية ، أسهم في تخصيب ، وتوليد فكر فلسفي إسلامي جديد ، مثلته مدرسة الحكمة المتعالية ، المدرسة التي أبدعت توليفاً إتسقت فيه عناصر وأدوات فلسفتي المشاء والاشراق ، والعرفان ، وعلم الكلام ، والوحي ، والتي أسسها وأشاد أركانها الفيلسوف المسلم محمد بن إبراهيم الشيرازي المعروف بصدر المتألهين ، وإن ظل منجزه الفلسفي قيد الإهمال والتجاهل حتى لحظتنا هذه ، في المواقع التي لم تزل تتعاطى شيئاً من دراسة المعقول الإسلامي ، وهي أقسام الفلسفة في الجامعات العربية والإسلامية .

---

(١) الطباطبائي ، السيد محمد حسين . الميزان في تفسير القرآن . بيروت : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م ، ج١ : ص ٥٠ ـ ٥٢ .
والصدر ، السيد الشهيد محمد باقر . فلسفتنا . بيروت : دار التعارف للمطبوعات ، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ، ص٧٤ ـ ٨٩ .

وربما كان إقصاء فلسفة صدر المتألهين من هذه المواقع يعود إلى مجموعة عوامل متداخلة ، من أبرزها عدم توفر أساتذة أكفاء متخصصين في الحكمة المتعالية في أروقة هذه الجامعات ، وهذا ما لا يتحقق إلاّ بانخراط طلاب نابهين في دراسة الحكمة المتعالية ، ويُخيل إليّ أن بعض تلك العوامل تنطلق من نزعات طائفية أو عرقية بعيدة عن روح الإسلام .

ويمكن أن نسجل للدرس الفلسفي في الحوزة إنجازاً هاماً آخر ، وهو أنه مع ضمور روح الإبداع في الإنتاج الفكري عموماً لدينا في هذه الفترة ، فإن الإبداع لم ينقطع في فضاء الدرس الفلسفي في الحوزة تماماً ، إذ نلتقي في هذه الفترة بإنجازين رائدين ، تبلور عنهما هذا الدرس في مرحلته الحاضرة .

أولهما : كتاب «أصول الفلسفة والمذهب الواقعي» للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ، مع تعليقات وشروح لتلميذه الشهيد الشيخ مرتضى مطهري ، وهذا الكتاب عبارة عن دورة فلسفية ، تتضمن تحقيقات قيّمة للفلسفة الإسلامية خلال ألف عام ، مع استيعاب للآراء والنظريات الفلسفية الحديثة أيضاً ، وتأصيل مجموعة أسس فلسفية ، تبين قيمة الفلسفة الإلهية ، التي تجلى فيها إبداع الحكماء المسلمين .

والثاني : كتاب «الأسس المنطقية للاستقراء» للمفكر الشهيد السيد محمد باقر الصدر ، وقد تمثل إنجازه الأساسي في اكتشاف وصياغة مذهب جديد ، في تفسير كيفية نمو المعرفة البشرية وتوالدها ، عبرَ عن اتجاه آخر في تفسير المعرفة ، غير ما كان معروفاً بين المذهبين التجريبي والعقلي ، وتعدُّ ولادة هذا المذهب ، الذي أسماه الشهيد الصدر «المذهب الذاتي للمعرفة» أعظم إنجاز شهدته دراسات المعقول الإسلامي ، على يد أبرز مفكر إسلامي ، ظهر في النصف الثاني من القرن العشرين ، وان لم تُعمم أطروحته بين الدارسين حتى الآن .

ملاحظات تقويمية:

حينما نتأمل واقع الدرس الفلسفي اليوم في الحوزة العلمية ، نجد جملة إشكاليات ترتهن هذا الواقع ، وفي إطار هذه الإشكاليات قد تغدو بعض المكتسبات المارة الذكر غير واضحة ، بعد أن امتدت هذه الإشكاليات أفقياً وعمودياً ، فألقت بظلالها على تمام دائرة الدرس الفلسفي ، فأضحت حالات عامة مستمرة ، وليست ظواهر طارئة ناشئة عن عوامل آنية ، تنقضي وتتبدد بانقضائها .

من هنا سنشير باختصار شديد إلى أبرز هذه الإشكاليات بغية التفكير مع المهتمين بهذا الشأن ، في تهيئة المناخ المناسب للإبداع والتجديد في الفلسفة ، كي تواصل الفلسفة تطورها وتؤدي وظيفتها العظمى في تأسيس النهضة[١] .

قصور الأسلوب التقليدي في دراسة الفلسفة:

لعل من أوضح هذه الإشكاليات ، استنزاف طاقات عقول تلامذة الفلسفة ، في تفسير وتوضيح نصوص الفلاسفة المبهمة ، المعقدة ، الملغزة ، بنحو تتبعثر فيه الجهود وتتشتت في دراسة كتب الحكمة ، والعرفان ، كتاباً كتاباً ، من ألفها إلى يائها ، في مدة لا تقل عن خمسة وعشرين عاماً ، لو أراد التلميذ أن يلتزم بالمنهج المتعارف في دراسة الفلسفة والعرفان في الحوزة ، لأن كتاباً واحداً منها ، هو «الأسفار الأربعة» يحتاج إلى حوالي خمسة عشر عاماً ، كي يفرغ التلميذ من دراسته .

وهذه مدة طويلة تأكل أخصب مرحلة من مراحل توثب العقل وفعاليته ، فتستهلكها في شرح العبارات ، وتوضيح المفاهيم ، ومعرفة المقولات ، وتأويلها ، من دون أن تتيح للتلميذ فرصة للتفكير الحر ، وبالتالي القدرة على الإبداع والابتكار ، ولذلك بات العقل الفلسفي عندنا يكرر نفسه منذ فترة ، فاستغرق في الشروح والتعليقات والحواشي ، وحُبِس في مداراتها ، ولم يقوَ على تخطيها نحو التأسيس والإبداع ؛ لأن عملية التأسيس تستدعي تحرر العقل من عملية التلقي والاستماع المستمر ، كي يقدر على التنظير والتأصيل .

إن التلميذ الذي يبغي التخصص في الفلسفة لا يحتاج كل هذه السنوات الطويلة ، للتجوال بين صفحات تلك المؤلفات في الفلسفة والعرفان كي يتعرف إلى المنظومة الفلسفية لصدر المتألهين ، أو يكتشف عرفان الشيخ محيي الدين ، وإنما يمكنه أن يتوفر على رؤية مدرسيّة تحيط بهذه المنظومة الفلسفية ، وتلك المنظومة العرفانية ، وما تشتملان عليه من مقولات ونظريات أساسية ، لو أعدت مجموعة كتب مدرسية حديثة من قبل أساتذة الفلسفة والعرفان ، تُعرِّف بالمرتكزات الأساسية لهاتين المنظومتين ، وتنتقَي نماذج من تراث صدر المتألهين ، والشيخ محيي الدين ، تعرف بكل مقولة من مقولاتهما ، وتدرس تلك النماذج في سياق دراسة المنظومة بتمامها ، فتقدم للتلميذ

---

(١) الرفاعي ، عبد الجبار . «وظيفة الفلسفة في تأسيس النهضة» . الفكر الإسلامي (قم) ع٦ (١٤١٥هـ) ص١٢٧ ـ ١٤٦ .

خلاصة مكثفة بأصول المنظومة ، ومرتكزاتها الأساسية وتهيئة لمراجعة تراثها من خلال دراسة النماذج المنتقاة ، كما تفعل الجامعات الحديثة في أقسام الدراسات العليا في تخصص الفلسفة ، لأن عمر الطالب لا يتسع لدراسة كل هذه الكتب المتعارفة في الفلسفة ، والعرفان ، لا سيما وأن معظم طلاب العلوم الدينية اليوم ، يلتحقون بالحوزة العلمية بعد التخرج من الجامعة ، أو الفراغ من الدراسة الثانوية على الأقل ، والمتعارف في الحوزة أنهم لا يشرعون في دراسة الفلسفة إلاّ بعد تجاوز مرحلة المقدمات ، وشيء من السطوح ، وهذا يعني أن التلميذ لا يشرع في دراسة الفلسفة قبل أن يبلغ الخامسة والعشرين من عمره في أفضل الأحوال ، بموازاة دراسته للفقه والأصول ، فإذا ضممنا لها خمسة وعشرين سنة أخرى يقضيها في دراسة كتب الفلسفة ، والعرفان ، آنئذ سيبلغ الخمسين عاماً من عمره حينما يفرغ من دراسته في الأحوال الاعتيادية ، وهو حد كبير بالنسبة إلى هذا العصر ، الذي نواجه فيه تحديات هائلة ، وتنتظر طالب العلوم الدينية وظائف عظيمة في خدمة الإسلام وقضايا المسلمين .

اختصار الفلسفة الإسلامية بصدر المتألهين الشيرازي:

يجري في المنهج المتعارف دراسته في الفلسفة في الحوزة العلمية اختصار الفلسفة الإسلامية بصدر المتألهين الشيرازي ، وشيء من ابن سينا ، وشيء من شيخ الإشراق السهروردي يجري التعرف على بعض أفكارها غالباً ، عبر صدر المتألهين ، فيما يغيب بنحو تام أو يقل حضور تراث فلسفي إسلامي واسع ، أنجزه فلاسفة إسلاميون كبار ، فلا يلتقي دارسو الفلسفة بتراث أول فيلسوف مسلم وهو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي المتوفى سنة ٢٥٢ أو ٢٦٠هـ ، والذي اعتبره (كاردان «Cardan» ، أحد فلاسفة عصر النهضة . . . واحداً من اثني عشر مفكراً ، هم أنفذ المفكرين عقولاً)(١) .

كما أكد هنري كوربان أن ما وصلنا من مؤلفات الكندي يشير إلى أنه : (كان فيلسوفاً بكل ما كانت تحمل هذه الكلمة من معنى في عصره . . . وبكلمة واحدة فإن

---

(١) دي بور ، ت . ج . تاريخ الفلسفة في الإسلام . ترجمة : د . محمد عبد الهادي أبو ريدة . القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط٤ ، ١٩٥٧م ، ص١٨٢ .

الكندي يمثل خير تمثيل ذلك النوع من الفلاسفة الذي يتسم بقوة التفكير، وغزارة الانتاج، مثل الفارابي، وابن سينا، وصدر المتألهين)[١].

تجدر الإشارة إلى أن قائمة مؤلفات الكندي تجاوزت (٢٣٠) عنواناً، طبقاً لما أورده ابن النديم في «الفهرست»[٢]، منها ما هو في الفلسفة، ومنها ما هو في المنطق، والموسيقى، والحساب، والطبيعة، وغير ذلك، غير ان ما وصلنا منها هو مجموعة رسائل، ظلت حتى عهد قريب طي النسيان، حتى اكتشفها في الثلاثينات من هذا القرن المستشرق الألماني ريتر H. Ritter، في مكتبة أيا صوفيا باسطنبول، فعكف عليها الأستاذ الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريده، فنشر ما يتصل منها برسائل الكندي الفلسفية والعلمية في مجلدين، صدر الأول منهما عام ١٩٥٠م، وصدر الثاني عام ١٩٥٣م، وقدم الأستاذ أبو ريدة لهذه الرسائل بدراسة مستفيضة عن الكندي، وفكره الفلسفي، وإسهامه في تأسيس الفلسفة الإسلامية. وكانت بضع رسائل أخرى قد نُشرت للكندي في أوروبا قبل هذا التاريخ بكثير، أي في النصف الثاني من القرن التَاسع عشر بترجمات لاتينية، ضاع الأصل العربي لبعضها[٣].

كذلك يظل تلميذ الفلسفة في الحوزة يجهل ما أنجزه فيلسوف الإسلام أبو نصر محمد بن طرخان الفارابي المعروف بالمعلم الثاني والمتوفى سنة ٣٣٩هـ، والذي وصفه ابن خلكان بأنه: (أكبر فلاسفة المسلمين، ولم يكن فيهم من بلغ رتبته في فنونه، والرئيس أبو علي بن سينا بكتبه تخرج، وبكلامه انتفع في تصانيفه[٤].

ولذا نصَّ غيرُ واحد ممن ترجموا لابن سينا أو درسوا فلسفته، على أنه كان تلميذاً لتصانيف الفارابي، بل ذهب بعضهم إلى أنه (نكاد لا نجد في فلسفته شيئاً إلا وأصوله عند الفارابي)[٥]، كما انتهى إلى ذلك منك في كتابه Meleanges ص٣٤٢.

وقد لا يتاح لتلميذ الفلسفة في الحوزة، سوى معرفة بعض الآراء القليلة للفارابي،

---

(١) كوربان، هنري. تاريخ الفلسفة الإسلامية. ص ٢٣٧.

(٢) ابن النديم. الفهرست. تحقيق: رضا تجدد. طهران: ص٣١٥ ـ ٣٢٠.

(٣) مرحبا، د. محمد عبد الرحمن. الكندي: فلسفته ـ مُنتخبات. بيروت ـ باريس: منشورات عويدات، ط١، ١٩٨٥م، ص١٣ ـ ١٥.

(٤) ابن خلكان، أحمد بن محمد. وفيات الأعيان. تحقيق: د. إحسان عباس. قم: منشورات الرضى. مج٥: ص١٥٣..

(٥) دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام. ترجمة: الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريده. القاهرة ط٤، ١٩٥٧م، هامش ص١٩٢.

المتناثرة في تراث صدر المتألهين الشيرازي ، والفلاسفة التالين له ، ممن يتعاطى التلاميذ دراسة مؤلفاتهم في الحوزة . وهي لا تقدم صورة واضحة عن المنظومة الفلسفية للفارابي ، ودوره التأسيسي في تراث الفلسفة الإسلامية[1] .

أما فلاسفة مغرب العالم الإسلامي ، كابن طفيل ، وابن باجه ، وابن رشد ، فإنهم غائبون بنحو تام عن ميدان الدرس الفلسفي ، فلا نجد حضوراً لهم في أروقة الدرس ، ومن النادر أن نعثر على إشارة لفكرهم الفلسفي ، أو تعريفاً بهم ، في ثنايا المصادر التي يتداولها تلامذة الفلسفة في الحوزة .

ونحسب أن في هذه المسألة ظلماً كبيراً ، خصوصاً للأخير من هؤلاء الثلاثة ، وهو الفيلسوف أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد المتوفى سنة ٥٩٥هـ ، والذي طارت شهرته في الآفاق ، واحتل مكانة بارزة عند الفلاسفة الأوروبيين في العصور الوسطى خاصة ، لم يبلغها أي فيلسوف إسلامي غيره ، ولما تزل مكانته لدى المهتمين بالفلسفة الإسلامية في أوروبا لم تتزلزل ، لأنه ذو (مكانة بارزة في تطور الفكر الفلسفي العام ، يكاد لا يضاهيه فيها أحد من الفلاسفة العرب)[2] حسب تعبير الدكتور ماجد فخري .

وهذا ما جعل الكثير من مؤرخي الفلسفة الإسلامية يذهب إلى أن الفلسفة الإسلامية خُتمت بابن رشد . ويبدو أن هذه مسألة متعاكسة ، ففي الوقت الذي يعتبر هؤلاء أن الفلسفة الإسلامية انتهت عند ابن رشد ، ويشيحون النظر عن عدة قرون تالية كانت الفلسفة الإسلامية فيها تنمو ، وتزدهر ، وتتطور في مشرق العالم الإسلامي ، وبالذات في إيران ، بعد وفاة ابن رشد ، نلتقي بموقف سلبي في أروقة الدرس الفلسفي في الحوزة العلمية من التراث الفلسفي لابن رشد ، بحيث يغيب هذا الفيلسوف المسلم

---

(١) يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في ترجمته لنفسه :

(وانتهيت إلى العلم الإلهي ، وقرأت «كتاب ما بعد الطبيعة» ، فلم أفهم ما فيه ، والتبس عليّ غرض واضعه ، حتى أعدت قراءته أربعين مرة ، وصار لي محفوظاً ، وأنا ـ مع ذلك ـ لا أفهمه ، ولا المقصود به ، وأيست من نفسي ، وقلت : هذا كتاب لا سبيل إلى فهمه . فحضرت يوماً ـ وقت العصر ـ في الوراقين ، فتقدم دلال بيده مجلد ينادي عليه ، فعرضه عليّ ، فرددته رد متبرم ، معتقد أن لا فائدة في هذا العلم ، فقال : اشتره ، فصاحبه محتاج إلى ثمنه ، وهو رخيص ، أبيعكه بثلاثة دراهم ، فاشتريته ، فإذا هو كتاب أبي نصر الفارابي في أغراض كتاب ما بعد الطبيعة . فرجعت إلى داري وأسرعت قراءته ، فانفتح علي في الوقت أغراض ذلك الكتاب ، لأنه كان صار محفوظاً على ظهر القلب ، ففرحت بذلك ، وتصدقت في اليوم التالي بشيء كثير على الفقراء ، شكراً لله تعالى . . .) .

(٢) فخري ، ماجد . ابن رشد : فيلسوف قرطبة . بيروت : دار المشرق ، ط٣ ، ١٩٩٢م ، ص٣ .

ولا يدري معظم دارسو الفلسفة شيئاً عن منظومته الفلسفية ، وان مكثوا سنوات كثيرة في دراسة الفلسفة ، لأن دراسة الفلسفة ، والعرفان في الحوزة العلمية تُختصَر في صدر المتألهين ، وابن عربي ، فيما يجري إهمال قسم ليس بالقليل من التراث الفلسفي الإسلامي .

وأخال أن الدرس الفلسفي يستطيع تخطي هذه المشكلة ، عبر اعتماد أسلوب جديد في دراسة الفلسفة ، يُعنى بتقديم مدارس الفلسفة الإسلامية ، والهيكل العام ، والمرتكزات الأساسية لكل مدرسة ، مع انتخاب نماذج من تراث هذه المدارس ودراستها ، كي يتسنى للدارس مراجعة تراث هذه المدرسة ، بعد تعرفه على مصطلحاتها ، وأسلوب بيانها ، ومفهوماتها ، ومقولاتها الخاصة . على أن تجري دراسة مدارس الفلسفة الإسلامية ، ويتم التعرف على المنجز الفلسفي لكل فيلسوف مسلم ، أسهم في تكوين وتطوير الفكر الفلسفي في الإسلام ، في سياقها التاريخي ، ليكتشف الدارس الجذور التاريخية للأفكار الفلسفية ، ويعلم بأبعاد التجربة الفلسفية وامتداداتها الزمنية في الإسلام ، وما راكمته هذه التجربة من إبداع ، وتطوير ، وإضافات متميزة للتراث المعرفي الإنساني .

وبهذا يتبين أنه وفق هذا الأسلوب ، سيكتشف الدارس كل أبعاد الفضاء الفلسفي الإسلامي ، ويقف على الحقول المتنوعة لتراثنا الفلسفي ، ويتعرف البناء الفلسفي لكل فيلسوف ، ويفهم مصطلحاته ، ومفهوماته ، واتجاهه ، ومنحى تفكيره الخاص ، من خلال دراسة كل مدرسة فلسفية ، أو كل فيلسوف ، في مقرر دراسي محدد بسقف زمني لا يتخطاه .

وإلاّ لو اقتفينا الأسلوب المتعارف في دراسة التراث الفلسفي الإسلامي في الحوزة ، وأردنا أن ندرس بالإضافة إلى صدر المتألهين الفلاسفة الإسلاميين الآخرين ، بدءاً بالكندي مروراً بالفارابي ، وابن سينا ، وشيخ الإشراق السهروردي ، حتى ابن رشد ، فسوق ينتهي عمرنا قبل الفراغ من دراسة مؤلفاتهم بتمامها ، وربما لا يقدر الدارس لهذه الكتب في نهاية الأمر أن يحيط بالمنظومة الفلسفية لكل واحد منهم ، بينما نتمكن أن ندرس كل هؤلاء ، وغيرهم ، حينما نتجاوز الأسلوب التقليدي ، فنعمد إلى إعداد مناهج جديدة لدراسة الفلسفة ، تُعنى بالتعريف بمدارس الفلسفة الإسلامية ، والمنظومات الفلسفية للفلاسفة الإسلاميين ، على أساس تسلسلها التاريخي .

الارتهان في المشاغل التقليدية للفلسفة:

ارتهن الدرس الفلسفي لدينا بالتراث الفلسفي ، وإشكالياته ، ورؤاه ، ومعطياته المتنوعة ، واستغرق في شرح ، وتأويل ، وإعادة إنتاج تلك الرؤى ، لا سيما ما يرتبط منها بمباحث الإلهيات بالمعنى الأعم ، بينما ضمر البحث في المسائل الأخرى ، فلم يكن سوى تكرار لما قاله السلف .

لقد وقعنا في حالة ركود ، تحوّل فيها عقلنا إلى صدى للنصوص المتلقاة ، وطالت في حياتنا مرحلة الشروح ، فأكلت من تاريخنا مدة ليست قليلة ، وصارت مهمتنا النقل عن القدماء ، من دون تحليل ، ونقد ، وتمحيص ، واكتسبت نصوصهم مرجعية تهيمن على مجمل نشاطنا العقلي ، وإنتاجنا الفلسفي .

إن التحرر من سلطة النص الفلسفي السابق ، وتجاوز مرجعيته ، هو الشرط الأساسي لأية عملية ابداع فلسفي ؛ لأن الإبداع يتطلب منا وضع النصوص السابقة في سياقها التاريخي ، وإطارها الزمني الخاص ، كيما نتخلص من هيمنتها على عقلنا ، وكبحه عن الابتكار ، وهذا ما فعله فلاسفة الإسلام العظام ، لا سيما ممن تفردوا ببناء منظومة فلسفية جديدة منهم ، كشيخ الإشراق السهروردي ، وابن رشد ، وصدر المتألهين الشيرازي .

إن البقاء في داخل رؤية النص السابق ، وعدم الافلات من فضائه الخاص ، ربما يؤدي إلى حصول انشطار في الوعي ، بين ما تتطلبه الحياة الراهنة ، وبين ما يطرحه ذلك النص من رؤى ومفاهيم ماضية ، فيغيب وعينا عن روح العصر ، ويظل حبيسإإشكاليات ، ومفهومات النص القديم ، الذي تموضع في داخله .

إن هذا الوعي السكوني الذي تسوده عمليات شرح النصوص وتفسيرها ، لا ينال من وعي الناس الراهن شيئاً ، لأنه يعيش في تاريخ مضى ، لا يتناغم مع مشكلات الناس المعرفية الحاضرة ، ومن المعروف أن تغيير العالم ، إنما يقوم على تغيير وعي الناس ، وتسليحهم برؤية جديدة تغاير رؤاهم التقليدية السابقة ، وتتسق مع متغيرات الحياة وآفاقها المتجددة ، وهذه أبرز وظيفة مترقبة من الفلسفة ، لأن وظيفة الفلسفة تكمن في تحرير وعي الإنسان ، عبر توجيه العقل نحو المسار الصحيح ، وتحطيم كل القيود التي تحول دون التفكير المستقيم .

وعندما نلقي نظرة على عصور ازدهار الفلسفة الإسلامية ، سنجد أن الحكماء الإسلاميين ، كانوا قد خاضوا بكافة ملابسات ، وإشكاليات عصورهم ، المعرفية ، والعقائدية ، والاجتماعية ، والسياسية ، ولم يُهملوا الطبيعيات[١] ، وإنما استأثرت باهتمام غير عادي لديهم ، حتى شملت مساحة واسعة من مصنفاتهم ، فلماذا ينحسر البحث الفلسفي عندنا ، فلا يتخطى غالباً عتبة الإلهيات بالمعنى الأعم ، وما يرتبط بها؟ ! ، بينما نهمل حقولاً هامة أخرى ، تتوقف عليها النهضة المدنية لأمتنا ، وتقدمها في ميدان العلوم الطبيعية ، مثل فلسفة العلم ، وما يتعلق بالآفاق الجديدة للبحث في نظرية المعرفة ، وهي حقول انصبت فيها جهود الفلاسفة الأوربيين المحدثين ، وتمكنت أوروبا أن تشيد نهضتها الحديثة على أساس معطيات ونتائج بحوثهم في هذا الميدان ، كما واصلت الفلسفة الأوروبية المعاصرة الاهتمام والبحث فيها ، ولذا نراها تقول كل يوم جديداً فيها .

في هذا الضوء ينبغي أن نفتح باب البحث والدراسة في هذه الحقول على مصراعيه ، ولا نقتصر على المشاغل التقليدية للفلسفة ، كيما تعود للفلسفة وظيفتها الأخرى الحياتية ، هذه الوظيفة التي تعطلت لدينا منذ عدة قرون ، وهي استكشاف وصياغة منظومة معرفية تعيد بناء مناهج البحث في العلوم الطبيعية ، في ضوء معطيات العصر ، والمتطلبات الحياتية لمجتمعاتنا .

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن منهج البحث في الفلسفة الإلهية لدينا ، يحتاج إلى إعادة بناء ، لأن المشكلات العقائدية ، والمعرفية الحاضرة ، لا تتطابق دائماً مع تلك المشكلات التقليدية السالفة ، فالتحديات التي تواجه الإيمان ، والإشكالات المثارة على الدين ، هي نتاج هذا العصر ، وما يموج به من أفكار ، ونظريات ، ومذاهب جديدة ، فضلاً عن حالة القلق ، واللايقين التي تشيع بين قطاع واسع من النخبة المتعلمة في مجتمعاتنا ، وتمدها الحياة المعاصرة على الدوام ، بما تموج به من تناقضات اجتماعية ،

---

(١) من المؤسف أن يعيب صدر المتألهين في كتابه : «الأسفار الأربعة ج٩ : ص١١٩ على الشيخ الرئيس ابن سينا صرف الوقت في العلوم الأخرى كالطب ، والحساب» قائلاً : (فهذه وأمثالها من الزلات والقصورات ، إنما نشأت من الذهول عن حقيقة الوجود ، وأحكام الهويات الوجودية ، وصرف الوقت في علوم غير ضرورية ، كاللغة ، ودقائق الحساب ، وفن ارثماطيقي ، وموسيقى ، وتفاصيل المعالجات في الطب ، وذكر الأدوية المفردة ، والمعاجين ، وأحوال الدرياقات ، والسموم ، والمراهم ، والمسهلات ، ومعالجة القروح والجراحات ، وغير ذلك من العلوم الجزوية ، التي خلق الله لكل منها أهلاً ، وليس للرجل الإلهي أن يخوض في غمرتها) .

وأخلاقية ، وسياسية . . . وغيرها . من هنا فإن (الشخص الذي يتمنى العودة إلى يقين العصر السابق ، يمكن مقارنته بالعجوز الذي يحلم بالعودة إلى أيام الشباب) حسب تعبير الشيخ محمد مجتهد شبستري .

وما دام البحث الفلسفي يتحرك في القنوات القديمة ، ويدور في مشكلات مجتمعات الأمس المعرفية ، ولم يتخلص إلى اليوم من بعض المباحث ، التي أرهقت العقل الذي لم يزل ينوء بحملها منذ حين ، واستنزفت جهوداً عظيمة في تفسيرها ، وتأويلها ، بينما لا يتعدى بعضها تمارين ذهنية مارسها فلاسفة قدماء ، وقدموها بصورة نظريات ، فوقع عقلنا في أسرها ، وأرهقت التفكير الفلسفي في العصور اللاحقة ، عندما تحولت إلى أثقال لم يستطع الفكر الفلسفي التخلص منها .

وعلى هذا ينبغي دراسة التراث الفلسفي في داخل زمنه الخاص ، وظروفه التاريخية ، وليس من الصحيح دراسته خارج التاريخ ، والتعامل مع مفرداته كلها باعتبارها فكراً نهائياً مطلقاً ، منفصلاً عن البيئة والأفق الحضاري التاريخي الخاص ، الذي ولد فيه .

عدم الوقوف على الفلسفة والعلوم الإنسانية الغربية المعاصرة:

عمل العلامة الطباطبائي ، وتلميذه الشهيد الشيخ المطهري ، في الحوزة العلمية في قم ، والسيد الشهيد الصدر في الحوزة العلمية في النجف الأشرف ، على الاهتمام بالاتجاهات الحديثة في الفلسفة الأوروبية ، ودراستها ، والوقوف على ما انتهت إليه من أقوال جديدة في نظرية المعرفة ، وما تفرع عنها من رؤى كونية ، فنقدوها ، وقارنوا بينها وبين نظريات الفلاسفة المسلمين ، وقرروا الموقف المبرهن الصحيح منها .

بيد أن دراستهم لتلك الاتجاهات توقفت عندما بلغته هذه الفلسفة في القرن التاسع عشر حتى مطلع القرن العشرين ، تبعاً لما هو مترجم من مراجع للعربية ، والفارسية من مؤلفات الفلاسفة الأوروبيين آنذاك .

ولكن بعد غياب هؤلاء الأعلام انكفأت تجربتهم ، فلم نلتق بأحد من أساتذة الفلسفة في الحوزة العلمية ، يحاول أن يمتد بتجربتهم ، فيواصل دراسة ، ونقد الفلسفة الأوروبية المعاصرة ، واتجاهاتها الحاضرة .

ونحسب أن مواكبة الاتجاهات الراهنة للعلوم الإنسانية في الغرب عموماً ، والفلسفة

بالذات ، تؤكدها حاجات معرفية عديدة ، وإن كان البعض يرفض مثل هذه الحاجات ، ويدعونا إلى الانغلاق على التراث ، وإغلاق النوافذ ، ورفض كافة مكتسبات التجربة المعرفية للآخر ، وكأنه يتجاهل (أن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها ولو كانت من أهل الضلالة) وهو ما قام به علماؤنا القدماء ، عندما تعاملوا مع علوم الأوائل ـ حسب تعبيرهم ـ أي العلوم التي وصلتهم من الأمم الأخرى ، فدرسوها بروح علمية حرة ، ومحّصوها بدقة ، استطاعوا معها في الغالب انتقاء عناصرها الحية الصالحة ، التي كانت بمثابة أدوات عقلية إنسانية عامة ، لا تخص الأمة التي انتجتها ، ولا البيئة التي ولدت فيها ، وإنما هي إنسانية عامة ، يستوي فيها العقلاء من حيث هم عقلاء ، مثل معظم القواعد المنطقية ، بينما استبعدوا عناصرها الخاصة ، التي هي نتاج البيئة الحضارية الخاصة للأمة المنتجة لها .

ويمكن القول ، إن للعلوم الإنسانية المعاصرة بُعداً علمياً تفسيرياً ، يُعنى باكتشاف شخصية الإنسان ، وحاجاته ، وأنماط علاقاته ، وطبيعة سلوكه ، ودوافع هذا السلوك . . . وغير ذلك ، كما أن لهذه العلوم بُعداً مذهبياً يُعبّرُ عن الرؤية الكونية للباحث ، وبيئته ، وزمانه ، ومجمل الظروف الحياتية ، والفضاء المعرفي الخاص الذي ينتمي إليه الباحث . فالبُعد العلمي التفسيري ، هو بُعد عام ، يتولى تبصير الإنسان بما هو كائن ، ويكتشف القوانين والنواميس والعلاقات الواقعية ، أي يُعنى بمعرفة السُنن (بتعبير القرآن الكريم) الثابتة المطردة العامة .

ومن المعلوم أن بعض هذه النواميس والسنن ذات طابع تكويني ، مثلما القانون الطبيعي ، فلماذا لا نسعى لتوظيف هذه الاكتشافات في معارفنا ، ونعتمدها كأسس في أساليب التربية ، والتعليم ، والدعوة إلى الإسلام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتوجيه الحياة الاقتصادية ، والمدنية . . . وغير ذلك .

وإن كان التميزُ بين البُعد المذهبي ، والبُعد العلمي في العلوم الإنسانية المعاصرة ، أمراً في غاية الصعوبة ، لا سيما وإن تجرد البُعد العلمي التفسيري تجرداً تاماً ، وعدم اندماجه بالبُعد المذهبي إنما يكون في حالات قليلة ، إلاّ أن المتخصص في هذه العلوم ، ممن يتوفر على ثقافة إسلامية أصيلة ، سيكون قادراً على تشخيص ذلك .

وبعبارة أخرى ، إن الانفتاح الواعي على معطيات العلوم الإنسانية المتنوعة ، مثل الفلسفة المعاصرة ، وعلم النص ، وعلم الاجتماع ، وعلم الإنسان «الانثربولوجيا» ، وعلم النفس ، وعلم الاقتصاد ، . . . وغيرها ، ودراستها دراسة تحليلية نقدية ،

وتصنيف مفاهيمها ، ونظرياتها في ضوء دراستنا لها ، كيما يتمُّ إقصاء ونفي كل ما هو باطل منها ، أو نفي بُعدها المذهبي المعبر عن البيئة الغربية الخاصة ، والرؤية الكونية المادية للإنسان الغربي ، واستدعاء بعض أدواتها السليمة وعناصرها الصحيحة المتمثلة في بعدها العلمي التفسيري العام ، فإنه ليس في ذلك ضلال ومروق من الدين ، لأنه ليس كلُ معرفة ينتجها العقل الغربي هي ضلال وباطل ، فالعقل الغربي عقل بشري يمكنه أن ينتهي إلى اكتشاف بعض الحقائق الهامة في حقل العلوم الإنسانية ، كما أتيح له اكتشاف الكثير من القوانين الطبيعية ، وتسخيرها لخدمة الحياة الإنسانية .

صحيح أن الحقيقة واحدة لا تختلف ، وما يدركه أولئك يمكن أن ندركه نحن ، بيد أن توفر أدوات عقلية جديدة ، واكتشاف سنن تكوينية ترتبط بالنفس والمجتمع ، وتوظيف هذه المعرفة في سبيل اكتشاف الحقيقة ، سيساهم مساهمة فعّالة في تنمية وعينا للحقيقة ، وتيسير عملية إدراكنا لها ، لأن ما يدركه عقل الإنسان منها نسبي ، ينمو ويتكامل باضطراد ، تبعاً لازدياد أدوات ووسائل إدراكها .

ومن المعلوم أن الفلسفة المعاصرة تتكىء بشكل أساسي على معطيات العلوم الإنسانية الجديدة ، إذ يسعى الفيلسوف في الغالب لتوظيف النتائج النظرية في علم النص مثلاً ، في قراءة ، وتحليل ، وتفكيك النص الفلسفي ، ويستعين بها في تأسيس رؤى ، وإشادة مقولات ، وبناء نظريات جديدة ، عبر إعادة تأويل التراث ، واستدعاء ما يزخر به من كنوز .

خلاصة القول ، ينبغي التفاعل الإيجابي مع منجزات العلوم الإنسانية المعاصرة ، بعد دراستها ، وغربلتها ، واصطفاء ما هو صواب ، ذو صفة إنسانية عامة منها ، لأن من مقومات اكتشاف الذات التواصل مع الآخر .

ولعل في تجربة فلاسفتنا المتقدمين أسوة صالحة في هذا المقام ، فلم يتحفظ الفلاسفة الإسلاميون من نتائج ومعطيات التجارب المعرفية للإنسانية عامة ، كما يتضح ذلك من انفتاحهم على علوم الأوائل ـ بتعبيرهم ـ والفلسفة اليونانية خاصة ، فقد تعاملوا معها بروح حرة انتقت الكثير من عناصرها ونظرياتها ، حيث ولدت المقولات والمفاهيم الأولى للفلسفة الإسلامية في إطار الحوار والتواصل مع مدرسة أثينا ، وربيبتها مدرسة الاسكندرية «الأفلاطونية الجديدة» ولم تنكفىء على نفسها ، فتعدم التواصل مع فلسفة الآخر .

كما تتبدى الأهمية من جهة أخرى لدراسة الفلسفة والعلوم الإنسانية الغربية في الدرس الفلسفي في الحوزة ؛ لأن ما يهدف إليه هذا الدرس في النهاية ، هو بناء إيمان صحيح ، والدفاع عن العقيدة الإسلامية ، ومواجهة الحملات الهادفة للنيل من الإسلام والطعن في عقيدته .

وقد ابتُلي العالم الإسلامي في هذا العصر بطائفة من الكتّاب والمفكرين ، تمحورت أعمالهم حول نقد وتشويه التراث الإسلامي ، والإجهاز على الفكر الإسلامي ، وإثارة الإشكالات والشبهات حول النص القرآني ، ونفي حجية السنة الشريفة .

وتشكل الدراسات الإنسانية المعاصرة في الغرب ، مرجعيات مباشرة للمشاريع النقدية لهؤلاء المفكرين في العالم الإسلامي ، والبلاد العربية بالذات ، (ومنذ أواخر السبعينات ، انبثق التيار البنيوي «وما بعد البنيوي» في ظل ثلاثة مفكرين فرنسيين ، كان لهم أكبر الأثر في تطور الحركة النقدية العربية ، وبخاصة في المغرب : رولان بارت ، ميشيل فوكو ، وجاك دريدا)[١] (وفي محاضرة ألقاها محمد أركون في جامعة جورجتاون عام ١٩٨٥ بعنوان «التفكير حول الإسلام» عدّد المفاهيم التي يتوجب تناولها في هذا «التفكير» الجديد ، واستمد معظمها من كتابات : ليفي شتراوس ، وفوكو ، ودريدا ، ولاكان ، وكاستورياديس)[٢] . ويعترف الدكتور محمد عابد الجابري بأنه يستعير مفاهيم ومقولات المفكرين الأوروبيين في مشروعه لنقد العقل العربي «الإسلامي» ، ففي تمييزه بين العقل الناظم والمنظم ، يؤكد أنه اعتمد تقسيم «لا لاند» في التفريق والقسمة ما بين عقل ناظم ومنظم ، ومكوِّن[٣] .

ويصرح في محل آخر قائلاً (إننا نوظف مفاهيم تنتمي إلى فلسفات أو منهجيات أو «قراءات» مختلفة متباينة ، مفاهيم يمكن الرجوع ببعضها إلى : كانت ، أوفرويد ، أو باشلار ، آو ألتوسير ، أو فوكو ، بالإضافة إلى عدد من المقولات الماركسية التي أصبح الفكر المعاصر لا يتنفس بدونها)[٤] ،وفي كتابه «العقل السياسي العربي : محدِّداته

(١) شرابي ، د . هشام . النقد الحضاري للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين . بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١ ، ١٩٩٠م ، ص٢٧ .

(٢) ن .م ، ص٥٥ .

(٣) (ندوة فكرية حول «العقل العربي» مع الدكتور محمد عابد الجابري) . الموقف الأدبي (دمشق س٢٢ : ع٢٥٥ ـ ٢٥٦ (٧ ـ ٨/ ١٩٩٢م) ص١٢١ .

(٤) العروي ، عبدالله [وآخرون] . المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية . الدار البيضاء : دار توبقال ، ١٩٨٦م ، ص١٢ .

وتجلياته» يستقي مفهوم «اللاشعور السياسي» من «دوبري» ، و«المخيال الاجتماعي» من «بيار» ، الذي يستعيره بدوره من «ماكس فيبر» و«المجال السياسي» من «بادي»[(١)] .

ولو تقصينا المشاريع النقدية الحاضرة للفكر الإسلامي ، سيتبدى لنا أنها تستقي من الدراسات الإنسانية المعاصرة في فرنسا ، وألمانيا ، وبريطانيا ، في الأعم الأغلب .

فهل يتسم نقدنا لهذه المشاريع بالدقة العلمية ، والحجة الدامغة ، إذا لم نطّلع بدقة على مرجعيات هذه المشاريع ، ونحللها ، ونمحصها ، ونقف على مساراتها المتنوعة ، ومقولاتها الأساسية؟

تجدر الإشارة إلى أن الدراسة العلمية لمدارس العلوم الإنسانية في أوروبا تقتضي أن يُلم المعني بذلك باللغات الفرنسية ، والألمانية ، والانجليزية ، وأن يتعرف على هذه المدارس مباشرة ، ويتجنب الأسلوب غير المباشر في التعرف عليها من خلال الترجمات العربية أو الفارسية ، لأن المترجم مهما كان أميناً ودقيقاً ، تظل ذاته حاضرة في العمل المترجم ، ولا يمكن أن يتطابق هذا العمل مع الأصل مائة بالمائة . ولذا ينبغي أن يتعلم دارسو الفلسفة هذه اللغات ، لو أرادوا التعرف على الاتجاهات الراهنة في العلوم الإنسانية في الغرب .

ندرة الفكر الفلسفي التأسيسي:

منذ أكثر من ربع قرن ، وتحديداً منذ صدور «الأسس المنطقية للاستقراء» للإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر ، لم نعثر على مشروع فلسفي يعبر عن مساهمة إبداعية في التأليف الفلسفي في الحوزة ، وحينما نلقي نظرة على الانتاج الفكري الفلسفي لا نجد في الأعم الأغلب سوى تحقيقات ، وشروح ، وترجمات ، وتعليقات على المصنفات السابقة ، مثلما نراه في تعدد شروح «منظومة السبزواري» ، وترجمات مصنفات صدر المتألهين ، والتعليقات عليها باللغة الفارسية .

بينما تضاءل إلى حد كبير التصنيف المستقل ، فضلاً عن الابتكار والتأسيس في الفلسفة ، بالرغم من تنامي وازدياد طبع ونشر المؤلفات والبحوث الفلسفية والعرفانية ، في العقد الأخير في إيران ، بالمقارنة مع الفترة السابقة .

---

(١) الجاهل ، نظير . «العقل السياسي العربي : قراءة نقدية» . الاجتهاد ع١٥ ـ ١٦ (١٩٩٢م) ص٣٦٣ ـ ٣٦٧ .

ويعود السبب في ذلك إلى ما أجملناه من الإشكاليات الآنفة الذكر ، التي ترتهن دراسة الفلسفة في الحوزة ، وإلى اضمحلال الدور النقدي للدرس الفلسفي ، لأن المطلوب من الفلسفة هو أن (تُسبغ على الذهن نزعة تحليلية نقدية ، تخلصه من كل ما يُفسد التفكير المستقيم ، وتهيِّئ له أدوات عقلية مهمّة ، ومفاهيم ضرورية يتوقف عليها التفكَير العلمي ، وكل عملية تفكير مستدلة ، ويعتبر توليد الفلسفة لهذه الأدوات والأفكار من مهامها التحليلية النقدية الأساسية ، لأنه لما كانت الوظيفة الأساسية للفلسفة هي تجلية الحقيقة والوصول إليها ، والكشف عن الواقع وإدراكه كما هو ، لا كما يتوهمه الذهن ، فلا بدَّ لها أن تتكئ على أدوات نقدية رصينة ، كي تمزق كل الحجب ، وتنفي كافة الأوهام ، التي تتسبب في نشوء الوعي الزائف بالحقيقة ، وتحول بين الذهن وبين إدراكه الحقيقة كما هي . إنه لكي يكون العقل حاكماً يجب أن يسود النقد الحياة ، لأن النقد هو الوقود اللازم لكل منحى عقلاني في التفكير ، وهذا يعني أنه إذا أُريد للتفكير العقلاني أن يعمَّ الحياة ، فيجب أن يكون النقد حاكماً ، حتى تتجرد الحقيقة من كل ما يلفها ، فيُنبذ الزبَد والزيف ، لتظهر الحقيقة كما هي)[(١)] .

إن رسالات الأنبياء حين تُبلغ إلى الإنسان ، لا تظل دائماً على صورتها التوحيدية النقية الخالصة ، لأن بعض الناس يمتزج فهمه لهذه الرسالات بظلمات هذا العالم ، وما يكتنف الحياة الدنيا من حُجب وكدورات ، فيقدم هذا الإنسان فهمه للتوحيد لا كما هو بصورته النقية الربانية ، وإنما يكون هذا الفهم مشوباً ، غير نقياً ، يعكس تصورات هذا الإنسان المحدودة ، وآفاقه الأرضية ، ولذا تسعى رسالات الأنبياء التالية لنقد هذا الفهم المشوّه للتوحيد وإعادة الإنسان إلى الفطرة ، واستئصال فهمه المنحرف ، وإرشاده للفهم الصحيح مرة أخرى .

وبهذا يتضح أن نقد الفهم الخطأ للدين ومفاهيمه الاعتقادية ، وتحرير الوعي البشري من الأوهام ، وتبصيره بالحقيقة ، هي مهمة الأنبياء العظمى ، قبل أن تكون مهمة الفلاسفة .

وإن تاريخ الفكر الفلسفي ، وعلم الكلام الإسلامي يزخر بالاتجاهات والمشاريع النقدية الواسعة ، التي احتلت مساحة هامة من تراث المعقول الإسلامي ، إذ غالباً ما يعمد الفلاسفة المسلمون لنقد فهم المتكلمين ، بينما يرفض المتكلمون آراء الفلاسفة ،

(١) الرفاعي ، عبد الجبار . «وظيفة الفلسفة» . مصدر سابق . ص١٤٣ ـ ١٤٤ .

القبة وإحدى المنارتين لضريح الإمام علي (ع)، لاحظ الإكساء بالذهب

مثلما نرى ذلك جلياً ، في مسألة حدوث العالم ، وملاك الحاجة إلى العلة ، وغير ذلك .

فلماذا تُغلق مسارب المنحى النقدي في دراسة وتدريس الفلسفة لدينا؟ ولماذا يشيع المناخ السكوني الذي يحيط آراء الفلاسفة المدروسة بهالة غير اعتيادية من الاحترام والتقديس ، تنطفىء أمام هذه الهالة الروح النقدية عند الدارس ، وتتوارى عن عقله وظيفة الفلسفة النقدية؟

ألا يجدر بنا أن نتساءل عن المضمون الاجتماعي للدرس الفلسفي وكل دراسات المعقول لدينا؟ . فلعل تحرير المضمون الاجتماعي لعلم أصول الدين وإعادة الفاعلية العملية للتوحيد في وعي المسلمين ، والتفتيش عن المدلولات السلوكية العملية لعقيدة التوحيد ، ودورها في توجيه حياة الإنسان ، وتغيير أساليب هذه الحياة ، أي تغيير ما يحكمها من علاقات أرضية ، وتبديلها بعلاقات أخرى تنبثق من عقيدة التوحيد ، وتنهل منها ، هو من المهام العظمى لدراسة الفلسفة والمعقول عندنا .

إن عقيدة التوحيد تعلمنا ـ كما يقول الشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر ـ (ان نتعامل مع صفات الله ، وأخلاق الله لا بوصفها حقائق عينية منفصلة عنا ، كما يتعامل فلاسفة الإغريق ، وإنما نتعامل مع هذه الصفات ، والأخلاق ، بوصفها رائداً عملياً ، بوصفها هدفاً لمسيرتنا ، بوصفها مؤشرات على الطريق الطويل للإنسان نحو الله سبحانه وتعالى) ، فالعدل في ضوء هذا الفهم هو (صفة من صفات الله سبحانه وتعالى ، حال العدل ، حال العلم ، حال القدرة ، لا توجد ميزة عقائدية في العدل ، في مقابل العلم ، في مقابل القدرة ، ولكن الميزة هنا ميزة اجتماعية ، لأن العدل هو الصفة التي تعطي للمسيرة الاجتماعية ، وتُغني المسيرة الاجتماعية ، والتي تكون المسيرة الاجتماعية بحاجة إليها ، أكثر من أي صفة أخرى ، أبرز العدل هنا كأصل ثان من أصول الدين باعتبار المدلول التوجيهي ، باعتبار المدلول التربوي لهذه الصفة ، قلنا : إن صفات الله ، وأخلاق الله ، علّمنا الإسلام أن لا نتعامل معها كحقائق عينية ميتافيزيقية فوقنا ، لا صلة لنا بها ، وإنما نتعامل معها كمؤشرات ، وكمنارات على الطريق ، إذاً من هنا كان للعدل مدلوله الأكبر بالنسبة إلى توجيه المسيرة البشرية ، ولأجل ذلك أفرز ، وإلاّ فالعدل في الحقيقة داخل في إطار التوحيد العام ، في إطار المثل الأعلى)[1] .

(١) الصدر ، الإمام الشهيد السيد محمد باقر ، المدرسة القرآنية . بيروت : دار التعارف ، ط ٢ ، ١٤٠١هـ ١٩٨١م ، ص ١٩٣ ، ١٩٧ ـ ١٩٨ .

إن هذا المنحى في دراسة التوحيد ، ووعي صفات الله ، هو المنحى الذي يهدف إلى اكتشاف المضمون الاجتماعي لعقيدة التوحيد ، ويسعى إلى ربط علم أصول الدين مباشرة بالحياة الاجتماعية ، وإقصاء الوعي التجريدي الذي تشيعه بعض الاتجاهات الفلسفية ، والعرفانية ، والكلامية ، والذي يتعامل مع أصول الدين باعتبارها مفاهيم تجريدية ميتافيزيقية مقطوعة الصلة بالأرض ، تتمحور مهمة الباحث فيها باكتشاف مسالك وطرق السموات ، والفرار من واقعه المُعاش في الأرض .

مُلحق

المطبوع من مؤلفات النجفيين في المعقول

تم ترتيب المؤلفات حسب تاريخ طبعها وأدرجت المؤلفات مجهولة التاريخ في آخر القائمة ، ولم تُذكر سوى طبعة واحدة هي الطبعة الأولى غالباً .

١ ـ أصول الدين

محمد علي الرشتي النجفي

طهران : ١٣٢٤هـ = ١٩٠٦م .

٢ ـ مواهب المشاهد في أصول العقائد (منظومة)

هبة الدين الشهرستاني .

طهران : ١٣٢٦هـ = ١٩٠٨م .

٣ ـ الدين والإسلام أو الدعوة الإسلامية

محمد الحسين آل كاشف الغطاء ت١٩٥٤م .

صيدا : مطبعة العرفان ، ١٣٢٩ ـ ١٣٣٩ هـ = ١٩١١ ـ ١٩٢٠ ، ٢ ج .

٤ ـ الباكورة : أرجوزة في علم المنطق

موسى بن حسن بن أحمد الاحسائي الهجري ت١٢٨٩هـ .

النجف الأشرف : مطبعة حبل المتين ، ١٣٣٠هـ = ١٩١١م ، ٣٦ ص .

٥ ـ الميزان العادل بين الحق والباطل

رضا الهندي ت١٩٤٣م .

بغداد : ١٣٣١هـ = ١٩١٢م .

٦ ـ احصاء العلوم
الفارابي .
تحقيق : محمد رضا الشبيبي ت١٩٦٥م .
(نشر في مجلة العرفان الصادرة في صيدا : مج ١٩٢١م) .

٧ ـ أصول الدين
حسين بن محمد باقر القزويني الحائري .
النجف الأشرف : ١٩٢١م .

٨ ـ أنوار الهدى في إبطال بعض شبه الملحدين
محمد جواد البلاغي .
النجف الأشرف : المطبعة العلوية ، ١٣٤٠هـ = ١٩٢١م ، ج١ ، ١٢٠ص .

٩ ـ منهج اليقين في أصول الدين
أحمد بن محمد جعفر الجزائري .
النجف الأشرف : المطبعة العلوية ، ١٣٤٠هـ = ١٩٢١م ، ٤٨ ص .

١٠ ـ نصائح الهدى
محمد جواد البلاغي .
بغداد : ١٩٢٢م .

١١ ـ توحيد أهل التوحيد في جمع كلمة المسلمين على الأصول الاعتقادية
هبة الدين الشهرستاني .
نشره : محمود حلمي .
بغداد : المكتبة العصرية ، ١٩٢٣م .

١٢ ـ الرحلة المدرسية
محمد جواد البلاغي .
النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ١٣٤٢هـ = ١٩٢٣م ، ٣ج .

١٣ ـ فوز العباد في المبدأ والمعاد
مرتضى آل كاشف الغطاء .

النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ١٣٤٢هـ = ١٩٢٣م ، ٣ج .

١٤ ـ نفحات الإعجاز

أبو القاسم بن علي أكبر الموسوي الخوئي .

النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ١٣٤٢هـ = ١٩٢٣م ، ٥٠ص .

١٥ ـ حي على الحق في رد كتاب المسيح في الإسلام

محمد مهدي القزويني الكاظمي .

بغداد : مطبعة دار السلام ، ١٣٤٣هـ = ١٩٢٤م ، ٣٢٣ص .

١٦ ـ زبدة الكلام في المنطق والكلام

محمد مهدي الموسوي الأصفهاني .

بغداد : ١٣٤٣هـ = ١٩٢٤م .

١٧ ـ النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر

المقداد السيوري .

النجف الأشرف : المطبعة العلوية ، ١٣٤٣هـ ، ٢٢٤ص .

١٨ ـ النكت الاعتقادية

محمد بن محمد بن النعمان الشيخ المفيد .

تحقيق : هبة الدين الشهرستاني .

بغداد : المطبعة العصرية ، ١٣٤٣هـ = ١٩٢٤م ، ٦٤ص .

١٩ ـ الآيات البينات في قمع البدع والضلالات

محمد الحسين آل كاشف الغطاء .

النجف الأشرف : المطبعة العلوية ، ١٣٤٥هـ = ١٩٢٦م ، ٣٢ + ٣٠ + ٦٠ ص (ويليه :

١ ـ رد الملاحدة والطبيعيين .

٢ ـ من خرافات البابية وخرافات مذهبهم) .

٢٠ ـ أعاجيب الأكاذيب

محمد جواد البلاغي .

النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ١٣٤٥هـ ، ٤٤ص ، ٢٤سم .

٢١ ـ الحق المبين في الاستظهار على القسيسين

محمد سماكه .

النجف الأشرف : المطبعة العلوية ، ١٣٤٥هـ = ١٩٢٦م ، ٢ج .

٢٢ ـ الدلائل والمسائل

هبة الدين الشهرستاني .

بغداد : مطبعة النجاح ، ١٩٢٦ ـ ١٩٥٨م ، ٥ج .

٢٣ ـ فيض الباري في إصلاح منظومة السبزواري (أرجوزة في الفلسفة)

هبة الدين الشهرستاني .

بغداد : المطبعة العصرية ، ١٩٢٦م ، ٣٦ ص .

٢٤ ـ الاستنصار في النص على الأئمة الأطهار

أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجكي ت٤٤٩هـ .

النجف الأشرف : المطبعة العلوية ، ١٣٤٦هـ ، ٣٨ص .

٢٥ ـ التوضيح في بيان ما هو الإنجيل ومن هو المسيح

محمد الحسين آل كاشف الغطاء .

بغداد : ١٣٤٦هـ = ١٩٢٧م .

٢٦ ـ الغيب والشهادة

محمد رضا آل كاشف الغطاء .

النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ١٣٤٦هـ = ١٩٢٧م ، ١٣٤ص .

٢٧ ـ مقتضب الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر

أحمد بن محمد عبدالله بن عياش بن إبراهيم .

النجف الأشرف : المطبعة العلوية ، ط١ ، ١٣٤٦هـ ، ٥٧ص .

٢٨ ـ منهج الحق

حبيب المهاجر العاملي .

العمارة : المطبعة العمارية ، ١٩٢٧م ، ج١ ، ٥٨ص .

٢٩ ـ حلية النجيب وحلية اللبيب في الرد على الماديين
مهدي بن صالح الموسوي الكاظمي القزويني ت١٩٣٩م .
النجف الأشرف : ١٣٤٧هـ = ١٩٢٨م ، ٢٦ص .

٣٠ ـ الدرر الكلامية في العقايد الإسلامية
عمران الحلي .
بغداد : مطبعة النجاح ، ١٣٤٧هـ = ١٩٢٨م ، ٧٢ص .

٣١ ـ قلائد اللآلئ : منظومة في علم المنطق
محمد جعفر الحسيني الحائري ت١٩٥٧م .
بغداد : مطبعة النجاح ، ١٣٤٧هـ = ١٩٢٨م ، ٦٤ ص .

٣٢ ـ وحي الأقلام في الرد على كتاب المسيح في الإسلام
محمد سماكه .
النجف الأشرف : المطبعة العلوية ، ١٣٤٧هـ = ١٩٢٨م ، ١٥١ص .

٣٣ ـ إرشاد الأمة للتمسك بالأئمة
عبد المهدي المظفر ت١٣٦٣هـ .
النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ١٣٤٨هـ ، ١٤٤ص .

٣٤ ـ تدابير المنازل ، أو السياسات الأهلية
ابن سينا .
تحقيق : جعفر النقدي ت١٩٥١م .
بغداد : ١٩٢٩م .

٣٥ ـ درر الساطع في أصول الدين القاطع
حسين اليزدي .
النجف الأشرف : المطبعة العلوية ، ١٣٤٨هـ ، ١٧٢ص .

٣٦ ـ اللؤلؤة البهية في الصفات الإلهية
محمد باقر آل زائردهام .
العمارة : مطبعة الهدى ، ١٣٤٨هـ = ١٩٢٩م .

٣٧ ـ البراهين الظاهرة (رد على المبشرين)

عبد الواحد الأنصاري .

العمارة : المطبعة العمارية ، ١٩٣٣م .

٣٨ ـ تنبيه الأمة في إثبات الرجعة

محمد رضا الطبسي الخراساني النجفي .

النجف الأشرف : مطبعة الغري ، ١٣٥٣هـ ، ٣١ص ، ٢٤سم .

٣٩ ـ استقصاء النظر في القضاء والقدر

العلامة الحلي .

تحقيق : علي الخاقاني .

النجف الأشرف : ١٩٣٥م .

٤٠ ـ إنقاذ البشر من الجبر والقدر

الشريف المرتضى ت٤٣٦هـ .

تقديم : محمد جواد الجزائري .

النجف الأشرف : مطبعة الراعي ، ١٩٣٥م ، ١٠٠ص (ويليه : استقصاء النظر في القضاء والقدر للعلامة الحلي) .

٤١ ـ دحض البدعة في إنكار الرجعة

محمد علي الحائري السنقري .

النجف الأشرف : المطبعة العلوية ، ١٣٥٤هـ = ١٩٣٥م ، ٦٤ ص ، ٢٤سم .

٤٢ ـ المعارف العالية : علم الدين للمدارس الراقية : في توحيد الله وفوائد الدين وإعجاز القرآن المبين

هبة الدين الشهرستاني .

بغداد : مطبعة الكرخ ، ١٩٣٥م ، ٩٤ص .

٤٣ ـ النجعة في الرجعة

محسن نواب الرضوي اللكنوي .

النجف الأشرف : مطبعة الغري ، ١٣٥٥هـ = ١٩٣٦م ، ٤٠ص .

٤٤ ـ تقدمة المعرفة
أبقراط
ترجمة : حنين بن إسحق
تحقيق : صادق كمونة
النجف الأشرف : مطبعة الغري ، ١٩٣٨ ، ٦٤ص .

٤٥ ـ الفرق الإسلامية
محمد خليل الزين
النجف الأشرف : مطبعة الغري ، ١٩٣٨م .

٤٦ ـ مصباح الظلام في أصول الدين وعلم الكلام (منظومة)
محمد باقر حسن الحجة الطباطبائي ت١٩١٣م
صيدا : مطبعة العرفان ، ١٣٥٧هـ = ١٩٣٨م .

٤٧ ـ دروس الفلاسفة
عبد الكريم الزنجاني
النجف الأشرف : مطبعة الغري ، ١٩٤٠م ، ١٧٨ص ، ج١ .

٤٨ ـ الكرة والرجعة
صادق الهندي
النجف الأشرف : ١٣٦١هـ = ١٩٤٢م .

٤٩ ـ الإمامة في التشريع الإسلامي : تجديد في بحث الإمامة
محمد مهدي الأصفي
النجف الأشرف : مطبعة النعمان ، ١٣٦٣هـ ، ١٣٢ص .

٥٠ ـ ذخائر القيامة في النبوة والإمامة
محمد الكاظمي القزويني
صيدا : مطبعة العرفان ، ١٣٦٥هـ = ١٩٤٦م .

٥١أ ـ الشيعة والإمامة
محمد حسين المظفر

ط١ ، ١٣٦٥هـ = ١٩٤٦م .

٥١ ب ـ الغدير في الكتاب والسنة والأدب
عبد الحسين بن أحمد الأميني النجفي
تقديم : محمد علي الأوردوبادي
النجف الأشرف : مطبعة الزهراء ، ط١ ، ١٣٦٤ ـ ١٣٧٢هـ ، ١١ج ، ٢٤سم .

٥٢ ـ محاضرات
عبد الكريم الزنجاني
النجف الأشرف : المطبعة العلمية ، ١٣٦٥هـ = ١٩٤٦م ، ٣٤ص .

٥٣ ـ ايقاظ الأمة من الضجعة في إثبات الرجعة
محمد مهدي الموسوي الأصفهاني الكاظمي
بغداد : ١٣٦٦هـ = ١٩٤٧م .

٥٤ ـ المنطق
محمد رضا المظفر
بغداد : مطبعة التفيض ، ط١ ، ١٩٤٧م .

٥٥ ـ تناقض العهدين : العهد القديم والعهد الجديد
الكاظمي القزويني
البصرة : ١٩٤٨م ، ٩٦ص .

٥٦ ـ ابن سينا
بحث وتحقيق : محمد كاظم الطريحي
النجف الأشرف : مطبعة الزهراء ، ١٣٦٩هـ = ١٩٤٩م ، ٢٠٠ص .

٥٧ ـ روضة المسائل في إثبات أصول الدين بالدلائل
أبو الحسين علي الخنيزي
النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ١٩٤٩م ، ١٠٣ص .

٥٨ ـ الإلهام في علم الإمام
محمد علي الحائري السنقري
النجف الأشرف : المطبعة العلمية ، ١٣٧٠هـ = ١٩٥٠م ، ٨٧ص .

٥٩ ـ رسالة في معنى الغلو
الميرزا علي الاسكوئي الحائري
النجف الأشرف : مطبعة العدل الإسلامي ، ١٣٧٠هـ ، ٦٩ص .

٦٠ ـ عيون المعجزات
حسين بن عبد الوهاب (من علماء القرن الخامس)
تقديم : محمد علي الأوردوبادي
النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ١٣٦٩هـ = ١٩٥٠م ، ١٤٢ص .

٦١ ـ الفلسفة
محمد حسين التبريزي
النجف الأشرف : مطبعة الزهراء ، ١٩٥٠م ، ٩٣ص .

٦٢ ـ فلسفة الدين الإسلامي
محمد علي الزهيري
النجف الأشرف : مطبعة الزهراء ، ١٩٥٠م ، ٢٠٨ص ، ج١ .

٦٣ ـ نهج الحجة في إثبات إمامة الاثني عشر (ع)
علي نقي بن أحمد الإحسائي ت١٢٤٦هـ
النجف الأشرف : مطبعة العدل الإسلامي ، ١٣٧٠هـ ، ٤٨٣ص ، ٢٤سم .

٦٤ ـ اليقين في أمرة أمير المؤمنين
رضي الدين علي بن موسى بن طاووس ت٦٤٤هـ
نشره : محمد كاظم الكتبي
النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ١٩٥٠م ، ٢١٤ص .

٦٥ ـ الأمر بين الأمرين
محمد تقي بن عبد الكريم التبريزي الجعفري
النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ط١ ، ١٣٧١هـ = ١٩٥١م ، ٨٠ص .

٦٦ ـ خمس رسائل في إثبات الحجة
محمد بن محمد بن النعمان الشيخ المفيد
النجف الأشرف : مطبعة دار الكتب التجارية ، ١٣٧٠هـ = ١٩٥١م ، ٥١ص .

٦٧ ـ دوائر المعارف في الأسماء الحسنى
محمد مهدي الموسوي الأصفهاني الكاظمي
النجف الأشرف : المطبعة العلوية ، ١٣٧٠هـ = ١٩٥١م ، ١٢٦ص .

٦٨ ـ الفصول العشرة في الغيبة
محمد بن محمد بن النعمان الشيخ المفيد
النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ١٣٧٠هـ = ١٩٥١م ، ٧٠ص .

٦٩ ـ المجمل في الشيعة ومعتقداتهم
محمد الحسين الأديب
تقديم : محمد رضا الحائري
النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ١٣٧١هـ ، ٦٩ص .

٧٠ ـ ابن سينا
اصدار : مجلة البذرة
النجف الأشرف : مطبعة الزهراء ، ١٩٥٢م ، ٧٥ص .

٧١ ـ ابن سينا خالد بآثاره وخصاله
عبد الكريم الزنجاني
النجف الأشرف : مطبعة الغري ، ط١ ، ١٩٥٢م ، ٢٤ص .

٧٢ ـ دلائل الصدق
محمد حسن المظفر
النجف الأشرف : مطبعة الزهراء ، ١٣٧٢هـ ، ٤٢٤ص ، ٢٤سم .

٧٣ ـ شرح عقائد الصدوق أو نصيحة الاعتقاد
الشيخ المفيد
تحقيق : هبة الدين الشهرستاني
تبريز : مطبعة رضائي ، ١٩٥٢م (معه كتاب أوائل المقالات والمختارات للمؤلف) .

٧٤ ـ فلسفة الإمام
محمد جواد جلال
النجف الأشرف : مطبعة الراعي ، ١٩٥٢م ، ١٥١ص (من حديث الشهر ـ ١٤) .

٧٥ ـ فلسفة الإمام الصادق (ع)
محمد جواد الجزائري
النجف الأشرف : مطبعة دار النشر والتأليف ، ١٩٥٢م ، ٢١٦ص .

٧٦ ـ الألفين
العلامة الحلي
تقديم : محمد حسين المظفر
النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ١٩٥٣م ، ٤٠٦ص .

٧٧ ـ الدعوة في كلمة التوحيد
محمد صالح بن علي
النجف الأشرف : ١٩٥٣م

٧٨ ـ التوحيد والوحدة
محمد بن محمد مهدي الخالصي
بغداد : ١٩٥٤م .

٧٩ ـ عقائد الإمامية
محمد رضا المظفر
النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ط١ ، ١٩٥٤م ، ١١٩ص (بعنوان : عقائد الشيعة) .

٨٠ ـ المبسوط في إثبات إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)
عبد النبي بن سعد الدين الأسدي الجزائري ت١٠٢٠هـ
النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ١٩٥٤م ، ٢٠٦ص .

٨١أ ـ توحيد المفضل (إملاء الإمام أبي عبدالله الصادق (ع) على المفضل بن عمر الجعفي)
تقديم : كاظم المظفر
ط١ ، ١٩٥٥م ، ١٧٦ص .

٨١ ب ـ الشيعة والرجعة
محمد رضا الطبسي

النجف الأشرف : ط١ ، ١٩٥٥م ـ ١٩٥٦م ، ٢ج .

٨٢ ـ ضياء المنصفين وهدى الراغبين في ولاية علي أمير المؤمنين (ع)
محمد علي الموسوي الكاظمي
بغداد : ١٩٥٥م .

٨٣ ـ حق اليقين في معرفة أصول الدين
عبدالله شبر
تقديم : محمد صادق الصدر
النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ط٢ ، ١٩٥٦م ، ٢ج .

٨٤ ـ المثل العليا
عبد الكريم الزنجاني ت١٩٦٨م
النجف الأشرف : المطبعة العلمية ، ط٢ ، ١٩٥٦م ، ٢٩ص .

٨٥ ـ المختار في الجبر والاختيار
محمد علي الصادقي
النجف الأشرف : مطبعة النجف ، ١٩٥٦م ، ١٣٢ص .

٨٦ ـ مطارحات فلسفية بين نصير الدين الطوسي ونجم الدين الكاتبي
تحقيق : محمد حسن آل ياسين
بغداد : دار المعارف ، ١٩٥٦م ، ١٤ + ٦٧ص .

٨٧ ـ النظرة النفسية والأشعة القدسية

منصور البيات

النجف الأشرف : مطبعة النعمان ، ١٩٥٦م ، ١٨٥ص .

٨٨ ـ أصل العلويين وعقيدتهم
أحمد زكي تفاحة
النجف الأشرف : المطبعة العلمية ، ١٣٧٦هـ = ١٩٥٧م ، ٨٠ص .

٨٩ ـ فلسفة الاخلاص في التوحيد (نقاش مع الأستاذ عباس محمود العقاد)
كاظم الحلفي

النجف الأشرف : مطبعة النعمان ، ١٩٥٧م ، ١٠٤ص .

٩٠ ـ أصول الدين وفروعه

أحمد زكي تفاحة

النجف الأشرف : المطبعة العلمية ، ط٢ ، ١٣٧٧هـ = ١٩٥٨م ، ١٠٦ص .

٩١ ـ الإمامة الكبرى

محمد حسن القزويني الحائري الشهير بالحاج آغا مير .

تقديم : مرتضى القزويني

النجف الأشرف : مطبعة النعمان ، ١٣٧٨هـ = ١٩٥٨م ، ج١ ، ٤١٢ص ، ٢٤سم .

٩٢ ـ مباحث علم الكلام : مطارح النظر في شرح الباب الحادي عشر

صفي الدين الطريحي ، ت نحو ١١٠٠هـ

تحقيق : محمد كاظم الطريحي

النجف الأشرف : مطبعة الآداب ، ١٩٥٨م ، ٣١٢ص .

٩٣ ـ مبادئ الإيمان

محمد الحسين كاشف الغطاء

تقديم : عبد الحليم كاشف الغطاء

النجف الأشرف : مطبعة النجف ، ١٣٧٨هـ = ١٩٥٨م ، ١٢٠ص .

٩٤ ـ مشكلة الإمام الغائب وحلها

محمد جمال الهاشمي

النجف الأشرف : مطبعة النجف ، ١٣٧٨هـ = ١٩٥٨م ، ٣٠ص .

٩٥ ـ الهداية البديعة في حقيقة بداية الطبيعة

محمد علي الموسوي الكاظمي

بغداد : ١٩٥٨م .

٩٦ ـ أماني المسلمين في معرفة أصول الدين

عبد الهادي زائر دهام الخالدي المخزومي

النجف الأشرف : مطبعة القضاء ، ١٩٥٩م ، ج١ ، ٩٥ص .

٩٧ ـ تحفة الحكيم (أرجوزة في الحكمة)
محمد حسين الأصفهاني
تقديم : محمد رضا المظفر
النجف الأشرف : مطبعة النجف : ١٩٥٩م ، ٨٨ص .

٩٨ ـ الشيوعية في نظر الإسلام
كاظم الحلفي
النجف الأشرف : مطبعة النعمان ، ١٩٥٩م ، ٨٨ص .

٩٩ ـ عقائد الإمامية الإثني عشرية
إبراهيم الموسوي الزنجاني
النجف الأشرف : ١٣٧٨هـ = ١٩٥٩م .

١٠٠ ـ فرق الشيعة
الحسن بن موسى النوبختي ، ت٣١٠هـ
تحقيق : محمد صادق بحر العلوم
نشره : محمد كاظم الكتبي
النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ط٢ ، ١٩٥٩م ، ١٦٥ص .

١٠١ ـ فلسفتنا
محمد باقر الصدر
النجف الأشرف : مطبعة الآداب ، ١٩٥٩م ، ٣٥٢ص .

١٠٢ ـ الله : صفاته وأسماؤه الحسنى
كاظم الحلفي
النجف الأشرف : مطبعة القضاء ، ١٩٦٠م ، ٤٠ص .

١٠٣ ـ الله في نظر الإسلام والشيوعية
كاظم الحلفي
النجف الأشرف : مطبعة القضاء ، ١٩٦٠م ، ٤٠ص .

١٠٤ ـ حقيقة الحرية
محمد مهدي الأصفي

النجف الأشرف : مطبعة الآداب ، ط١ ، ١٩٦٠م ، ١٧٩ص .

١٠٥ ـ عقيدة المؤمن
عبد الأمير قبلان
النجف الأشرف : مطبعة النعمان ، ١٩٦٠م ، ١٥٤ص .

١٠٦ ـ رسالات السماء
محمد أمين زين الدين
النجف الأشرف : مطبعة الغري الحديثة ، ١٣٨٠هـ ، ٧٩ص (سلسلة المنابع ، ٦) .

١٠٧ ـ العقائد الإسلامية
محمد بن مهدي الحسيني الشيرازي
النجف الأشرف : ١٣٨٠هـ = ١٩٦١م .

١٠٨ ـ عقائد الناجية (بالفارسية)
علي محمد المازندراني
النجف الأشرف : مطبعة النعمان ، ١٣٨٠هـ ، ٢٢٨ص ، ٢٤سم .

١٠٩ ـ إله الكون
حسن الشيرازي
النجف الأشرف : مطبعة الغري الحديثة ، ١٣٨٠هـ = ١٩٦١م ، ٥٦ ص (سلسلة المنابع ، ٣) .

١١٠ ـ بين الانسان وسائر الموجودات
أحمد بن عزيز الحائري الفالي
النجف الأشرف : مطبعة الغري ، ١٩٦١م ، ٥٠ص .

١١١ ـ تنزيه الأنبياء
الشريف المرتضى
ط١ ، ١٣٥٢هـ .

١١٢ ـ جنة المأوى
محمد الحسين آل كاشف الغطاء
تبريز : ١٣٨٠هـ = ١٩٦١م .

١١٣ ـ فلسفة المعاد

أحمد أمين الكاظمي

النجف الأشرف : مطبعة الغري الحديثة ، ١٣٨٠هـ = ١٩٦١م ، ٦٤ص (سلسلة منابع الثقافة ، ٢) .

١١٤ ـ العقل يدعو للإيمان

هادي حسن حمودي

النجف الأشرف : مطبعة الغري الحديثة ، ١٣٨١هـ ، ١٠٠ص .

١١٥ ـ القول السديد في شرح التجريد

محمد بن مهدي الحسيني الشيرازي

النجف الأشرف : مطبعة الآداب ، ١٩٦١م ، ٢ج .

١١٦ ـ كيف عرفت الله

محمد بن مهدي الحسيني الشيرازي

النجف الأشرف : مطبعة الغري الحديثة ، ١٣٨٠هـ = ١٩٦١م ، ١١٩ص .

١١٧ ـ المبدأ والمعاد

محمد الكاظمي القزويني

البصرة : ١٩٦١م .

١١٨ ـ اثر الشيعة الجعفرية في تطوير الحركة الفكرية ببغداد ، ومنهم فيلسوف العرب الكندي

عبد الواحد الأنصاري

بغداد : مطبعة الرابطة ، ١٩٦٢م ، ١٣٦ص .

١١٩ ـ أصول الدين الإسلامي

محمد جمال الهاشمي

النجف الأشرف : مطبعة النعمان ، ١٩٦٢م ، ١٢٧ص .

١٢٠ ـ الله الخالق القدير

محمد علي حسن ناصر

النجف الأشرف ، مطبعة النعمان ، ١٣٨٢هـ = ١٩٦٢م ، ١٣٦ ص .

١٢١ ـ دفاع عن العقيدة
فاضل بن عباس الحسيني الميلاني
النجف الأشرف : مطبعة النعمان ، ط ١ ، ١٣٨٢هـ = ١٩٦٢م ، ٢٤٤ص .

١٢٢ ـ رسائل المعرفة
طاهر بن عبدالله أبو رغيف
النجف الأشرف : مطبعة الآداب ، ١٣٨٢هـ = ١٩٦٣م ، ١٩٦ص .

١٢٣ ـ عقد الفرائد في مختصر العقائد
محمد رضا الطبسي النجفي (١٣٢٢هـ)
النجف الأشرف : مطبعة القضاء ، ١٣٨٢هـ ، ٢٠ص .

١٢٤ ـ الفلسفة العربية الجديدة
محمد الفوار
النجف الأشرف : مطبعة الغري ، ١٩٦٢م ، ٣٦ص .

١٢٥ ـ الكندي
عبد الكريم الزنجاني
النجف الأشرف : مطبعة الغري الحديثة ، ١٣٨٢هـ = ١٩٦٢م ، ٤٠ ص ، ٢٤ سم .

١٢٦ ـ الكندي
محمد بن علي بحر العلوم
تقديم : محمد تقي الحكيم
النجف : مطبعة النجف ، ١٣٨٢هـ = ١٩٦٢م ، ج ١ ، ٢١٨ص .

١٢٧ ـ الكوفة مولد الكندي ومدرسته
عبد المهدي حسن البلاغي
النجف الأشرف : مطبعة الآداب ، ١٩٦٢م ، ٢٤ص .

١٢٨ ـ مختصر الدر الثمين في أصول الدين

محمد القائيني

النجف الأشرف : مطبعة الآداب ، ١٣٨١هـ = ١٩٦٢م ، ١٣٠ص .

١٢٩ ـ أثر العلوم التجريبية في الإيمان بالله
كافيل فلاماريون
ترجمة : محمد مهدي الآصفي
النجف الأشرف : مطبعة النعمان ، ١٩٦٣م ، ١٣٦ص .

١٣٠ ـ أشعة من عقائد الإسلام
محمد بن محمد بن صادق الصدر
النجف الأشرف : مطبعة النعمان ، ١٣٨٣هـ ، ٧٥ص (سلسلة المنابع ، ٣٥) .

١٣١ ـ الله نور الحق ، أو العقل يلج الى مصدر خليقته في أسرار الحياة
عبد الجبار مدفون الأسدي
النجف الأشرف : مطبعة الغري الحديثة ، ١٩٦٣م ، ٢ج (سلسلة من ايحاء النفس ، ٢) .

١٣٢ ـ تلخيص الشافي
محمد بن الحسن الشيخ الطوسي
النجف الأشرف : مطبعة الآداب ، ط٢ ، ١٣٨٣هـ = ١٩٦٣م .

١٣٣ ـ خلاصة المنطق
عبد الهادي الفضلي
النجف الأشرف : مطبعة الآداب ، ١٣٦٣هـ = ١٩٦٣م ، ١٤٣ص .

١٣٤ ـ دلائل الإمامة
أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت٣١٠هـ
النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ١٩٦٣م ، ٣٢٠ص .

١٣٥ ـ نقد الآراء المنطقية
علي محمد رضا كاشف الغطاء
النجف الأشرف : مطبعة النعمان ، ١٩٦٣م ، ٢ج .

١٣٦ ـ الأصول الاعتقادية في الإسلام
مسلم بن حمود الحسيني الحلي
النجف الأشرف : مطبعة الباقر ، ١٩٦٤م ، ٣٠ص .

١٣٧ ـ الانسان بعد الموت
محمد علي الحلي
ط١ ، ١٩٦٣م .

١٣٨ ـ التوحيد الخالص من أجوبة الرسائل الدمشقية : مراسلة مع الشيخ محمد بهجت البيطار حول التوحيد
محمد بن محمد مهدي الخالصي
تقديم : محمد مهدي الخالصي
بغداد : ١٩٦٤م .

١٣٩ ـ أصول الفلسفة
محمد حسين الطباطبائي
ترجمه عن الفارسية : جعفر سبحاني التبريزي
النجف الأشرف : مطبعة الآدب ، ١٩٦٥م ، ج١ .

١٤٠ ـ تراثنا الفلسفي في حاجة إلى النقد والتمحيص
محمد رضا الشبيبي
ط١ ، ١٩٥٣م .

١٤١ ـ سر العالمين وكشف ما في الدارين
أبو حامد الغزالي ت٥٠٥هـ
تقديم : الطباطبائي الحسني
النجف الأشرف : مطبعة النعمان ، ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م ، ٢٣٢ص .

١٤٢ ـ العقائد الحقة في الأصول الخمسة
أحمد بن رضي الموسوي المستنبط
النجف الأشرف : مطبعة الآداب ، ١٣٨٤هـ = ١٩٦٥م ، ٦٨ص (سلسلة المنابع ، ٤٢) .

١٤٣ ـ علم الإمام
محمد الحسين المظفر
النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ١٣٨٤هـ = ١٩٦٥م ، ٨٤ص .

١٤٤ ـ الغيبة
شيخ الطائفة الطوسي
تقديم : آغابزرك الطهراني
النجف الأشرف : مطبعة النعمان ، ط٢ ، ١٩٦٥م ، ٢٩٢ص .

١٤٥ ـ فلسفة الميثاق والولاية
عبد الحسين شرف الدين
النجف الأشرف : مطبعة النعمان ، ١٣٨٤هـ ، ٢٨ص .

١٤٦ ـ المدرسة الإسلامية
محمد باقر الصدر
النجف الأشرف : مطبعة النعمان ، ١٣٨٤هـ ، ١٨٥ص .

١٤٧ ـ الموجز في المنطق
صادق مهدي الحسيني
النجف الأشرف : مطبعة الغري الحديثة ، ١٩٦٥م ، ٧١ص .

١٤٨ ـ الهدى إلى دين المصطفى
محمد جواد البلاغي
تقديم : توفيق الفكيكي
النجف الأشرف : المكتبة الحيدرية ، ط٢ ، ١٩٦٥م ، ٢ج .

١٤٩ ـ الهيئة والإسلام
هبة الدين الشهرستاني
النجف الأشرف : مطبعة الآداب ، ط٣ ، ١٣٨٤هـ = ١٩٦٥م ، ٤٠٠ص .

١٥٠ ـ التوحيد (أو عقائد الصدوق)
الشيخ الصدوق ت ٣٨١هـ
تقديم : محمد مهدي حسن الخرسان
النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ١٩٦٦م ، ٢٨٤ص .

١٥١ ـ حل الطلاسم
محمد جواد الجزائري

تقديم : عبدالله العلايلي
النجف الأشرف : مطبعة الآداب ، ط٣ ، ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م ، ٢٤ سم .

١٥٢ ـ صراط الحق
محمد آصف المحسني
النجف الأشرف : مطبعة النعمان ، ١٩٦٦م ، ٢ج .

١٥٣ ـ قصتي مع صديق مشكك
محمد باقر الناصري
النجف الأشرف : مطبعة القضاء ، ١٣٨٥هـ .

١٥٤ ـ مقدمة التوحيد
الشيخ الصدوق ، ت ٣٨١هـ
نشرها : محمد مهدي الخرسان
النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ١٩٦٦م .

١٥٥ ـ النبوة والأنبياء في نظر أهل البيت
مرتضى القزويني
النجف الأشرف : ١٩٦٦م .

١٥٦ ـ هداية المنطق : شرح وإيضاح لكتاب اللآلئ المنتظمة لهادي السبزواري
محمد عيسى القاسمي
النجف : مطبعة النعمان ، ١٩٦٦م ، ج١ .

١٥٧ ـ هذه عقيدتنا
عبد الغني شكر الشمري
النجف الأشرف : مكتبة التربية ، ١٩٦٦م ، ٩٦ص .

١٥٨ ـ الإسلام في العقيدة والنظام
كاظم جواد الساعدي
النجف الأشرف : مطبعة القضاء ، ١٩٦٧م ، ١٢٠ص .

١٥٩ ـ أصول الدين
فاضل بن حسين اللنكراني

النجف الأشرف : مطبعة الآداب ، ١٩٦٧م ، ١١٠ص .

١٦٠ ـ جمل العلم والعمل

الشريف المرتضى
تحقيق : رشيد الصفار
النجف الأشرف : مطبعة النعمان ، ١٩٦٧م ، ١٣٤ص (سلسلة التوجيه الديني ، ٢) .

١٦١ ـ الشيعة والعقائد

عبد المجيد الحائري
النجف الأشرف : مطبعة الآداب ، ١٩٦٧م ، ٧٢ ص .

١٦٢ ـ المبدأ والمعاد في معرفة الرأي

عبد الزهراء الصغير
النجف الأشرف : مطبعة النعمان ، ١٩٦٧م ، ١٢٥ص .

١٦٣ ـ مسألة الوجود

كاتب كبير
النجف الأشرف : مكتبة التربية ، ١٩٦٧م ، ٤٨ص .

١٦٤ ـ مع الله تعالى

عبد الواحد الأنصاري
بغداد : مطبعة المعارف ، ١٩٦٧م ، ١٤٩ص (سلسلة هذه عقيدتنا ، ١) .

١٦٥ ـ هكذا نبدأ

عبد الغني شكر الشمري
تقديم : محمد باقر الصدر
النجف الأشرف : مطبعة النعمان ، ١٩٦٧م ، ٢٤٥ص .

١٦٦ ـ وقفة . . مع الوجوديين

محمد بن مهدي الحسيني الشيرازي
النجف الأشرف : ١٣٨٦هـ = ١٩٦٧م .

١٦٧ ـ جمل العلم والعمل
الشريف المرتضى
تحقيق : أحمد الحسيني الأشكوري
النجف الأشرف : مطبعة الآداب ، ١٣٨٧هـ = ١٩٦٨م .

١٦٨ ـ عقلاء المجانين
الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري ت٤٠٦هـ .
تحقيق : محمد بحر العلوم
النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، ط٢ ، ١٩٦٨م ، ٢١٦ص .

١٦٩ ـ في انتظار الإمام
عبد الهادي الفضلي
بغداد : دار التربية ، ١٩٦٨م ، ١٦٨ص .

١٧٠ ـ منهج الإرشاد إلى ما يجب فيه الاعتقاد
خضر عباس الدجيلي الخزرجي ت١٩٦٣م
النجف الأشرف : ١٩٦٨م .

١٧١ ـ النهج السوي في معنى المولى والولي
محمد علي البلتساني
النجف الأشرف : مطبعة الآداب ، ١٩٦٨م ، ١٣٦ص .

١٧٢ ـ الله بين الفطرة والدليل
محمد حسن آل ياسين
بغداد : جامع إمام طه ، ١٩٦٩م ، ٦٤ص .

١٧٣ ـ الشيوعية كفر وإلحاد
كاظم الحلفي
النجف الأشرف : مطبعة القضاء ، (١٩٦م) ، ١٦ص .

١٧٤ ـ كلمة حول الرؤية
عبد الحسين شرف الدين
النجف الأشرف : مطبعة النعمان ، (-١٩٦م) ، ١٠٨ص .

١٧٥ ـ ماذا في كتب النصارى؟
محمد بن مهدي الحسيني الشيرازي
النجف الأشرف : مطبعة الآداب ، (- ١٩٦م) ، ٥٤ص .

١٧٦ ـ المعركة بين الإيمان والإلحاد
ناصر البديري
النجف الأشرف : مطبعة القضاء ، (-١٩٦م) .

١٧٧ ـ من وحي فلسفتنا
كاظم الحلفي
تقديم : محمد باقر الصدر
النجف الأشرف : مطبعة النعمان ، (-١٩٦م) ، ٥٦ص .

١٧٨ ـ الوجيزة في السحر والمعجزة
أحمد الزنجاني الكرماني
النجف الأشرف : مطبعة الغري ، (-١٩٦م) ، ٤٠ص .

١٧٩ ـ أصول العقيدة في التوحيد والعدل
مهدي الصدر
النجف الأشرف : مطبعة الآداب ، ١٩٧٠م .

١٨٠ ـ أصول العقيدة في النبوة
مهدي الصدر
النجف الأشرف : ١٩٧٠م .

١٨١ ـ دروس في مجال التفكير الإسلامي
غازي سعيد السعد
النجف الأشرف : مطبعة النعمان ، ١٩٧٠م ، ١٧٥ص .

١٨٢ ـ العدل الإلهي بين الجبر والاختيار
محمد حسن آل ياسين
بغداد : منشورات جامع إمام طه ، ١٩٧٠م ، ٦٣ص .

١٨٣ ـ حياة النفس
أحمد الإحسائي ت ١٢٤١هـ
النجف الأشرف : مطبعة الآداب ، ١٩٧١م ، ٨٨ص (كتب إسلامية ، ١) .

١٨٤ ـ العصمة
أحمد الإحسائي
النجف الأشرف : مكتبة الحائري ، ١٣٩٠هـ = ١٩٧١م ، ٩٦ص .

١٨٥ ـ مسالك النجاة ، جواب على كتاب أصول الدين للشيخ فاضل اللنكراني
محمد علي محمد باقر الكاظمي
بغداد : مطبعة المعارف ، ١٩٧١م ، ٥٥ص .

١٨٦ ـ طريق المعرفة
سلمان الخاقاني
النجف الأشرف : منشورات نادي الخاقاني ، ١٩٧٢م ، ١٣٥ص .

١٨٧ ـ من الكندي الى ابن رشد
موسى الموسوي
بغداد : ١٩٧٢م ، ٢٣٧ص .

١٨٨أ ـ النبوة
محمد حسن آل ياسين
بغداد : جامع إمام طه ، ١٩٧٢م ، ٧٥ص .

١٨٨ب ـ المغرفة في المعرفة في الحكمة الإلهية
محمد هادي الحسيني الخراساني
تحقيق : محمد تقي الجلالي
النجف الأشرف : مطبعة الآداب ، ١٣٩٣هـ ، ٨٠ص .

١٨٩ ـ فلسفة التوحيد والولاية
محمد جواد مغنية
قم : دار التبليغ الإسلامي ، (١٩٧٥م) .

١٩٠ ـ موجز في أصول الدين
محمد باقر الصدر
الكويت : ١٩٧٧م (كتب المؤلف قدس سره هذا البحث كمقدمة لرسالته العملية «الفتاوى الواضحة» ثم أُفرد في رسالة مستقلة) .

١٩١ ـ دراسات في العقيدة الإسلامية
محمد جعفر شمس الدين
بيروت : دار التعارف للمطبوعات ، ١٩٧٩م .

١٩٢ ـ محاضرات في العقيدة الإسلامية
أحمد البهادلي
بيروت : دار التعارف للمطبوعات ، ١٩٧٩م ، ٣٢٠ص .

١٩٣ ـ عقليات إسلامية
محمد جواد مغنية
بيروت : دار التعارف للمطبوعات (-١٩٧م) .

١٩٤ ـ الوجودية والغثيان
محمد جواد مغنية
بيروت : دار التعارف للمطبوعات (-١٩٧م) .

١٩٥ ـ الكتاب العقائدي : الله تعالى بين الإيمان والإلحاد
صدر الدين القبانجي
بيروت : دار التعارف للمطبوعات ، ١٩٨٠م ، ٢ج .

١٩٦ ـ التحفة في المبدأ والمعاد (أرجوزة)
محمد مهدي البحراني
النجف الأشرف : (د .ت) .

١٩٧ ـ التوحيد
محمد باقر الموسوي الهندي ت١٣٨٣هـ
النجف الأشرف : مطبعة الآداب ، ١٠٠ص .

١٩٨ ـ شرح منظومة العلامة الحجة في الإمامة المعروفة بالشهاب الثاقب
محسن الجواهري
النجف الأشرف : (د .ت) .

١٩٩ ـ المسترشد في إمامةعلي بن أبي طالب
محمد بن جرير الطبري (ت حوالي ٤٠٠هـ) .
تقديم : آغا بزرك الطهراني
النجف الأشرف : المطبعة الحيدرية ، (د .ت) ، ١٧٠ص .

٢٠٠ ـ المعجزة والإسلام
محمد هادي الحسيني الخراساني
النجف الأشرف ؛ المطبعة العلمية ، ط ١ ، (د .ت) ، ٣٤٨ص .

٢٠١ ـ الألفين في دين المصطفين
(ألفا بيت من الشعر في أصول الدين والحكمة الإلهية)
محمد هادي الحسيني الخراساني
طهران : مطبعة باكتچي ، (د .ت) ، ١٤٨ص .

٢٠٢ ـ الباقيات الصالحات
(مقدمة في أصول الدين مع رسالة عملية)
محمد هادي الحسيني الخراساني
بغداد : مطبعة الزمان ، (د .ت) ، ٥٦ص .

* * *

الملاحظ ، أن البحث المتقدم (الدرس الفلسفي) قد ألمح إلي الدرس العرفاني والأخلاقي أيضاً . . . ونظراً لأهمية هذا الدرس الأخير بصفته تجسيداً للسلوك البشري في تعامله مع جميع مفردات الحياة (بما فيها : المفردة العلمية) ، لذلك ، يجدر بنا أن نقدم أحد البحوث الذي يتناول الدرس المذكور في أحد مدارسه أو اتجاهاته ، كتبه الأستاذ عرفان محمود تحت عنوان :

الحوزات الأخلاقية والعرفانية في النجف الأشرف

المدخل:

احتضنت مدينة النجف الأشرف ـ ومنذ تأسيس حوزتها العلمية على يد زعيم الطائفة الشيخ محمد بن الحسن الطوسي ـ الكثير من العرفاء الكاملين وأساتذة الأخلاق والسير والسلوك إلى الله ؛ كما تخرج من هذه الحوزة الكثيرون من الذين فازوا بطي منازل الكمال والتقرب إلى الله جلّ وعلا والتخلي عن الرذائل والتحلي بالأخلاق الإلهية .

ولعل من أهم العوامل التي استقطبت طلال الكمال الحقيقي وجذبتهم إلى هذه المدينة المقدسة هو وجود جوزتها العلمية العريقة التي ضمت أساطين علماء الإمامية وفحولهم ، يُضاف إلي ذلك أن العرفاء الإماميين كانوا يرون لي المرقد المقدس لمولى العارفين الإمام علي ـ عليه السلام ـ محلاً لنزول البركات الإلهية لذلك كانوا يحرصون على مجاورته للإستلهام والتزود من هذه الفيوضات الربانية المشهودة ، فمثلاً نلاحظ المولى المقدس الأردبيلي[1] كان يرفض الطلبات الملحة للملك الصفوي الشاه عباس الذي كان يبالغ في تعظيم المقدس الأردبيلي ويطلب منه التوجه إلى أرض إيران وعاصمة الدولة الصفوية فيأبى المقدس بشدة معللاً الرفض بالرغبة في الحفاظ على نعمة التوفيق لمجاورة المرقد العلوي[2] .

---

(١) قال عنه الشيخ الحر العاملي : «المولى الأجل الأكمل أحمد بن محمد الأردبيلي ، كان عالماً فاضلاً مدققاً عابداً ثقة ورعاً عظيم الشأن جليل القدر» كما نقل ذلك السيد الخوئي في معجم رجال الحديث ج٢ ص٢٢٩ . ووصفه العلامة البحراني في لؤلؤة البحرين بأنه : «لم يسمع بمثله في الزهد والورع له مقامات وكرامات» (روضات الجنات ج١ : ٧٩) ، وقال عنه العلامة المجلسي الأول الشيخ محمد تقي : «شيخ الطائفة وأزهد الناس في عهده مولانا أحمد الأردبيلي» (أعيان الشيعة ٩٠ : ١٩٦) ووصفه بأوصاف مماثلة كل مَن ترجم له فهو من كبار عرفات الإمامية وكبار فقهائها في الوقت نفسه كما يكسف عن ذلك كتابه الفقهي الإستدلالي المعروف «مجمع الفائدة والبرهان في شرح ارشاد الأذهان» الاذي يُعد من أمهات الكتب الفقهية الشيعية .

(٢) روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، السيد محمد باقر الخوانساري ، ١ : ٨٣ ، وقد توفي المقدس الأردبيلي في النجف الأشرف سنة ٩٩٣ للهجرة (منتهى المقال في أحوال الرجال للشيخ أبي علي الحائري ، ١ : ٣٣١) .

البركات المعنوية للمشهد الغروي:

وتنقل العديد من المصادر المعتبرة كرامة للمقدس الأردبيلي تكشف عن إحدى ثمار الفوز بهذا الجوار المقدس لأصحاب القلوب الحية والبصائر المتوقدة؛ نسجلها هنا لنتعرف أكثر على سر اهتمام العارفين به، ونحن ننقلها من أحد الكتب المتخصصة في أحوال الرجال هو كتاب منتهى المقال للشيخ أبي علي الحائري، يقول رحمه الله في ترجمته للمقدس: «وفي كتاب الأنوار النعمانية للسيد نعمة الله الجزائري: حدثني أوثق مشايخي علماً وعملاً أن لهذا الرجل ـ وهو المولى الأردبيلي رحمه الله ـ تلميذاً من أهل تفريش اسمه مير علام وقد كان بمكان من الفضل والورع، قال ذلك التلميذ: قد كانت لي حجرة في المدرسة المحيطة بالقبة الشريفة، فاتفق أني فرغتُ من مطالعتي وقد مضى جانب كثير من الليل فخرجتُ من الحجرة أنظرُ في حوش الحضرة، وكانت ليلة شديدة الظلام فرأيت رجلاً مقبلاً إلى الحضرة الشريفة، فقلتُ لعل هذا سارقٌ جاء ليسرق شيئاً من القناديل، فنزلتُ وأتيتُ إلى قربه وهو لا يراني فمضى إلى الباب ووقف، فرأيتُ القفل وقد سقط وفتح له الباب الثاني والثالث على هذا الحال، فأشرف على القبر فسلم وأتى من جانب القبر رد السلام فعرفتُ صوته فإذا هو يتكلم مع الإمام في مسألة علمية. ثم خرج من البلدة متوجهاً إلى مسجد الكوفة، فخرجتُ خلفه وهو لا يراني فلما وصل إلى محراب المسجد سمعته يتكلم مع رجلٍ آخر بتلك المسألة.

فرجع ورجعتُ خلفه وهو لا يراني، فلما بلغ إلى باب البلد، أضاء الصبح، فأعلنتُ نفسي له وقلت: يا مولانا كنتُ معك من الأول إلى الآخر فأعلمني من كان الرجل الأول الذي كلمته في القبة ومن الرجل الذي كلمك في الكوفة. فأخذ علي المواثيق أني لا أخبر أحداً بسره حتى يموت.

فقال لي: يا ولدي، إن بعض المسائل تشتبه علي، فربما خرجتُ بعض الليل إلى قبر مولانا أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ وكلمته في المسألة وسمعت الجواب، وفي هذه الليلة أحالني على مولانا صاحب الزمان عليه السلام وقال لي: إن ولدنا المهدي ـ عليه السلام ـ في هذه الليلة في مسجد الكوفة وسله عن المسألة، وكان ذلك الرجل هو المهدي ـ عليه السلام ـ»(١).

---

(١) منتهى المقال، ١: ٣١٢ ـ ٣١٤، الأنوار النعمانية، ٢: ٣٠٣، وقد نقلها العلامة المجلسي في بحار=



الإمام الخوئي (قده) يقلد العمامة لأحد طلبة العلوم الدينية

وبملاحظة هذه الثمرة نفهم سر اهتمام عرفاء الإمامية بمجاورة المشهد العلوي المقدس ، فمثلاً نلاحظ أن جمال العارفين وقدوة السالكين السيد علي بن طاووس[(١)] ، ينتقل بعياله من الحلة إلى مشهد الإمام علي ـ عليه السلام ـ ليقيم فيها نحو ثلاث سنين يقول عنها بأنها فاز فيها «بعنايات عظيمة في الدين والدنيا ، ما عرفتُ الله جل جلاله تفضل على أحد مثلها ممن شرفه بسكنى ذلك المقام المكين»[(٢)] ، وقد قام بذلك ضمن حركة شملت مجاورة المشهد الحسيني ثلاث سنين ثم عزمه على جاورة المراقد الطاهرة في سامراء ؛ معتبراً التوفيق لذلك منقبة وكرامة وليكن ذلك وسيلة رلى أن يسكنونا في جوارهم في دار قرارهم ويشملونا بمبادهم ويشركونا في مسارهم إن شاء الله تعالى»[(٣)] .

الاهتمام بمناهج التهذيب:

يُضاف إلى ذلك عاملٌ آخر هو اهتمام العديد من زعماء الحوزة النجفية بمناهج التربية

= الأنوار ج٥٢ : ١٧٤ ـ ١٧٥ ، باب نادر فيمن رآه عليه السلام قريباً من زماننا ، عن جماعة عن أمير علام الذي وصفه العلامة بأنه «السيد الفاضل» وقد تلقى علماء الرجال والتراجم هذه الحكاية بالقبول ونقلوها في كتبهم .

(١) السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن الطاووس الحسني من أعلام القرن السابع الهجري ومن مشايخ العلامة الحلي الذي يصفه في كتابه منهاج الصلاح وفي إجازته لبني زهرة بأنه «أعبد من رأيناه من أهل زمانه» ، وبأنه «صاحب كرامات حكى لي بعضها وروى لي والدي ـ رحمة الله عليه ـ البعض الآخر» . وهو ممن أجمع علماء الطائفة على سمو منزلته وعلو مرتبته في العلم والعمل بل ولم يجمعوا على صدور الكرامات من أحد كما أجمعوا على صدورها عنه ـ رضوان الله عليه ـ كما يقول المحدث النوري في خاتمة المستدرك ، ويعتبر أبو المدارس العرفانية والسلوكية الإمامية فقد تأثرت معظمها بمنهجه في المعرفة والسلوك ، يقول البحاثة المتتبع محمد محسن الشهير بآقا بزرك الطهراني صاحب موسوعتي «الذرعية» و«طبقات أعلام الشيعة» عن تأثير السيد ابن طاوس على هذا المدارس : « . . . وبالجملة فقد ثبت للسيد ابن طاووس حق عظيم على كافة المسلمين بما دلهم في تصانيفه إلى معرفة رب العالمين ورسوله النبي الأمين وأوصيائه الأئمة الميامين ـ عليهم السلام ـ ، وبما أرشدهم إلى طريق العبودية وكيفية السير والسلوك إلى الله تعالى وبما علمهم من المحاسبة والمراقبة وتهذيب النفس وغير ذلك من مكارم الأخلاق آخذاً جميع هذه التعليمات عن معادن العلوم اللدنية وأهل بيت الوحي والعصمة المروية عنهم في الأصول والكتب المعتبرة التي هيأها الله تعالى له ولم يصل إلينا منها إلا النزر اليسير ، فلو لم يكن جمعه وتدوينه لها في تأليفاته لكنا محرومين من فوائد تلك التعليمات . . .» (راجع دراسة السيد ابن طاووس ومنهجه في المعرفة والسلوك ، المنشورة في العددين ١١ ، ١٢ لمجلة الفكر الإسلايم التي يصدرها مجمع الفكر الإسلامي ـ قم المقدسة) .

(٢ ، ٣) : كشف المحجة لثمرة المهجة ، السيد ابن طاووس : ١٧٤ ـ ١٧٥ .

والسلوك وتهذيب النفس ، وظهر هذا الإهتمام مع بدأ تأسيس هذه الحوزة العلمية على يد الشيخ الطوسي ، فهو الذي صنف كتاب «مصباح المتهجد وسلاح المتعبد» ثم ألف مختصره لمزيد الاهتمام به ، والمصباح هو أول مصنف شيعي جامع للأعمال العبادية المروية عن أهل بيت النبوة ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ لمختلف الأوقات والحالات وهذه الأعمال تمثل في الحقيقة مناهج للسلوك العرفاني ؛ ويذكر أن هذا الكتاب كان منهج عمل الشيخ الطوسي نفسه بجميع محتوياته .

واستمر هذه الإهتمام من قبل زعماء الحوزة النجفية على الرغم من مروره بحالات من الفتور أحياناً ، لكنه كان يشتد في ظل زعامة علماء آخرين للحوزة أمثال سيد العرفاء السيد مهدي بحر العلوم[١] الذي تُنسب له رسالة «السير والسلوك»[٢] ، والشيخ الأنصاري الذي كان يحث تلامذته على حضور الدروس الأخلاقية والعرفانية ويصطحبهم بنفسه لحضور درس العارف الكبير السيد علي الشوشتري في الأخلاق . فاستمرت الدروس الأخلاقية والعرفانية بين انحسار وإتساع إذ كانت الحوزة النجفية تشهد أحياناً إفراطاً في الاهتمام بالدروس الفقهية والأصولية على حساب التربية الأخلاقية والسلوك العرفاني : ولكن الحوزات الأخلاقية والعرفانية لم تختف بالكامل بل تواصلت وأعطت ثمارها في تربية الكثيرين من العرفاء الأنقياء .

وتزامناً مع تأسيس خاتمة المجتهدين الشيخ مرتضى الأنصاري لمدرسته الفقهية والأصولية الإمامية الحديثة في القرن الثالث عشر الهجري والتي تكاملت فيها ـ وإلى

(١) هو السيد مهدي ابن السيد مرتضى الحسني البروجردي ولد في كربلاء ليلة الجمعة سنة ١١٥٥ للهجرة وتوفي بالنجف الأشرف سنة ١٢١٢ ودفن قريباً من قبر الشيخ الطوسي وقبره مشهور ، يقول عنه معاصره الرجالي الشيخ أبو علي الحائري : «وداره الميمونة الآن محط رحال العلماء ومفزع الجهابذة وهو بعد الآغا البهبهاني إمام أئمة العراق وسيد الفضلاء على الإطلاق إليه يفزع علماؤها ومنه يأخذ عظماؤها وهو كعبتها التي تطوي المراحل وبحرها الذي لا يوجد له ساحل مع كرامات باهرة ومآثر آيات ظاهرة» ، ويقول عنه السيد محسن الأمين : «ويعتقد السواد الأعظم إلى الآن أنه من ذوي الأسرار الإلهية الخاصة ومن أولي الكرامات والعنايات والمكاشفات ومما لا ريب فيه أنه كان ذا نزعة من نزعات العرفاء والصوفية يظهر ذلك من زهده وميله إلى العبادة والسياحة» ، أعيان الشيعة ، ٤٨ : ١٦٥ ـ ١٦٦ .

(٢) ذكر المرحوم العلامة السيد محمد حسين الطهراني جملة من الدلائل المرجحة لصحة انتساب هذه الرسالة للسيد بحر العلوم ونقل عن أستاذه العلامة الطباطبائي أن أستاذه في العرفان السيد علي القاضي كان يصف هذه الرسالة بأنها لا نظير لها في نقائها ومتانة محتواها ، راجع مقدمة العلامة الطهراني لطبعة انتشارات حكمت الطهرانية لهذه الرسالة .

درجة كبيرة ـ عناصر هذه العلوم الإسلامية على ضوء منهج أهل البيت ـ سلام الله عليهم ؛ تأسست في الحوزة النجفية أيضاً مدرسة أخلاقية عرفانية تكاملت فيها مناهج السير والسلوك إلى الله تبارك وتعالى على ضوء منهج أهل بيت ـ النبوة ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ .

مؤسس هذه المدرسة السلوكية التربوية هو آية الله العظمى السي علي الشوشتري الذي كان يحضر دروس الشيخ الأنصاري في الفقه والأصول وقد جلس مجلسه وواصل تدريسهما بعد وفاته من حيث انتهى إليه الشيخ الأنصاري من مباحثهما وكان بحراً مواجاً فيهما لكنه لم يعمر بعده سوى ستة شهور[١] .

وفي الوقت نفسه كان السيد علي الشوشتري أستاذاً للشيخ الأنصاري في الأخلاق وهذه من العلاقات النادرة إذ كان كلٌ منهما استاذا وتلميذاً للآخر في آن واحد ، يتحدث آية الله العظمى المولى حسين قلي الهمداني ـ الّذي ستأتي ترجمته لاحقاً ـ عن هذه العلاقة ضمن حديثه عن قصة دخوله في مدرسة السيد الشوشتري فيقول : «عندما هاجرت إلى النجف الأشرف أخذت بالحضور في درس الشيخ الأنصاري ؛ وعلمت أن الشيخ يواظب كل يوم أربعاء على الذهاب إلى منزل السيد علي الشوشتري بمعية تلاميذه يوماً إلى منزل السيد فرأيتُ الشيخ جالساً في هيئة التلميذ في محضر السيد الذي كان جالساً مجلس الإستاذ وهو يتحدث ، فخطر على قلبي أن أواظب أنا أيضاً على الحضور في درس السيد ، وعندما هممت بالقيام للانصراف قال لي السيد : إذا رغبتَ بالمجيء فبإمكانك ، أن تأتي ، ومُنذ ذلك اليوم فتحت لي أبواب حضرته»[٢] .

وقد ربت مدرسة السيد الشوشتري الكثيرين من العرفاء العظام الذين تألقوا كواكب لامعة في سماء الكمال والزهد والتقى والعرفان وهؤلاء ربوا بدورهم عدداً آخر من طلاب الحق تعالى وأعانوهم على سلوك طريق العبودية الحقة لله تبارك وتعالى .

وأبرز خريجي مدرسة السيد الشوشتري هو الفقيه حسين قلى الهمداني المذكور آنفاً

(١) راجع كتاب التوحيد العلمي والعيني ، السيد محمد حسين الطهراني ، هامش صفحة ١٤ ـ ١٥ .
(٢) راجع كتاب «تأريخ حكماء وعرفاء متأخرين بر صدر المتألهين» بالفارسية ، منوچهر صدوقي سها : ١٣٣ ، وورد فيه تحقيق عن سلسلة أساتذة السيد الشوشتري واتصالهُ بالمولى محمد البيد آبادي والسيد مهدي بحر العلوم ، المصدر : ١٤٨ ـ ١٥٢ .

الذي مثّل في منهجه الفقهي والأصولي امتداداً لمنهج أستاذه الشيخ مرتضى الأنصاري ؛ وفي المنهج السلوكي العرفاني امتداداً لمنهج استاذه الشوشتري . وقد تفرغ للقيام بهذه المهمة التعليمية الشمولية والتربوية السلوكية وكرس حياته الشريفة لذلك ووسع نطاق مدرسة أستاذه الشوشتري وبلورتها في صورة جامعة بين الفقه والأصول والأخلاق والسلوك والعرفان .

لقد ربى المولى الهمداني كوكبة من العلماء الربانيين[1] الذين جمعوا بين التبحر في الفقه والعرفان والأصول والسلوك ، فكانوا فقهاء مجتهدين وعرفاء كاملين وعلماء عاملين ، وزصلوا نهجه وأنشأ العديد منهم حوزات تربوية على غرغر مدرسة إستاذهم نظير ما فعله الآيات العظام السيد أحمد الكربلائي والسيد مرتضى الكشميري والميرزا جواد الملكي التبريزي والمولى محمد البهاري ثم تلامذتهم الذين تابعوا دروس هذه الحوزات الأخلاقية من أمثال السيد علي القاضي والعلامة الطباطبائي وغيرهم .

من هنا فإن هذه الجامعية في مدرسة الفقيه الهمداني جعلتها من أقرب النماذج المعبرة عن المدرسة السلوكية العرفانية الإمامية وأكثرها تكاملاً ، ولذلك قمنا بدراسة خصائص هذه المدرسة وقدمنا لها بالحديث عن ضرورات وأهمية التعرف عليها وبالتعريف بشخصية مؤسسها ، وقد نشرنا هذه الدراسة في العدد الثامن من مجلة الفكر الإسلامي القمية ونحن نقدمها لهذه الموسوعة المباركة باعتبارها نموذج نقي للمدارس العرفانية التي نشأت وتطورت في جوار المرقد المقدس لمولى العارفين ويعسوب المتقين ، وقد أجرينا بعض التعديلات عليها وأضفنا بعض الهوامش التكميلية .

يعتبر المولى الهمداني مؤسساً لمدرسة تربوية إسلامية ربت مجموعة من صفوة علماء الأمّة الإسلامية كان لهم الأثر المشهود في الدفاع عن حياة القيم الإسلامية في حياة المسلمين خلال القرن الماضي ومواجهة الهجمة التغريبية التخريبية الشاملة التي شنّها الغرب الإستعماري في نفس تلك الفترة سعياً لعزل الإسلام وإبعاد المسلمين عنه

---

(١) من الصعب إحصاء تلامذة المولى الهمداني لكثرتهم وانتشارهم وابتعاد الكثيرين منهم عن الأضواء ، وقد ذكر العلامة آغا بزرك الهطراني عدداً من أعلامهم وسجل تلمّذ العشرات من فقهاء وعرفاء الطائفة في مدرسته ، وذكر صدوقي سُها أسماء (٣١) من أبرز تلامذة المولى الهدماني المباشرين ، تأريخ حكماء وعرفاء متأخرين برصدر المتألهي : ١٣٣ ـ ١٤٠ .

مقدّمة لاستعبادهم واستغلال ثرواتهم فتركّزت جهود تلك الصفوة من خرّيجي مدرسة المولى الهمداني على نشر وترويج القيم الإسلامية والتربية المعنوية القادرة على مواجهة تلك الهجمة ، هذا من جهة ومن جهة أخرى السعي لقيادة المؤمنين وهدايتهم لطيّ مدارج الكمال وتحقيق العبودية الحقّة لله تبارك وتعالى وهي الغاية ن خلق الإنسان : ﴿وَما خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إلاّ ليَعْبُدُون﴾[١] .

ضرورة التعرّف على مدرسة المولى الهمداني:

تنبع أهمية البحث والتعرّف على مدرسة المولى الهمداني التربية أوّلاً : قوّة تأثيرها في الحياة اللاإسلامية المعارضة ؛ ويمكن معرفة قوّة هذا التأثير من خلال ملاحظة الأدوار التأريخية التي قام بها عددٌ من خريجيها[٢] : كالسيّد جمال الدين الأسدآبادي الشهير بالأفغاني رائد الحركة الإصلاحية الإسلامية المعروفة التي ما زالت تأثيراتها مشهودة في العديد من بلدان العالم الإسلامي ؛ وكالعلاّمة السيّد محمّد حسين الطباطبائي الذي قاد حركة واسعة في نشر الثقافة والمعرف الإسلامية وإحيائها ومواجهة الغزو الثقافي الغربي والمساهمة في توفير الأرضية الثقافية اللازمة لتفجير الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه ومعلومٌ أنّ الكثير من رجال هذه الثورة ومفكّريها قد تتلمذوا على يديه وعلى يدي الإمام الخميني أمثال الشهيد المطهّري وآية الله الخامنئي والسيّد محمّد البهشتي والشيخ جوادي الآملي والشيخ مصباح اليزدي وغيرهم كثيرون . . والنماذج الأخرى كثيرة ستأتي الإشارة إلى بعضها لاحقاً إن شاء الله .

ثانياً : إنّ هذه المدرسة التربوية العرفانية قدّمت نموذجاً للعرفان الإسلامي الأصيل والمناهج السلوكية المستنبطة من المصادر الشرعية النقية والبعيدة عن الانحرافات التي

---

(١) الذاريات : ٥٦ .

(٢) نقصد هنا التلامذة المباشرين للفقيه الهمداني أمثال السيد جمال الدين الأفغاني والسيد محمد سعيد الحبوبي والسيد مهدي الحكيم وغيرهم والتلامذة غير المباشرين أي الذين تربوا على أساتذة في الأخلاق والعرفان تخرجوا من حوزة الفقيه الهمداني أو حوزات تلامذته ؛ إذ استمرت سلاسل هؤلاء العرفاء ودروسهم إلى اليوم وإن كان الكثيرين منهم من المعرضين عن السمعة والشهرة مفضلين النشاط التربوي الخفي والبعيد عن الأضواء قدر المستطاع .

وقعت فيها الطرق الصوفية فيما تهاونت في التمسّك بالشريعة ، كما عرضت طريقة في السير والسلوك إلى الحقّ تبارك وتعالى وطي مدارج الكمال والتخلّق بالأخلاق الإلهية عن طريق الاعتصام القوّي بعرى أئمة الهدى وأهل بيت العصمة النبوية ، وهم سلام الله عليهم أجمعين الثقل الثاني الذي أوصى به سيّد الرسل صلى الله عليه وآله إلى جانب القرآن الكريم واعتبرهما ضمانة النجاة من الضلال وسفينة الوصول إلى مراتب الرقي ولقاء النبي الخاتم على حوضه .

و قد أثبت هذا النموذج العرفاني السلوكي قوّة تأثيره وشدّة فاعليّته وأصالته الشرعية من خلال تربيته لكوكبة من الأولياء الذين لا يختلف أحدٌ بشأن سموّ مراتبهم المعنوية وزهدهم وتقواهم وصدقهم وإخلاصهم للإسلام أمثال آيات الله الشيخ علي القمّي والميرزا جواد الملكي التبريزي الذي مدحه الإمام الخميني مراراً في كتاب سرّ الصلاة[٢] ، والسيّد أحمد الكربلائي الطهراني[٣] ، والسيّد علي القاضي ، والسيّد حسن الصدر ، والسيّد محمّد سعيد الحبوبي ، إضافة إلى الذين تقدّم ذكرهم والذين لم يذكروا هنا أكثر .

وثالثاً : إنّ شخصية المولى حسين قلي الهمداني نفسه تشكّل بحدّ ذاتها دافعاً مستقلاً للبحث حول هذا الموضوع حيث ذكره كلّ المترجمين لعلماء الإمامية بعبارات من المدح والثناء قلّما ذكروا غيره بأمثالها . فالعلاّمة المتتبّع الشيخ آقا بزرك الطهراني يصفه في موسوعة أعلام الشيعة بقوله : «هو الشيخ المولى حسين قلي بن رمضان الشوندي الدرجزيني الهمداني النجفي من أعاظم العلماء وأكابر فقهاء الشيعة وخاتمة علماء الأخلاق في عصره . . وتتلمذ في الأخلاق للسيّد علي التستري ففاق فيه أعلام الفنّ . . . وهو في خصوص هذا العلم (الأخلاق) لا يحدّه وصف . فقد مضت حقبة

(١) للشيخ علي القمي تقريرات لدروس أستاذه الهمداني في الأخلاق ، وقد أثنى العلامة آقا بزرك الطهراني كثيراً على مراتبه في الزهد والتقوى ، راجع ترجمته في القسم الرابع من نقباء البشر .

(٢) كتاب سرّ الصلاة : ٨٤ ، طبعة مؤسّسة الإعلام الإسلامي ، ترجمة السيّد أحمد الفهري .

(٣) كان للسيد أحمد الكربلائي درس أخلاقي يعقده في المساء يحضره عدد من علماء النجف وكان حديثه في معظم الأحيان عن معرفة النفس وتهذيب الأخلاق وأحياناً عن العرفان ولكن أكثر تأكيده كان على معرفة ذات الإنسان فإذا حضر الدرس شخصٌ مجهول غيّر الحديث إلى البحث في فقرات زيارة الشهداء ـ عليه السلام ـ ، فقد كان السيد يقول بأن القابليات مختلفة ولا ينبغي عرض كل المعارف على الجميع ، راجع كتاب تأريخ حكماء وعرفاء متأخرين برصدر المتألهين : ١٤١ .

طويلة لم يجد خلالها الزمن بمن ماثله في علم الأخلاق وتهذيب النفوس وقد ختم به هذا الفن فلم ينبغ بعده مَن يكون له ما كان للمترجم له بحيث يعدّ نظيراً له . . .»[١] .

ويصفه تلميذه السيّد حسن الصدر في التكملة بقوله : «جمال السالكين ، ونخبة الفقهاء الربّانيّين ، وعمدة الحكماء والمتكلّمين وزبدة المحقّقين والأصوليّين ، كان من العلماء بالله وبأحكام الله جالساً [مجلس] الاستقامة تشرق عليه أنوار الملكوت . . .»[٢] .

وضمن حديثه عن حوزة الحكيم المتألّه وأشهر الحكماء الإلهيين في القرون الأخيرة المولى هادي السبزواري صاحب المنظومة المشهورة في الحكمة . يقول العلّامة الشهيد آية الله المطهّري : «إنّ أكبر حسنات الحكيم السبزواري هو المرحوم الحكيم الربّاني والعارف الكامل الإلهي والفقيه المعروف الآخرند المولى حسين قلي الهمداني الدرجزيني قدس سره هذا الرجل الكبير والكريم . . . تشرّف بلقاء الآقا السيّد علي الشوشتري وطوى مراحل السير والسلوك إلى الله لدى هذا العالم الجليل وتوصّل هو إلى مقام من الكمال والمعرفة لا يُعلم له مثيلٌ إلاّ قليلاً ، ولو كان تلامذة حوزة الحكيم السبزواري يفتخرون بالحضور في تلك الحوزة فإنّ تلك الحوزة تفتخر بحضور رجل كهذا (المولى الهمداني) . . .»[٣] .

إذن فشخصية المولى الهمداني هي من نوادر الدهر ـ كما يصفها العلاّمة الطباطبائي[٤] ـ ومن أكابر فقهاء الشيعة في نفس الوقت ، الأمر الذي يشكّل دافعاً مستقلاً كما تقدم للبحث والتعرف على مدرسته السلوكية العرفانية ونفس هذا الدافع يعززه عاملٌ آخر يرتبط بأعلام هذه المدرسة وهم أولياء وعلماء كبار يجمع المؤرّخون على تمجيدهم والإقرار بسموّ مراتبهم العلمية والأخلاقية كما هو ثابت في دراسة سيرهم وتراجمهم في الكتب المتخصّصة كأعلام الشيعة (نقباء البشر) للعلاّمة الطهراني وأعيان الشيعة للسيّد محسن الأمين العاملي وغيرهما .

(١) في كتب أعلام الشيعة (نقباء البشر) ٢ : ٦٧٤ ، (نقلاً عن مقدمة كتاب المراقبات للملكي التبريزي) .
(٢) المصدر السابق .
(٣) كتاب «خدمات متقابل اسلام وايران» للشهيد المطهّري ، المترجم للعربية تحت عنوان «الإسلام وإيران» ، ٣ :١٧١ ـ ١٧٢ .
(٤) رسالة لبّ اللباب في سير وسلوك أولي الألباب : ١٤٩ (تقريرات السيّد الطهراني للدروس العرفانية للعلاّمة الطباطبائي) . انتشارات حكمت في طهران .

شخصية المولى الهمداني:

من الضروري ـ كما هو واضح ـ التمهيد لمعرفة خصائص هذه المدرسة السلوكية الإمامية بالتعرّف أولاً : على شخصية مؤسسها الذي انعكست بقوّة أفكاره ومميزاته على مدرسته التربوية : فهو حسين قلي بن رمضان ؛ والده فلاّح طاهر الطينة وكان راعياً للغنم ثم صار إسكافياً وكان له ولدان : أكبرهم حسين قلي والثاني كريم قلي وكان يرغب في أن يسلكا مسلك طلب العلوم الدينية فاهتمّ بهما .

ولد الشيخ حسن قلي في قرية «شوند» من توابع مدينة همدان الإيرانية سنة (١٢٣٩هـ .ق) ، وهو من ذراري الصحابي الجليل جابر بن عبدالله الأنصاري (ولذلك يُلقّب أحياناً بلقب الأنصاري نسبة إلى هذا الصحابي) وفي القرية من أولاد جابر جمعٌ كثير ، وهذا ما ثبت بالتواتر ، روته طبقة عن طبقة .

بعثه والده إلى طهران ـ وكانت فيها آنذاك حوزة علمية دينية عامرة ـ لتعلّم العلوم الدينية فاجتاز المرحلة الدراسية الأولى بنشاط غريب يستكثر عليه حيث لم يكن حضرياً ، وقد اختصّ فيها بحوزة العالم الأكبر الشيخ عبد الحسين الطهراني ـ وهو من تلامذة الحكيم المتألّه المولى هادي السبزواري صاحب المنظومة ـ وكان المولى السبزواري يقطن آنذاك في مدينة (سبزوار في طريق مدينة مشهد المقدّسة) فسافر إليها الشيخ الهمداني وأقام فيها مدّة لازم خلالها دروس الحكيم السبزواري .

وبعد برهة ـ مكث خلالها في قريته بعد عودته من سبزوار ـ ، هاجر إلى النجف الأشرف حيث كانت رئاسة التدريس ومرجعية التقليد والإفتاء يومذاك للشيخ مرتضى الأنصاري وهو أستاذ المتأخّرين والمقدّم على سائر أعلام النجف ، فحضر عليه ولازم درسه سنين طويلة وكتب تقريراته في الفقه والأصول كثيراً ؛ ولمّا توفّي الشيخ الأنصاري في سنة (١٢٨١هـ ق) لم يتتلمذ لغيره في الفقه والأصول إذ لم يكن محتاجاً .

وتتلمذ في الأخلاق للسيّد علي التستري ـ في نفس تلك الفترة ـ ففاق فيه أعلام الفنّ[١] .

---

(١) ملخّص ما ورد في ترجمته في كتابي نقباء البشر والإسلام وإيران ، والسيد علي التستري يُذكر في بعض المصادر بالتستري وفي الآخر بالشوشتري وهذا الاختلاف شائع بالنسبة لمدينة شوشتر الإيرانية .

أساتذة المولى الهمداني وتأثيرهم عليه:

أخذ الشيخ الهمداني العلوم الشرعية عن خيرة أساتذتها ليس في عصره وحسب بل هم من أعلام علماء وفقهاء الإمامية : فالشيخ مرتضى الأنصاري هو الشيخ الأعظم وهو الملقّب بـ«خاتم الفقهاء والمجتهدين ، ويكاد أن يكون عديم المثيل في الدقّة وعمق النظر ، أدخل أصول الفقه والفقه الشيعي مرحلة جديدة وله في الفقه والأصول آراء جديدة لا سابقة لها حتّى إنّ كتابيه «الرسائل» و«المكاسب» أصبحا كتابين دراسيين ، وقد علّق العلماء من بعده من تلامذته وأتباعه ، على كتبه حواشي متعدّدة ، وهو الوحيد بعد المحقّق الحلّي والعلّامة الحلّي والشهيد الأوّل الذي علّق العلماء بعده على كتبه وشرحوها كثيراً ، وكان يضرب به المثل في الزهد والتقوى وتنقل عنه أمور (من الكرامات والمواقف السامية) . . .»[1] .

وما زالت آراء الشيخ الأنصاري مدار البحث والتدريس في علمي الفقه والأصول في عموم الحوزات الشيعية ، وقد تأثّر الشيخ الهمداني به كثيراً في هذين العلمين كما يفهم من اقتصاره على تدريس تقريرات بحوث الأنصاري الفقهية والأصولية بعد وفاته .

والحكيم السبزواري هو الآخر من أساطين الحكمة الإلهية المستندة إلى القرآن والسنّة ولم يبرز بين الفلاسفة الإسلاميين ـ بعد صدر المتألّهين الشيرازي ـ نظيرٌ لهذا الحكيم في هذا العلم خلال العصور المتأخّرة وما زالت منظومته الشهيرة في الحكمة من المتون الرئيسة لتدريس الحكمة في الحوزات الدينية وقد كتبت عليها الكثير من الشروح ، «وكان الحيكم السبزواري حسن البيان والتقرير وتدريسه كان عن شوق وجاذبية وكان بالإضافة إلى مقاماته العلمية والحكمية صاحب ذوق عرفاني عظيم وكان صاحب مراقبة وانضباط وتديّن ، وسالكاً إلى الله . ومجموعة هذه الأوصاف هي التي جعلت تلاميذه يحبّونه بعشق شديد ، فلا مثيل له في جاذبيّته في التدريس وعلاقته بطلاّبه حتّى كان بعض تلامذته يذكرونه بعد أربعين عاماً (من وفاته) فيتأثّرون ويبكون لأجله»[2] . أمّا أستاذه الآخر فهو السيّد علي التستري الأخلاقي العظيم والفقيه الكبير الذي جلس ـ من بين أعاظم تلامذة الشيخ الأنصاري ـ على كرسي تدريس الشيخ

(١) الإسلام وإيران ٣ :٩٩ .
(٢) المصدر السابق : ١٧٠ .

الأعظم بعد وفاته وواصل بحثه الفقهي من حيث انتهى الشيخ الأنصاري قبل وفاته ؛ فوجدوه بحراً مواجاً في هذا الباب أيضاً ولكنّه لم يعمّر طويلاً بعد الشيخ حيث توفّي بعد ستّة أشهر[١] .

كان السيّد التستري يحضر دروس الشيخ الأنصاري في الفقه والأصول فيما كان الشيخ يحضر درس السيّد التستري في الأخلاق كل أسبوع ويدعو طلاّبه لحضور هذا الدرس والتزوّد من ثماره المعنوية وإزالة الصدأ عن القلوب ، وهذه من الحالات النادرة في التأريخ حيث تجتمع التلمذة والأستاذية لأحد تجاه شخص آخر فالشيخ كان أستاذ السيّد في الفقه والأصول وتلميذه في الأخلاق[٢] .

ويُنقل عن السيّد التستري إضافة إلى ما تقدّم العديد من الروايات الحاكية عن سموّ مقامه وعظم منزلته ويستفاد من قصة ينقلها العلاّمة الطباطبائي رضوان الله عليه أنّ الألطاف الغيبية قد تدخلت في نقل السيّد التستري نحو العرفان والسير والسلوك[٣] ؛ وكان المولى الهمداني أبرز تلامذته في السير والسلوك إلى الله تبارك وتعالى كما يستفاد ممّا ذكره المترجمون له .

إذن فالمولى الهمداني قد حظي بتوفيق الاستفادة من خير أساتذة العلوم الشرعية ، وتتلمذ في الفقه والأصول والحكمة والعرفان والسير والسلوك لصفوة وأساطين هذه العلوم في عصره ، ومن أعلامها على مدى التأريخ الإسلامي ؛ وجميع أساتذته تحلّوا ـ إضافة إلى مقاماتهم العلمية الشامخة ـ بالزهد والتقوى والكمالات المعنوية السامية ، فهو من جانب الأساتذة قد حظي بصفوة ممتازة وتوفّر له هذا العامل المهمّ في صياغة الشخصية بأفضل وجه ، إذ إنّ من المعروف أنّ للأستاذ تأثيراً بالغاً في صياغة شخصية التلميذ .

كما أنّ تنوّع اختصاصات هؤلاء الأساتذة وشمولها لكافّة فروع العلوم الشرعية اللازمة لصياغة الشخصية الدينية المتكاملة ، كان له التأثير البالغ في جامعية شخصية

---

(١) التوحيد العلمي والعيني ، مقدّمة السيّد الطهراني ، هامش الصفحة ١٤ ، نقلاً عن نقباء البشر ، وكذلك رسالة لبّ اللباب : ١٥٧ .

(٢) المصدر السابق ، ومجلّة «حوزة» الإيرانية ، العدد الأول : ٥٣ ، ورسالة لبّ اللباب : ١٥٦ .

(٣) نقلها ضمن دروسه العرفانية السلوكية ، رسالة لبّ اللباب : ١٥٤ ـ ١٥٦ . كما ينقل منوچهر صدوقي سُها العديد من الكرامات للسيد التسترتي تكشف عن سمو مقامه ، تأريخ حكماء وعرفاء متأخرين بر صدر المتألهين : ١٤٩ .

المولى الهمداني وجعلها شمولية متكاملة تتوفّر فيها كافّة متطلّبات الشخصية الإلهيّة وهذه الشمولية التكاملية انعكست في مدرسته التربوية بقوّة كما سنلاحظ لاحقاً ـ إن شاء الله ـ .

الكفاءات الذاتية للمولى الهمداني:

معلومٌ أنّ توفّر الأساتذة الماهرين لا يكفي وحده في صنع الشخصية العلمية القويّة أو الشخصية الإلهيّة الراسخة في العلم ، بل يستلزم الأمر أيضاً توفّر الأرضية المتقبّلة للتعليم والتربية التي يقدّمها الأساتذة الماهرون ، وهذا العامل مهمّ للغاية فهو الذي يحقّق ثمار جهود الأساتذة ، ولعلّ أوضح دليل على أهميّته هي الشكاوي الكثيرة التي سجّلها التأريخ والتي كان يطلقها الكثير من العلماء الربّانيين بشأن عدم عثورهم على أوعية صالحة تستفيد ممّا لديهم من علوم وتتقبّل جهودهم المخلصة في مجال التربية .

ويُستفاد ممّا نقلوه في ترجمة المولى الهمداني أنه كان يتحلّى بحظّ وافر حباه به الله تبارك وتعالى من الكفاءات الذاتية ومن الجدية الدؤوبة في استثمار هذه النعم الإلهية لتربية نفسه وتهذيبها وطي مدارج الرقي والتكامل الإنساني وقيادة الآخرين في هذا الطريق الإلهي .

وتوجد العديد من الشواهد الدالّة على الحقيقة المتقدّمة ؛ منها ذاك «النشاط الغريب» الذي طوى به المرحوم الهمداني المرحلة الدراسيّة ـ كما يقول العلاّمة الطهراني في ترجمته له ـ ، منها تنقّله في البلدان طلباً للعلم ، وهذا لا يتأتّى ـ خاصّة في ذلك الزمن الذي كان السفر فيه يشتمل على الكثير من المصاعب والأخطار ـ إلاّ لمن كانت له همّة عاليه وإصرار على الكدح لاكتساب المقامات، والكمالات العلمية والعملية خاصّةً إذا لاحظنا أنّ الشيخ كان من عائلة فقيرة ، الأمر الذي يزيد من صعوبة تلك الأسفار العلمية عليه ، ومنها دقّة اختياره للأساتذة الذين كان يلازم دروسهم فهي تكشف عن بصيرة ثاقبة تجلّى بها هذا الرجل الإلهي الجليل ، وغير ذلك من الشواهد الأخرى الناطقة فالحقيقة المتقدّمة .

وحيث إنّ الأستاذ المربّي عادة ما يكون الأقدر على تشخيص الكفاءات الذاتية لدى طلاّبه خاصّة الذين يتولّى تربيتهم وليس تعليمهم وحسب ، لذا نختار هنا شهادة من السيّد علي التستري الأستاذ العرفاني والمربّي السلوكي للمولى الهمداني رضوان الله

تعالى عليهما بحقّ تلميذه البارع كما ينقلها العلاّمة المتتبّع الشيخ آغا بزرك الطهراني في ترجمته للمولى الهمداني ، يقول قدس سره : «وكان أستاذه السيّد علي التستري ، وهو مشغوفٌ بتربيته وصقل نفسه يحسّ منه الاستعداد واللياقة لا ليهذّب نفسه فقط بل ليقود أمامه جمهوراً كبيراً ويبذر في أصحابه وأتباعه هذه الروح المركوزة . وقضية واحدة تعطينا صورة عن اهتمامه :

يُحكى أنّ طبيباً من مهرة الفنّ دخل النجف الأشرف زائراً وكان من أصحاب السيّد التستري ـ أستاذ المترجم له ـ ومريديه ، فقصد السيّد زائراً وكان المترجم له عند ذاك مريضاً ، فلمّا وقعت عين السيّد عليه ابتدره قائلاً : أقصد المدرسة السليمية أوّلاً فافحص بها ولداً لي أضناه السقم . فما كان من الطبيب إلاّ الامتثال . ولمّا جاءها ورأى المترجم له ، عاد إلى السيّد فقال : إنّ هذا الشيخ فقير ومرضه صعبٌ يحتاج (علاجه) إلى مال كثير ، فأجابه السيّد بقوله : ارجع إليه وعالجه على كلّ حال ، فلو صرفت عليه مائة تومان)وكان هذا المبلغ يومئذ كبيراً يكفي لشراء بيت واسع وكان يضرب به المثل للكثرة) وعاش ساعة واحدة واحدة كان خيراً ، والساعة من عمره أغلى من ذلك . انتهى .

وهذه الواقعة كافية لأن تعلمنا بما كان يعقده عليه أستاذه من الآمال ، وفي الحقيقة كان ينظر بنو ر الله ، فقد كان كما أمل رحمه الله ، وصدّق المترجم له ظنّ من تنبّأ فيه ، وقد أعاد ذكريات رجالنا الأبدال من السلف الصالح رضوان الله عليهم ، فهو بقية السلف لمعاصريه ، ومفخرة الخلف لنا»(١) .

إذن فشخصية المولى الهمداني هي وليدة كفاءات ذاتية قوية وهمّة عالية وجدّية بالغة في العمل والاستفادة من المواهب التي حباه الله تبارك وتعالى بها حيث أودعها خيرة أساتذة عصره والعلماء الربّانيين لصقلها وتهذيبها واكتسب منهم العلوم الإلهية وتسلّح بها لبلوغ المراتب السامية والكمالات العلمية والعمليّة فأصبح جديراً بتأسيس مدرسة تربوية إسلامية أصيلة كان لها التأثير البالغ في الحياة الإسلامية المعاصرة .

حوزة الهمداني مدرسة تربوية:

لقد أسّس المولى حسين قلي الهمداني مدرسة إسلامية متميّزة يصفها العلاّمة

(١) مقدّمة كتاب المراقبات ، نقلاً عن نقباء البشر ٢؟٦٧٤ .

الشهيد آية الله المطهري بقولعه : «إنّ حوزة دراسة المرحوم الآخوند (المولى حسين قلي) كانت حوزة تربية أكثر من التعليم ، حوزة لتربية الإنسان الأكثر كمالاً ، وقد تخرّج منها رجالٌ كبارٌ ويمكن التوصّل إلى سعة رقعة هذه التربية بمطالعة مواضع متفرّقة من كتاب نقباء البشر»(١) .

تميّزت الحوزة التي أقامها المولى الهمداني عن الحوزات الأخرى بغلبة الجانب التربوي فيها على الجانب التعليمي المحض وهو المتعارف في حوزات تدريس أو مجالس مواعظ أغلب الفقهاء والعلماء الآخرين رضوان الله عليهم أجمعين ، حيث تقتصر علاقة الأستاذ بالتلميذ فيها بالدرجة الأولى على إلقاء الدرس أو الموعظية والتعليم وتوضيح الإشكالات التي تبرز في ذهن الطالب فلا تشتمل على متابعة وضع الطالب لمعرفة مدى تأثير ما اكتسبه وما ألقي عليه من علم أو موعظة بهدف إعطاء المزيد ممّا يناسبه أو رفع الموانع التي تمنع بلوغه المراتب المطلوبة ؛ كما لا تشتمل على قيادته بصورة مباشرة ، لطيّ مدارج اكتساب الكمالات العلمية فضلاً عن الكمالات العملية ، أمّا حوزة الفقهي والعارف الهمداني فهي تربوية بالدرجة الأولى ، وتتّسع دائرة علاقة الأستاذ فيها بالطالب لتشمل ـ إضافة إلى التعليم والوعظ والإرشاد ـ المتابعة المباشرة لتقدّم حركة التلميذ وقيادته في طيّ مدارج الكمال ومعالجة العقبات والموانع والأمراض الروحية التي يمكن أن تعترض طريقه خلال ترقّيه في منازل السير والسلوك إلى الله تبارك وتعالى وتزويده بما يحتاجه في هذا الطريق وبما يناسبه حيث تختلف الاحتياجات من شخص لآخر بحكم اختلاف مقوّمات الشخصية وغلبة الطباع المختلفة والأمراض الطارئة .

المولى الهمداني كان يتولّى مباشرة تربية تلامذته الذين يقبلون على الاستفادة منه ويتابع تدرجهم في مراقي الكمالات ويهذّبهم ويزكيهم ويعلمهم إضافة لذلك الكتاب والحكمة قائماً بذلك بالمهمّة النبوية المقدّسة التي ورثها العلماء عن الأنبياء عليهم السلام ، يقول العلاّمة الطهراني في ترجمته له : « . . . على أنّه هذّب زمرة من تلامذته كانوا بعده نجوماً تزان بها سماء الفضيلة والعلم ، وأنا وإن لم أدرك فيض خدمته ، ولم يكتب لي التشرّف برؤيته حيث دخلت العراق ـ بعد وفاته بعامين ـ في سنة (١٣١٣) لكنني أدركت فريقاً كبيراً من تلاميذه الذين لازموه ليلاً ونهاراً حتّى حصّلوا ما أرادوا

---

(١) الإسلام وإيران : ٢/ ١٧٢ .

وحظوا بالسعادة الأبدية وقد طهرهم من أوزار هذه الحياة حتّى قرنوا بالعلم بالعمل ، فقد رأيت أثر تربيته الحسنة بيّناً عليهم بادياً في سيماهم .

وإجمالاً فإنّ له فضلاً كبيراً على أكثر علماء الطبقة التي تليه ممّن أدركنا فيض خدمته ووفّقنا للمثول بين يديه . . .» ثمّ نقل عن تلميذه السيّد حسن الصدر قوله في التكملة : « . . ويصلّي جماعة في داره ببعض خاصّته من المؤمنين الذين ربّاهم وأخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة وطهرهم بالرياضات الشرعية والمجاهدات العملية من كلّ دنيّة ، حتّى صاروا من عباد الله الصالحين السالكين في سبيله . . .»[١] .

مهمّة التزكية النبوية:

إذن ما كان يقوم به المولى الهمداني هو القيام بإحدى مهامّ العلماء ـ باعتبارهم ورثة الأنبياء ـ وهي تزكية الناس وتعليمهم الكتاب والحكمة كما ينصّ على ذلك القرآن الكريم[٢] ، وهداية ذوي الاستعدادات الخاصّة والأوعية القابلة وأصحاب الاجتهاد والجدّ في السعي للتخلّق بالأخلاق الإلهية ، وقيادتهم في طريق مراتب التكامل وتحقيق العبودية الحقّة التي ينصّ القرآن الكريم على أنّها الغاية من خلق الإنسان ، وذلك من خلال قيادتهم في منازل السير والسلوك إلى الله تبارك وتعالى .

ولعلّ هذه الميزة المهمّة التي امتازت بها حوزة المولى الهمداني وشمولية علاقة التلميذ فيها بالأستاذ باعتباره المربّي والقائد والدليل في طيّ مدارج الكمال وليس معلّماً فقط ، هي إحدى العوامل التي دفعت البعض إلى اتّخاذ موقف سلبي أو متحفّظ من هذه الحوزة التربوية المقتدية بالنهج النبوي في التزكية والتعليم ، حيث شبّهوها بالطرق الصوفية غير الأصلية التي جعلت شيخ الطريقة في مقام المعصوم والحجّة الإلهية في حين تعتبر مدرسة الهمداني التمسّك بالمعصومين شرط الوصول إلى أهداف السلوك الشرعي يُضاف إلى ذلك تبني هذه الحوزة ـ كسائر المدارس العرفانية والسلوكية الإمامية الأخرى ـ لبعض الأفكار والمصطلحات العرفانية ذات الأصول القرآنية المستخدمة لدى الطرق الصوفية . في حين أنّ من الواضح أنّ الاشتراك في

---

(١) مقدمة كتاب المراقبات ، نقلاً عن نقباء البشر .

(٢) الجمعة : ٢ ، والبقرة : ١٢٩ ، وغيرهما .

بعض الأفكار والممارسات بين فرقتين لا يعني بحال من الأحوال اتّحادهما وإلاّ للزم ذلك اتّحاد معظم الفرق الدينية لحتمية وجود مشتركات بينها ، بل المهمّ هو تمحيص الأفكار والممارسات وتمييز الصحيح منها عن السقيم أي العمل بالمقولة العلوية الشهيرة : «إعرف الحقّ تعرف أهله» وليس العكس .

وحقيقة الأمر أنّ مدرسة المولى الهمداني التربية والسلوكية تمتاز بخصائص مهمّة تميّزها عن غيرها وتحصّنها ـ شأنها شأن سائر الطرق النقية والمناهج العرفانية الإمامية الأصلية الأخرى ـ من الوقوع في الإنحرافات التي سقط فيها جهّال الصوفية الذين كافح المولى الهمداني وسائر تلامذته وأعلام مدرسته عقائدهم وممارساتهم المنحرفة عن الشرع مثلما فعل العارف الكامل الإمام الخميني[١] . وأستاذه العارف الكامل الشاه آبادي وسائر العرفاء الأنقياء رضوان الله عليهم أجمعين وحفظ الأحياء منهم .

وتأكيداً لهذه الحقيقة نذكر أبرز مميّزات هذه المدرسة السلوكية العرفانية النقية .

مميّزات مدرسة المولى الهمداني:

١ ـ التفقّة في الدين :

أولى وأهمّ مميزات المدرسة السلوكية للعارف الهمداني هي شدّة تأكيدها على الفقه والتفقّه في الدين الذي تؤكّد عليه النصوص الشرعية ببالغ الاهتمام ، وقد لاحظنا أنّ المولى الهمداني نفسه هو فقيه كبير بل من أكابر الفقهاء كما يصفه المترجمون له ؛ ؛ وقد لازم دروس خيرة أساتذة الفقه والأصول في عصره ؛ الشيخ الأنصاري رضوان الله عليه سنين طويلة وكتب تقريرات بحوثه وكان يدرسها أيضاً وله بحوث فقهية في القضاء والشهادات[٢] ويذكر المترجمون له أنّه كان يدرس يومياً هذه التقريرات بعد درسه الأخلاقي اليومي كما يذكر العلّامة الطهراني في نقباء البشر والسيّد حسن الصدر في التكملة ؛ بل ويُنقل أنّه كان لا يقبل بدخول أحد إلى حوزته السلوكية الخاصّة إلاّ بعد أن يبلغ رتبة الاجتهاد في العلوم الفقهية والأصولية .

---

(١) كما هو مشهود في مصنّفاته قدس سره ككتابي سرّ الصلاة وآداب الصلاة مثلاً ، راجع مثلاً الصفحة ٧٩ من كتاب آداب الصلاة ، طبعة مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني . ومن المفيد هنا أيضاً مراجعة فصل «أصناف المغرورين» من كتاب تذكرة المتّقين حيث هاجم الشيخ البهاري في نهايته العديد من انحرافات جهّال الصوفية وهذا الفصل يبيّن بعض مميّزات مدرسة المولى الهمداني السلوكية عنها .

(٢) طبع كتابه «القضاء» مؤخّراً في بيروت ، راجع صحيفة (جمهوري إسلامي) ، الصفحة ١٤ من عددها الصادر بتأريخ ٩/ إبيع الأول/ ١٤١٥هـ ق .

كما أنّ أستاذه في العرفان والسير والسلوك السيّد علي التستري هو أيضاً من كبار فقهاء الإمامية كما لاحظنا ، وهذا التشديد على تعلّم العلوم الفقهية والأصولية انعكس على طلبته بوضوح ، فإنّ جميع خرّيجي مدرسته السلوكية كانوا عرفاء وفقهاء كبار في نفس الوقت ؛ أي أنّهم طووا منازل السير والسلوك وبلغوا مراتب الولاية الإلهية السامية وأخذوا بهداية طلاّب الحقيقة إليها وكانوا في الوقت نفسه من كبار المجتهدين في الفقه والأصول ، وكان كثيرٌ منهم جديراً بمقام المرجعية الدينية والزعامة الشرعية لكنّهم ساروا على نهج أستاذهم الهمداني في عدم التصدّي للفتوى وعدم تطلّب الرئاسة حيث «كان على نهج السيّد ابن طاووس في القول والعمل حتّي في عدم الإفتاء وعدم التصدّي لشيء من أمور الرئاسة الشرعية حتى صلاة الجماعة»[١] ، وكلّ ذلك من أجل التفرّغ لإقامة حوزات تربوية معنوية وسلوكية لسدّ النقص الشديد في هذا الجانب .

فآية الله العظمى السيد أحمد الكربلائي كان مرشّحاً بقوّة لخلافة آية الله العظمى الميرزا محمدّ تقي الشيرازي ـ زعيم ثورة العشرين العراقية الشهيرة ـ في الزعامة العلمية والشرعية العامة قد أرجع الميرزا مقلّديه إليه في موارد الاحتياط مصرّحاً بأنه لا يجد أجدر منه في ذلك ، إلاّ أنّه رفض وامتنع وأرسل رسالة إلى الميرزا بهذا الخصوص أكّد فيها الطلب منه ـ بلغة قويّة ـ على عدم إقحامه في هذه المسؤولية[٢] ؛ ونفس الأمر يصدق على سائر أعلام هذه المدرسة[٣] أمثال آيات الله : الشيخ محمّد باقر البهاري صاحب «كتاب القضاء والشهادات في فقه الباقر» والمول محمّد البهاري والسيّد علي القاضي تلميذ السيّد أحمد الكربلائي المذكور وأستاذ العلاّمة الطباطبائي ، وكذلك آية الله الشيخ الزاهد علي القمّي الذي يقول عنه العلاّمة المتتبع آغا بزرك الطهراني : «اتّفقت كلمة أهل العلم والدين على أنّه أورع وأتقى وأعدل علماء عصره حتى لا يوجد بين الناس مَن يشكّ في ذلك وقد غطّت شهرته بالزهد والصلاح مكانته العلمية ومقامه

---

(١) كما ينقل العلاّمة آقا بزرك الطهراني عمّا أورده السيّد حسن الصدر في التكملة .

(٢) ينقل هذه الحادثة السيّد محمّد حسين الطهراني في مقدّمة كتاب التوحيد العلمي والعيني ضمن حديثه عن أحوال السيّد الكربلائي ، الصفحة ٢٥ ، انتشارات حكمت في طهران .

(٣) يصدق هذا الأمر حتى على المعاصرين منهم مثل آية الله العظمى الشيخ محمد تقي بهجت الرشتي وهو من مبرزي تلامذة السيد علي القاضي وأحد مراجع التقليد في مدينة قم المقدسة ، وآية الله العظمى الشيخ الوحيد الخراساني الذي حضر دروس أستاذه السيد علي القاضي في النجف الأشرف على مدى إثنني عشر عاماً .

الشامخ في الفقه والأصول ومن المؤسف أنّ هذا الظنّ قد تسرّب إلى بعض الأفاضل من الأعلام ومرجعه سكوته الطويل وعدم حبّه للظهور والادّعاء أو الدعوة للنفس . . .»[(١)] .

وينبع تأكيد مدرسة المولى الهمداني على التفقّه في الدين والاجتهاد في علوم الفقه والأصول من أهمية هذه العلوم كمفاتيح لفهم النصوص الشرعية وتشخيص ما ليس من الدين من الرياضات وأساليب المجاهدات الروحية ، ومن ثمَّ استخدام القواعد الفقهية والأصولية والملكة الاجتهادية التي تثمرها هذه العلوم كأدوات لاستنباط المناهج السلوكية والرياضات الشرعية والمجاهدات النقية والأدوية الإلهية للأمراض الروحية والعقبات التي تعترض طريق السالك إلى الله جلّ وعلا وغيره من الشؤون السلوكية من مصادر التشريع الإسلامي الأساسية مثلما هو المتعارف والمعمول به في استنباطات المجتهدين للأحكام الشرعية ضمن أبواب الفقه المتعارفة .

واستناداً للحقيقة المتقدّمة ندرك أنّ تأكيد مدرسة المولى الهمداني على الاجتهاد والتفقّه في الدين نابعٌ من كونه يمثّل ضمانة مهمّة لكي تكون المناهج السلوكية ـ بكلّ أساليبها ورياضاتها وعلاجاتها ـ هي التي أرادها الشرع الحنيف وليست تلك التي يمكن أن تفرزها العقول البشرية الناقصة التي يصعب أن تتخلّص من تأثيرات الأهواء وتسويلات الشيطان ـ وهو قاطع طريق السالكين إلى الله تبارك وتعالى ـ كما سقطت في ذلك العديد من الطرق الصوفية وجهالها من أصحاب البدع .

أي أنّ التأكيد على ضرورة التفقّه في الدين ـ في هذه المدرسة السلوكية ـ إنّما يهدف إلى أن تكون المناهج السلوكية مستنبطة من قناة الوحي الإلهي والشريعة الخاتمة أي ضمان أن يكون السلوك إلى الله تعالى على أساس المناهج النقية الموصلة إليه عزّ وجلّ حقّاً وليس إلى :الأرباب المتفرّقين : وما هم إلاّ ﴿ . . . **أسماء سمّيتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان** . . .﴾[(٢)] .

٢ ـ التمسّك بأحكام الشرع وآدابه :

وقد أفرزت ميزة التأكيد على التفقّه في الدين ـ في مدرسة المولى الهمدانية

---

(١) راجع كتاب أعلام الشيعة (نقباء البشر) ٤ : ١٣٢٦ .

(٢) النجم : ٢٣ ، ويوسف : ٣٨ و٣٩ .

السلوكية ـ ميزةً مهمّة أخرى بارزة فيها ، وهي تأكيدها المشدّد على التمسّك بأحكام الشريعة وكافّة آدابها ومستحبّاتها ، فهي تعتبر التمسّك بظواهر الشريعة والقيام بالفرائض والمستحبّات واجتناب المعاصي والمكروهات ، تمسّكاً بالصراط المستقيم المؤدّي إلى الوصول إلى الحقائق العرفانية وطي المنازل السلوكية والتخلّق بأخلاق الله ، وتؤكد أنّ أي تهاون في ذلك هو انحرافٌ عن الصراط المستقيم لذا فهو لا يزيد صاحبه إلاّ بعداً عن الله تبارك وتعالى بدلاً من أن يقربه إليه .

والتأكيد على هذا المعنى نجده متكرّراً بقوّة في وصايا ورسائل المولى الهمداني وسائر أعلام مدرسته السلوكية ، فهو يقول في إحدى رسائله المنشورة في كتاب «تذكرة المتّقين» : «لا سبيل للتقرّب من حضرة ملك الملوك جلّ جلاله سوى الالتزام بالشرع الحنيف في كافة الحركات والسكنات والتكلّمات واللحظات وغيرها ؛ وسلوك الخرافات الذوقية ـ وإن كان الذوق في غير هذا المقام جيّد ـ لا يوجب إلاّ بعداً (عن الله) كما هو دأب الجهال والصوفية ـ خذلهم الله جلّ جلاله ـ ، وليعلم الذي يؤمن بعصمة الأئمّة الأطهار عليهم السلام أنّه سيبتعد عن الحضرة الأحدية حتّى لو التزم بمثل عدم حلق الشارب وعدم أكل اللحم ؛ ونفس الأمر يصدق على كيفية الذكر بغير ما ورد عن السادات المعصومين عليهم السلام إذا عمل بها ؛ وبناءً على هذا فعليه (السالك إلى الله) أن يقدّم الشرع الحنيف بما اهتمّ به»[(١)] .

وبلغت شدّة تأكيد المولى الهمداني على هذا الجانب حدّاً أنّه كان يأمر بوقوف رجل على باب داره ـ حيث كان يلقي دروسه التربية وكان قد أعدَّ له مرآةً ومقصاً ليقص شارب الذين يتشبّهون بالصوفية في إطلاق شواربهم من الذين يريدون زيارته كما نقل ذلك أحد أحفاده[(٢)] .

واستناداً إلى ذلك لم تكن تخرج توجيهات المولى الهمداني لطلاّبه ومريديه عن دائرة ما ورد في القرآن الكريم من أذكار ـ كذكر «اليونسية» الذي كان يوصي به طلاّبه كثيراً وهو تسبيح نبي الله يونس عندما كان في بطن الحوت وهو يودّي إلى رفع الغمّ

---

(١) كتاب تذكرة المتقين : ١٧٧ . انتشارات نور فاطمة ، والكتاب يشتمل على طائفة من الوصايا والرسائل السلوكية للشيخ محمّد البهاري والسيّد أحمد الكربلائي ـ من أبرز تلامذة المولى الهمداني ـ إضافة إلى بعض رسائل الهمداني نفسه .

(٢) راجع صحيفة (جمهوري إسلامي) الإيرانية الصادرة بتأريخ ٩/ ربيع الأول/ ١٤١٥ ، الصفحة ١٤ .

والخلاص منه كما يصرح بذلك القرآن الكريم في سورة الأنبياء[١] كما لم تكن تخرج عن دائرة ما ورد في الأدعية المروية عن أهل بيت العصمة ، ولم تكن تخرج سائر وصاياه عن إطار الآداب الواردة في الشرع المقدس بشأن آداب المعاشرات، والنوم والطعام والتهجد والعبادات وغير ذلك من الشؤون الفردية والاجتماعية ، فهو كان يوجه السالكين ويوصيهم ـ كلاً حسب استعداده ومستواه ـ إلى ما يناسبهم من الآداب الشرعية في مختلف المجالات المذكورة ، وإلى ما ورد في كتب الآداب الشرعية والأدعية المروية عن أهل بيت العصمة ككتب السيّد جمال الدين بن طاووس والفيض الكاشاني ـ وخاصة كتابه منهاج النجاة ـ أو الشيخ بهاء الدين العاملي وخاصة كتابه «مفتاح الفلاح» .

ويُلاحظ هنا أنّ سائر أعلام هذه المدرسة السلوكية كانوا من المتعبّدين بصدق بالشريعة ومن المجتهدين بالإلتزام بآدابها الشرعية ، العلّامة الطباطبائي مثلاً يوصف بأنّه «لم يرتكب مكروهاً في حياته» وأستاذه السيّد علي القاضي كان يحرص على الإلتزام بكافّة المستحبّات الشرعية وكذلك كان حال تلميذه الجليل السيّد هاشم الحدّاد[٢] .

أجل أكّدت مدرسة المولى الهمداني السلوكية على عدم قصر الهمة على ظواهر الفرائض والآداب الشرعية والإتيان بها على الوجه الظاهري الصحيح فقط بل هي تدعو أيضاً ـ إلى جانب التأكيد على التقيّد الكامل والسليم بهذه الظواهر ـ إلى السعي باتّجاه الحصول على حقائقها ومعرفة أسرارها والتحقّق بها قلبياً مثلما يتحقّق البدن ظاهرياً بها ، وتجسيدها وجدانياً لأنّ ذلك هو لبّها ومضمونها الأساسي والهدف المراد منها والظواهر هي أبواب الوصول إلى ذلك .

فمثلاً عندما تدعو إلى أداء السجود وفق الصورة المحدّدة شرعاً والمعبّرة عن أقصى أشكال الخضوع لله تبارك وتعالى تؤكّد أيضاً على ضرورة السعي لتجسيد حقيقة هذا الخضوع قلبياً ووجدانياً والتقرّب إلى الله تبارك وتعالى بذلك فهذا هو الهدف الأساسي

---

(١) الآيتان ٨٧ ، ٨٨ وهذا الذكر وارد عن أهل بيت العصمة في العديد من الموارد كالدعاء الوارد بعد التكبيرة الثالثة من التكبيرات المستحبة قبل تكبيرة الإحرام كما ورد في كتاب مفتاح الفلاح للشيخ البهائي ، وورد الأمر بقراءة هاتين الآيتين في صلاة الغفيلة الوارد استحباب إقامتها بعد صلاة المغرب .

(٢) راجع كتاب «روح مجرد» للسيد محمد حسين الطهراني : ١١٠ ـ ١١١ انتشارات حكمت .

من تشريع السجود وحقيقته ولبّه كما يصرّح بذلك القرآن الكريم حيث يقول ﴿**كلاّ لا تُطعْهُ واسْجَدْ وَاقْتَرِبْ**﴾[١] .

وعلى هذا الأساس اهتمّت مدرسة المولى الهمداني السلوكية ـ انطلاقاً من تأكيدات النصوص الشرعية ـ بتوجيه السالكين إلى الله تعالى والساعين للتقرّب منه إلى تجسيد حقائق ما تريده العبادات والآداب والأذكار الشرعية وسائر الطاعات والأعمال الصالحة ـ وهي وسائل السلوك ـ ؛ وهذا الاهتمام ملحوظٌ في رسائل ومصنّفات ووصايا سائر أعلام هذه المدرسة العرفانية كما هو مشهودٌ ـ مثلاً ـ في المنقول من رسائلهم ـ وخاصة الشيخ محمّد البهاري ـ في كتاب تذكرة المتّقين . وكذلك في كتابي أسرار الصلاة والمراقبات للميرزا جواد الملكي[٢] .

٣ ـ التقوى واجتناب المعاصي :

وتأسيساً على الميزة السابقة تجلّت في مدرسة الفقيه الهمداني العرفانية ميزة أخرى بارزة وهي التأكيد ـ على ما أكّده الشرع الحنيف ـ من التمسّك بعرى التقوى واجتناب المعصية وهي تعتبر ذلك أمراً لازماً لا يتحقّق السلوك إلى الله تعالى بدونه لأنّ المعصية هي قاطعة طريق هذا السلوك ؛ يقول المولى الهمداني في إحدى رسائلة التربوية : «وما فهمته أنا الضعيف من العقل والنقل (أي القرآن والسنّة) أنّ أهمّ شيء لطالب القرب الإلهي هو الجدّ والاجتهاد الكامل في ترك المعصية ؛ فإذا لم تقم بهذه الخدمة فلن ينفع قلبك شيء لا ذكرك ولا تفكّرك . . فافهم ممّا ذكرت لك أنّ طلبك المعرفة الإلهية مع كونك مرتكباً للمعصية أمرٌ فاسدٌ جداً وكيف يخفى عليك كون المعصية سبباً للنفرة وأنّ النفرة مانعة الجمع مع المحبّة؟ !

وإذا تحقّق عندك أنّ ترك المعصية أوّل الدين وآخره وظاهره وباطنه فبادر إلى المجاهدة واشتغل بتمام الجدّ في المراقبة من أوّل قيامك من نومك في جميع آناتك إلى نومك والزم الأدب في مقدس حضرته واعلم أنّك بجميع أجزاء وجودك ذرّةً ذرّةً أسير قدرته وراعي حرمة شريف حضوره وأعبده كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك . . .»[٣] .

---

(١) العلق : ١٩ .

(٢) وبالطبع فإن التأكيد على العمل بالآداب الشرعية ـ في منهج الفقيه الهمداني مقرونٌ بالتأكيد على تطهير النفس من الأخلاق الذميمة والتحلي بالأخلاق الفاضلة لكي تكون العبادات وسائر وسائل السلوك مؤثرة في روح السالك .

(٣) كتاب تذكرة المتّقين : ١٧٧ ـ ١٧٨ .

ويقول رضوان الله عليه في رسالة أخرى لأحد مريده : « . . . إنّ جميع وصاياي لك ـ أنا المسكين ـ هي الاهتمام بترك المعصية ولو قمت بهذه الخدمة فإنّها ستوصلك في النهاية إلى مقامات سامية ؛ فلا تقصّر ـ أبداً أبداً ـ في اجتناب المعصية وإذا وقعت فيها ـ لا سمح الله ـ فبادر للتوبة فوراً وأقم ركعتي صلاة استغفر بعدها سبعين مرّة ثمّ اسجد واطلب العفو من الله عسى أن يعفو عنك ، والمعاصي الكبيرة مذكورة في بعض الرسائل العملية فتعلّمها واجتنبها . . . »[1] .

وقد خصّص رحمه الله معظم هذه الرسالة للحديث عن سبل اجتناب المعاصي وهي الأساليب التي تذكرها النصوص الشرعية ـ قرآناً وسنّة ـ لترسيخ حالة الورع عن المعاصي لدى الإنسان ؛ وهذا الهدف ملحوظ في سائر رسائله ووصاياه الأخرى وكذلك وصايا تلامذته وسائر أعلام مدرسته .

٤ ـ التمسّك بولاية أهل البيت النبوي عليهم السلام :

ومن المميّزات الأخرى التي تميّز المدرسة السلوكية للمولى الهمداني هي شدّة التمسك بعرى أهل بيت النبوة وموضع الرسالة إلى جانب التمسّك الحقيقي بالقرآن الكريم ، وفي ذلك تجسيدٌ للالتزام العملي بوصية سيّد الرسل صلى الله عليه وآله الأخيرة التي ترجمها في حديث الثقلين الشهير والمتواتر بين جميع طوائف المسلمين ، حيث ينصّ على لزوم التمسّك بكلا هذين الثقلين لأنّهما معاً «لن يفترقا» يشكّلان ضمانة النجاة من الانحرافات عن الصراط المستقيم ولأنّهما معاً وسيلة الوصول إلى القرب الإلهي .

وتتجلّى هذه الميزة بكلّ وضوح في مدرسة المولى الهمداني التي تجعل التمسّك بعرى ولاية أهل بيت العصمة شاملاً لكافة مجالات حياة وحركة السالك إلى الله تبارك وتعالى ؛ بل تبلغ الغاية القصوى من التشديد على هذا الأمر حتّى نجد المولى الهمداني نفسه يؤكّد عدم جدوى حتّى الأذكار التي لم ترد عن السادة المعصومين عليهم السلام في التقريب من الله تبارك وتعالى بل على العكس إنّها تزيد عنه تعالى بعداً[2] ؛ وهذا

(١) المصدر السابق : ١٩٦ .
(٢) المصدر السابق : ١٧٧ .

يعني حصر الوصول إلى الله تعالى بهم : «مَن أراد الله بدأ بكم ، ومن وحده قبل عنكم . . .»[1] .

وحيث إنّ هذا التمسّك بولاية أهل البيت يستند إلى أصول عقائدية راسخة في هذه المدرسة السلوكية ترجع إلى الإيمان العملي بعصمتهم وإلى نظرة عرفانية عميقة لدورهم عليهم السلام كوسائط لنقل الفيض الإلهي إلى الخلائق أجمعين ؛ لذا نجد حضور التمسّك الولائي في المناهج التربوية لهذه المدرسة العرفانية حضوراً قوياً وراسخاً أيضاً يشمل كافة مجالات حركة السلوك إلى الله تبارك وتعالى .

فالتوجيهات والأذكار والآداب والأدعية ومجالات التفكير الممدوح و الرياضات وأساليب المجاهدات وغيرها من الشؤون السلوكية التي نجدها في رسائل وكلمات المولى الهمداني وأعلام مدرسته مأخوذة من القرآن والأحاديث الشريفة الواردة عن أهل بيت العصمة النبوية ؛ ونفس الأمر يصدق على جانب «السير العرفاني» والأفكار والحقائق العرفانية فهي نتاج التدبّر في الآيات المليئة بالحقائق العرفانية فيما ورد عنهم عليهم السلام في هذا الباب . وهذا من أبرز المصاديق العملية الحقيقية لموالاة أهل البيت .

كما أنّ المشهود في هذه المدرسة شدّة تأكيدها على الاتّصال الروحي المستمرّ بهم عليهم السلام والاستمداد المستمرّ من ذواتهم المقدّسة لا فرق في ذلك بين حياتهم ومماتهم كما يشير إلى ذلك المولى محمّد البهاري أبرز تلامذة المولى الهمداني في فصل آداب الزيارة من كتاب تذكرة المتّقين حيث يؤكّد على زيارتهم لأنّ «نسيم ألطاف هؤلاء العظماء ورشحات أنوارهم تصل لزائريهم وقاصديهم خصوصاً للخلّص من قاصديهم ، لذا فينبغي للزوّار زيارتهم بنيّة تجديد العهد معهم وإعلاء كلمتهم وإرغاماً لأنوف أعدائهم وبنيّة زيارة المؤمن خالص الإيمان وبرجاء الاستشفاع بهم لمغفرة الذنوب والحصول على فيوضاتهم العظمية ؛ مع الالتزام بالآداب المذكورة في كتب المزار . .»[2] . كما أنّ هذا الارتباط المستمرّ والوجداني مشهود بقوّة في الوصايا التربوية للمولى جواد الملكي التبريزي خاصّةً في كتابه «المراقبات» حيث يؤكّد باستمرار على الاستشفاع بخفراء كلّ يوم من المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين .

---

(١) دكما ورد في الزيارة المروية عن الإمام الهادي عليه السلام في كتابي من لا يحضره الفقيه ، وعيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق ، الصفحة ٥٤٨ من كتاب مفاتيح الجنان المعرب ، طبعة قم .

(٢) تذكرة المتّقين : ٤٣ .

وهذا الارتباط القوي بولاية المعصومين ظاهر بقوّة في السيرة العملية لسائر أعلام هذه المدرسة السلوكية ، وهو يتأكّد أكثر بالنسبة لإمام الزمان الحجّة بن الحسن العسكري عجّل الله تعالى فرجه ؛ والشواهد على ذلك كثيرة نشير منها إلى الحادثة المؤثّرة التي يرويها السيّد محمّد حسين الطهراني بشأن العارف الكامل السيّد أحمد الكربلائي وتوسّله المؤثّر بصاحب الزمان عند مقامه في مسجد السهلة[(١)] ؛ وما ينقله عن العارف الجليل السيّد هاشم الحدّاد ـ من أبرز تلامذة السيّد علي القاضي ـ من قوله : «عمياء كلّ عين تصبح ولا تكون نظرتها الأولى لصاحب الزمان»[(٢)] .

بل استناداً إلى النظرة العرفانية ـ المستنبطة من القرآن والسنّة ـ التي أقاموا عليها الكثير من الأدلّة العقلية الحكمية والبراهين الشرعية والتي تتبنّاها هذه المدرسة فإنّ الوصول إلى المقامات السلوكية العالية ومراقب القرب السامية محالٌ تحقّقه بصورة حقيقية بدون ولاية أهل بيت العصمة النبوية ، فمثلاً كان آية الله السيّد علي القاضي ـ من أبرز أعلام مدرسة الهمداني السلوكية ـ يؤكّد أنّ من المحال أن يصل أحدٌ إلى مرتبة الكمال دون أن تكون حقيقة ولاية أهل البيت قد انكشفت له ويقول : «الوصول إلى التوحيد (الحقيقي) ممكنٌ فقط عن طريق الولاية ؛ والولاية والتوحيد هما حقيقة واحدة وعليه فإنّ كبار المعروفين والمشهورين من عرفاء أهل السنّة إمّا أنّهم كانوا يعملون بالتقية فهم شيعة في الحقيقة وإمّا أنّهم لم يصلوا إلى الكمال (حقيقة)»[(٣)] .

والمعنى المتقدّم يمكن استنباطه بيسر من العديد من فقرات الزيارة المروية عن الإمام الهادي عليه السلام والمعروفة باسم الزيارة الجامعة الكبيرة بل هذا هو ما تصرّح به ؛ والزيارة يصفها العلاّمة المجلسي بأنّها من أفضل نصوص الزيارات المروية التي يُزار بها الأئمة عليهم السلام متناً وسنداً[(٤)] وكان الكثير من العلماء الربّانيين ـ كالإمام

---

(١) الحادثة ينقلها السيّد الطهراني في مقدّمة كتاب التوحيد العلمي والعيني ضمن حديثه عن أحوال السيّد الكربلائي : ٢١ ـ ٢٣ ، ويقول السيد الكربلائي في رسالة تربوية لأحد تلاميذه : «وعليه (السالك) بالمواظبة المستمرّة على دوام التوجّه والتوسّل بالإمام الحجّة عجّل الله فرجه وهو واسطة الفيض (الإلهي) في هذا الزمان ، وأن يتلو بعد كلّ صلاة دعاء عصر الغيبة «اللهم عرفني نفسك . . .» وإهداء (ثواب) تلاوة سورة التوحيد ثلاث مرّات له عليه السلام ولا يترك تلاوة دعاء الفرج . . .» تذكرة المتّقين : ١٦٠ .

(٢) كتاب «روح مجرّد» : ٤٨٤ .

(٣) المصدر السابق : ٣٨٦ .

(٤) مفاتيح الجنان المعرّب : ٥٥٠ .

الخميني ـ يواظبون على تلاوتها في مراقد الأئمّة كما أكّد على الإلتزام بتلاوتها أيضاً الإمام المهدي المنتظر عجّل الله فرجه[١] .

٥ ـ **التوحيد الخالص :**

تعتبر مدرسة المولى الهمداني العرفانية الوصول إلى مرتبة التوحيد الحقيقي الخالص هدفاً أساسياً للحركة السلوكية كما وردت الإشارة لذلك في قول السيّد علي القاضي المنقول آنفاً ، ونفس الأمر ملحوظ في سائر ما ورد عن أعلام هذه المدرسة السلوكية ؛ وهي ترى في الوصول إلى هذه المرتبة تحقّق الغاية الأساسية من خلق الإنسان وهي الوصول إلى مرتبة العبودية الحقّة : ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الجنَّ والإنْسَ إلا ليَعْبُدون**﴾ وقد فسّرت الأحاديث الشريفة العبادة هنا بمعرفة الله[٢] .

وهي تعتبر أنّ من الضروري للسالك إلى الله أن يجعل سعيه وهمّته في طلب الله وحده بالذات ، وكلّ ما سواه يكون مطلوباً بما هو وسيلة إليه وليس على نحو الاستقلال وإلاّ كان شركاً يبعد عن الله ويسوق إلى الأرباب المتفرّقين ، يقول آية الله العارف الكبير والفقيه البارع السيّد أحمد الكربلائي في إحدى رسائله التربوية : «ولا يخفى على طالب الحقّ جلّ وعلا أنّ سائر الأشياء والموجودات سوى الحق جلّ وعلا هي في معرض الفناء والزوال ، ولهذا فهي غير جديرة بأن تطلب (لذاتها) ـ أي أن يطلب الممكن بما هو ممكن ـ ، فكلّ موجود لا ينفع ولا يفيد شيئاً باستثناء الحقّ جلّ وعلا هي في معرض الفناء والزوال ، ولهذا فهي غير جديرة بأن تطلب (لذاتها) ـ أي أن يطلب الممكن بما هو ممكن ـ ، فكلّ موجود لا ينفع ولا يفيد شيئاً باستثناء الحقّ جلّ وعلا ، فكلّ شيء تفرضه غيره تعالى فهو ممكن لذا فهو محتاجٌ من جميع الجهات لله جلّ وعلا وفي قبضة قدرته جلّ وعلا ؛ ولذا فلا يوجد لا في الأرض ولا في السماء ولا في الدنيا ولا في الآخرة موجود جدير بأن يطلبه العاقل العالم سوى الحق جلّ وعلا . وإذا طلب العاقل غيره فطلبه هو ـ بالضرورة واليقين ـ ليس لذاته بل لغيره ، كطلب الدين والإيمان والآخرة ومحبّة الحقّ جلّ وعلا ومعرفته وكذلك محبّة ومعرفة حبيبه ووليّه ـ كالنبيّ صلى الله عليه وآله وأئمّة الهدى عليهم السلام ـ والعبودية له (الله

(٣) كما ورد في قصّة لقاء السيّد الزاهد الصالح أحمد الموسوي الرشتي بصاحب العصر عجّل الله فرجه حيث أوصاه بالمواظبة على تلاوتها ، راجع مفاتيح الجنان : ٥٥٠ ـ ٥٥١ .

(١) راجع الأحاديث الشريفة الواردة في تفسير الآية (٥٦ من الذاريات) في تفاسير البرهان ومجمع البيان والميزان وغيرها .

تعالى) وطاعته وطاعتهم عليهم السلام وطلب الرضا والتسليم وسائر الأخلاق والملكات الحميدة ؛ فحبّ هذه وطلبها ومنفعها هي باعتبار نسبتها إليه جلّ وعلا وليس بالذات في نفسها .

لذا ينبغي للعاقل أن يصرف بصره وهمّته عن طلب الأشياء ويحصر همّة طلبه في الله جلّ وعلا وبذاته وبنفسه بمقتضى (قوله) : ﴿قل الله ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾[(١)] . . . لهذا لا شأن لطالب الحقّ بغير القلب ومالكه ؛ أجل يجب عليه ـ من باب المقدّمة ـ تطهير القلب وتنظيه من الأرجاس والأنجاس أي من الأخلاق الرذيلة ؛ بل ومن كلّ ما سوى الحقّ جلّ وعلا وهذا ما يُعبّر عنه بتخلية القلب ، ثمّ تصفيته وصقله بالطاعات والعبادات والصفات الحسنة والأخلاق الكريمة لكي يحصل على أهلية ظهور الحق جلّ وعلا وحضوره فيه وهذا ما يعبّر عنه بالتجلية والتحلية . . .»[(٢)] .

والنصّ المتقدّم معبّر للغاية عن شدّة رسوخ الصبغة التوحيدية في مدرسة المولى الهمداني ـ وما ورد فيه يستند إلى أصول قرآنية ونقلية وبراهين حكمية وعرفانية غاية في المتانة ـ فهذه المدرسة الولائية التوحيدية تسعى لتحطيم كافة أشكال الشرك ومصاديقه الظاهرة والخفية وتربية السالكين ـ عملاً بالنهج القرآني ـ على الابتعاد عنها وإخلاص تحركهم وعبوديتهم لله تبارك وتعالى وتجسيد التوحيد الخالص البعيد عن كل الشوائب والأوثان النفسية الظاهرة منها والخفية .

لقد أكّدت مدرسة المولى الهدماني على أنّ الوجود الحقيقي المستقلّ مختصّ بالذات الإلهية المقدّسة وكلّ الموجودات الأخرى هي مظاهر ليس لها وجود مستقلّ بذاتها فهي قائمة بالله تبارك وتعالى ، وهذا بالطبع لا ينفي عنها الوجود الاعتباري غير الاستقلالي ولا يعني أنّ هذه الشجرة بوجودها التعيني المادي هي ـ والعياذ بالله ـ الله تبارك وتعالى ـ كما يمثل لذلك العارف الكامل الإمام الخميني قدس سره لتوضيح هذه الفكرة[(٣)] ـ يل يعني أنّها قائمة بالقدرة الإلهية وهي وحدها القدرة الحقيقية : «ولا مؤثر في الوجود

(١) الأنعام : ٩١ .

(٢) تذكرة المتّقين : ١٦٣ ـ ١٦٦ .

(٣) راجع المحاضرة الخامسة من محاضرات الإمام الخميني قد سره في تفسير سورة الحمد ، الصفحة ١٠٧ من الطبعة المترجمة التي نشرتها دار الهادي البيروتية تحت عنوان «تفسير آية البسملة ـ محاضرات معرفية» وقدوضّح الإمام في هذه المحاضرة الفكرة مورد الحديث بأبلغ بيان ، ويقول الشيخ محمّد البهاري ناقلاً عن المولى الهمداني : «لكن أستاذنا رضوان الله عليه (يقصد المولى الهدماني) كان يقول دائماً لأصحابه : لا=

إلالله الله» لأنّ الله وحده هو الوجود الحقيقي المستقلّ وما عداه وجود ظلّي غير مستقلّ والأثر التربوي لهذه الفكرة العرفانية القرآنية هو جعل السالك والمؤمن يتوجّه بكلّ وجوده إلى الله تعالى الذي يجده معه أينما كان والذي يراه في كلّ شيء .

لقد اهتمّت مدرسة العارف الهمداني بتركيز التوحيد الخالص والدفاع عنه بكلّ قوّة حتّى أصبح يمثّل ميزة بارزة فيها وبيّنت أبعاداً عميقة مهمّة من التوحيد الإسلامي استناداً إلى الآيات الكريمة وخطب مولى الموحدين الإمام علي عليه السلام وأحاديث الأئمة المعصومين في التوحيد ، وبيّنت المرامي العميقة لهذه النصوص ؛ ونقلت الحركة العرفانية في هذا الجانب التوحيدي الخالص إلى مراتب سامية متقدّمة ؛ يقول العلاّمة والعارف القرآني السيّد محمّد حسين الطباطبائي في وصف المولى الهمداني : «كان المرحوم الآخوند لا نظير له في مسلك توحيد الحقّ تبارك وتعالى»[١] ، «وكان نموذجاً شاخصاً في الأخلاق ومجاهدة النفس والوصول إلى المعارف الإلهية وهو من نوادر الدهر في ذلك . . .»[٢] .

٦ ـ القيام بمسؤوليات الحضور الاجتماعي والسياسي :

إلى جانب ما عُرف به أعلام مدرسة المولى الهمداني من الإعراض عن الدنيا والزهد في زخارفها ، ومن عدم الرغبة في الظهور وفي المقامات الدنيوية إيثاراً للآخرة عليها ؛ فالملاحظ أنّهم كانوا يقومون بخدمات اجتماعية ، جليلة ، للناس في مجال الهداية والتربية المعنوية بل وعموم الخدمات لخلق الله بما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .

وهذه الخصوصية ناتجة من شمولية التزامهم بالشرع الإسلامي المقدّس الذي يربّي أتباعه على العطاء والاندفاع في تقديم الخدمات المعنوية والمادية للناس ، كما أنها ناتجة

= ينبغي أبداً لأحد الخلط ، فممكن الوجود لا يتحوّل إلى واجب الوجود أصلاً فهذا محال» راجع تذكرة المتّقين : ٨٦ ، ويستفاد من تكراره لهذه المقولة حرصه على دفع هذا الوهم والدفاع عن التوحيد الخالص ، وقد هاجم الشيخ البهاري ضمن فصل أصناف المغرورين من كتاب تذكرة المتقين (الصفحات ٨٣ ـ ٨٦) بعض المغرورين لسقوطهم في هذه المطبّات والأفكار المنحرفة لجهّال الصوفية وممارسة الرياضات الروحية التي لم ترد في الشرع .

(١) كتاب «مهر تابان» للسيد محمد حسين الطهراني : ١٣٩ .

(٢) رسالة لبّ الألباب : ١٥٧ .

من الإطار العامّ للحركة السلوكية العرفانية الذي يدعو السالكين إلى التخلّق بأخلاق الله . ومن أبرز الأخلاق الإلهية المقدسة الجود والكرم والعطاء غير المحدود للناس ؛ يضاف إلى ذلك أنّ النظرة العرفانية القرآنية الراسخة في هذه المدرسة تعتبر أنّ كلّ ما في الوجود ملك لله عزّ وجلّ وما سواه وسائل لنقل فيضه وعطائه للناس . وخير هذه الوسائط هو «من نفع الناس» ؛ يقول المولى الهمداني في إحدى رسائله التربوية : «وليجتهد (السالك) في السعي البليغ لقضاء حوائج المسلمين . .»[١] ، ويقول تلميذه العارف محمّد البهاري في رسالة تربوية لأحد علماء آذربيجان : «إعلم أنّه قد ورد أنّ العلماء ورثة الأنبياء ، ولا شكّ ولا ريب أنّ المراد من هذا الإرث ليس هو الدراهم والدنانير بل المراد هو النبوّة وتبليغ الأحكام وإرجاع العامّة من الطرق المعوجّة إلى الجادّة المستقيم وصونهم فيها مهما أمكن فعلى هذا لا بدّ للعالم من مراعاة أمور كي تتحقّق هذه الوراثة . . منها أن لا يقعد في بيته مع ما يرى من مواظبة الناس على المنكرات الواضحة إن كان قادراً على دفعها باجتماع شرائطه ، وترتيب ذلك أنّه يجب عليه أوّلاً أن يبدأ بإصلاح نفسه بالمواظبة على فعل الطاعات وترك المحرّمات ثمّ بتعليم أهله وأقاربه ثمّ جيرانه ثمّ أهل سوقه . . . ثمّ أهل محلّه وبلدته ثمّ السواد المكشف له ثمّ أهل القرى والبوادي وهكذا إلى أقصى العالم بما يسعه ذلك . . . ومنها أن يكون صابراً محتسباً كما كانوا (الأنبياء) صابرين في جفاء المخلوق ويكون محتسباً يتحمّل كلّ الأذى الذي يصيبونه به ويتقبّله بطيب خاطر قائلاً : «إهد قومي إنّهم لا يعلمون» لا أن يكون الناس على حذر منه مخافة أن يصيبهم أذاه ، فكم الفرق بين ذلك وبين أن يكون ملجأً وملاذاً للمسلمين حقيقة في موارد حاجاتهم وابتلاءاتهم . . . ومنها أن لا يكون له هم وغرضٌ في جميع حركاته وسكناته إلاّ اهتداء الناس وتشرّعهم (التزامهم بالشرع) بأي سبب حصل وبأي حيلة تحقّق وبيد كلّ من جرى هذا الأمر (على يده) صغيراً كان أو كبيراً وضيعاً أو شريفاً وإن كان في الباطن هو السبب لكن الأمر يتمّ باسم غيره في الظاهر فلا ضير من ذلك ما دام الهدف قد تحقّق . .»[٢] .

وواضحٌ من النصّ المتقدّم أنّ الإحساس بالمسؤولية الشرعية هو الدافع لهذا الحضور الفاعل في الوسط الاجتماعي وتقديم الخدمات المعنوية والماديّة لخلق الله ، وما دام الأمر

(١) تذكرة المتّقين : ١٨٠ .

(٢) المصدر السابق : ١٠٦ ـ ١٠٨ .

كذلك فإنّ هذا الحضور يصبح عاملاً من عوامل التكامل والتقرّب إلى الله تبارك وتعالى لأنّه قيامٌ بواجب شرعي بل ومن أعظم القربات والطاعات كما تؤكّد على ذلك الكثير من النصوص الشرعية التي تصف بعض ثوابه بأنّه خير للإنسان من أن يملك كلّ ما طلعت عليه الشمس كما ورد في الوصيّة النبوية الشهيرة لمولى الموحّدين الإمام علي عليه السلام .

واستناداً لذلك حرصت مدرسة المولى الهمداني على تربية أتباعها على القيام بهذه المسؤوليات الشرعية على الصعيد الاجتماعي وخدمة خلق الله من وجهة والتأكيد المشدّد على إخلاص النيّة فيها بقدر المستطاع كما يؤكّد على ذلك المولى البهاري في نهاية النصّ المتقدّم وذلك لأنّ تحقّق الثواب والأثر التربوي والتكاملي للأعمال يرتبط بمدى رسوخ الإخلاص لله عز وجلّ والتقرّب إليه في نيّة القيام بها كما تؤكّد على ذلك النصوص الشرعية كالحديث النبوي الشهير : «إنّما الأعمال بالنيّات ولكلّ امرئ ما نوى» .

وانطلاقاً من الحقيقة المتقدّمة أيضاً جاء حضور أعلام مدرسة المولى الهمداني القوي والمؤثّر على الصعيد السياسي أيضاً والدفاع عن مصالح المسلمين وفاعلية الإسلام في حياتهم ومواجهة الهجمة الغربية والتغريبية على العالم الإسلامي والسعي لتقدّم المسلمين والدفاع عن عقائدهم وهويّتهم الإسلامية ، والخدمات التي قدّمها أعلام هذه المدرسة جليلة مشهودة نظير النهضة الإصلاحية الدؤوبة للسيّد جمال الدين الشهير بالأفغاني والمساهمة الجهادية الفاعلة للسيّد محمّد سعيد الحبوّبي في ثورة العشرين الإسلامية ضدّ الإستعمار البريطاني في العراق ، والخدمات الجليلة للسيّد محمّد حسين الطباطبائي في مواجهة الهجوم الثقافي الغربي ، والثورة الإسلامية التي فجّرها السيّد عبد الحسين اللاري ـ من أعلام هذه المدرسة ـ ضدّ الإقطاعيّين في منطقة «لرستان» الإيرانية بعد عودته إليها من النجف الأشرف وإقامته حكماً إسلامياً مستقلاً في هذه المنطقة التي تمتدّ إلى مدينة كرمان مروزاً بمناطق ، بندر عبّاس ، بندر لنجه ، بوشهر ، وأخرجها من سيطرة الحكومة الملكية الجائزة ونصب ولاة مستقلّين وقضاة عليها . إضافة إلى مجاهدة ظلم الملك القاجاري محمّد علي شاه أعلن السيّد اللاري حكم الجهاد ضدّ الاستعمار البريطاني عندما أنزل قوّاته في ميناء بوشهر الإيراني وطردها من هذا الميناء بعد معارك دامية خاضها ضدّها»[(١)] .

---

(١) راجع العدد ٣٠ من مجلة نور علم الصادرة عن مركز النشر التابع لجماعة المدرّسين في حوزة قم المقدّسة =

كما واجه الشيخ محمّد باقر البهاري ـ وهو من خواصّ تلامذة المولى الهمداني ـ الأطماع الروسية وأعلن حرمة بيع وشراء البضائع الروسية التي كانت رائجة جداً في إيران آنذاك ـ وأفتى بالجهاد ضدّ الروس عندما أرادوا الاعتداء على إيران وتركيا واحتلال أراضيها ودعا الشعب والعلماء إلى حمل السلاح ضدّهم وأرسل برقيات إلى زعماء المسلمين محذّراً من أخطار هذه النوايا الروسية واستطاع بكلّ ذلك إجبارهم على التراجع عن هذه الأعمال العدوانية(١) .

إذن فالمدرسة التربوية العرفانية للمولى الهمداني تعتبر الحضور الفاعل في ميادين الدفاع عن الإسلام والمسلمين والسعي لتقدّمهم وإقامة حكمهم الإسلامي المستقلّ ومواجهة التسلّط الأجنبي عليهم جزءاً أساسياً من مهمة المؤمن السالك والعالم العامل ـ كما جسّدت ذلك عملياً ـ وهي في هذا تمتاز بخصوصية مهمة عن الكثير من الطرق الصوفية التي كان يدعمها الحكام الجائرون وأعداء الإسلام ويروجونها لأنّها تجرّ الإنسان المسلم إلى اعتزال الحياة الإجتماعية والقضايا العامّة الأمر الذي يمكنهم من القيام بممارساتهم العدوانية دونما معارض ؛ فالتوجّه إلى الطاعات العبادية وتهذيب النفس وتزكيتها لا يشغل الإنسان المؤمن السالك في مدرسة المولى الهمداني ولا يغفله عن الحضور الفاعل في القضايا الإسلامية العامة وخدمة المجتمع الإسلامي ومواجهة الظلمة لأنّها تعتبر هذا الحضور قياماً بواجبات شرعية وطاعات مقرّبة إلى الله تعالى والتزامها به هو ثمرة شمولية التزامها بأحكام الشريعة المقدّسة التي تهتمّ بكافّة نواحي حياة الإنسان الفردية والاجتماعية .

أجل ؛ الاهتمام بأمر تهذيب النفس والرياضات الشرعية والتفرّغ لها يعتبر في هذه المدرسة إعراضاً وعزلة عن الحضور الاجتماعي غير المجدي الذي لا يؤدّي إلا إلى الغفلة عن الله والتوجّه إليه والجهاد للتقرّب إليه ، وإلى الانغماس في عالم الكثرات والخضوع لأسر حجبها والإخلاد إلى الأرض(٢) ؛ وهذا الحال تذمّه النصوص الشرعية وتدعو إلى اجتنابه .

= حيث نشرت مقالاً مفصّلاً عن حياة وجهاد هذا العالم الجليل بقلم السيّد علي مير شريفي .

(١) راجع مقدّمة كتاب القضاء والشهادات للشيخ محمّد باقر البهاري وقد نشرت في مقدمة الكتاب صورة للشيخ البهاري يتوسّط مجموعة من العلماء المجاهدين وهم يحملون السلاح أيّام إعلان حكم الجهاد ضدّ العدوان الروسي .

(٢) راجع تأكيد المولى الهمداني على اجتناب المعاشرات غير النافعة في كتاب تذكرة المتقين : ١٨٠ ، وغير ذلك .

وبالطبع فإنّ القيام بواجبات الحضور الاجتماعي والسياسي النافع يستلزم توفّر معرفة معمّقة بالواقع القائم والظروف الزمانية والمكانية ووعياً بها يحصّن المؤمن من لوابسها ، وهذا ما تجلّى في أعلام مدرسة المولى الهمداني العرفانية كما تشهد بذلك مواقفهم وأدوارهم التأريخية التي أشرنا إليها آنفاً ، وممّا يشير إلى هذا المعنى مثلاً التحذيرات المشدّدة التي يوجّهها المولى الهمداني نفسه من مغبّة الانسياق للتغريب الثقافي والإعراض عن الهوية الإسلامية الأصلية[١] ، وكذلك ما ينقله أحد أحفاده من أنّه رفض قيام بعض طلبته بتهيئة مصباح كهربائي له في إحدى غرف منزله ليعينه على مطالعته وأعماله العلمية ؛ فرفض الاستفادة منه لأنّه كان آنذاك يؤدّي إل الارتباط بالعدوّ الأجنبي ، فالاستفادة من مثل هذه الاكتشافات العلمية أمرٌ جيّدٌ إذا لم يحمل مخاطر التبعية والخضوع للعدوّ الكافر لأنّ هذه المخاطر تستهدف الهوية الإسلامية في الصميم وهذا خطٌّ أحمر لا يمكن تجاوزه لأي مصلحة أخرى ؛ ولذلك علّل قدّس الله نفسه الزكية رفضه الاستفادة من هذا المصباح يومذاك بقوله : «لماذا قمتم بهذا العمل؟ ! لقد خدعكم الإنجليز فهم يريدون بهذه الوسيلة ربطي وربطكم بهم» . ولم يسمح بالاستفادة من هذا المصباح إلى حين وفاته[٢] لأنّه يحمل شرّ التبعية للأجانب وهذا أهمّ من منفعة الاستفادة منه كاكتشاف علمي لأنّه ليس اكتشافاً علمياً مجرّداً عندما يصدر إلى البلدان المتخلّفة بل كان يشكلّ وسيلة للإخضاع وللإستعباد ، وهذا نموذج لوعي مبكّرٍ للغاية يتقدّم كثيراً على مستوى الوعي العامّ في تلك الأيّام .

* * *

(١) المصدر السابق : ١٨٤ ـ ١٨٥ .

(٢) صحيفة (جمهوري إسلامي) الإيرانية الصادرة بتأريخ (٩/ ربيع الأول/ ١٤١٥) ، الصفحة : ١٤ .

مع البحث المتقدم ، تكون الموسوعة قد تحدثت عن أهم المواد الحوزوية : الفقه ، الأصول ، الفلسفة في مختلف أجنحتها .

ونتقدم الآن ببحث للدكتور عبد الهادي الفضلي ، وهو بدوره أحد الباحثين المعروفين في ميداني : البحث الحوزوي والجامعي ، حيث قدّم للموسوعة بحثاً عن النشاط اللغوي في الحوزة . وبالرغم من أن الدراسة المذكورة تتجاوز تخوم الحوزة إلى مطلق رجال اللغة في النجف من جانب ، وتركّز على البُعد التأليفي من جانب آخر ، فإن القائمة التي قدمتها بالنسبة إلى اللغويين ومؤلفاتهم ، تعكس نشاطاً آخر لمادة تعتبر (أداة) ضرورية في تلقي المعرفة الحوزوية كما هو واضح .

الدراسة ، كُتبت تحت عنوان :

* * *

الدرس اللغوي في النجف

بقلم
الدكتور عبد الهادي الفضلي

من الموضوعات المهمة التي لم يقدر لها أن تدرس ويكتب فيها وعنها الدرس اللغوي في النجف الاشرف.

ولعل هذا يعود إلى ذلك الشيء القليل من العزلة التي تعيشها الحوزات العلمية في العالم الإسلامي، وعدم اهتمام أبنائها من دارسين ومدرسين بأمثال هذا اللون من الدراسات، وكذلك عدم انفتاح الجامعات على واقع تاريخ الحوزات وما يدور فيها، الانفتاح الذي يرحب صدره لمثل هذا.

وقد تختلف النجف في طابع دراساتها وأبحاثها اللغوية عما سواها من مراكز لغوية في العالم الإسلامي، حيث تمتعت ـ وبشكل واضح ـ بطريقة الدرس المتبع في مجال العلوم الشرعية فاتسمت بالأصالة في الرأي، والعمق في النظرة، والشمولية في التتبع، والاستقلالية بالذات.

ومن هذا جاءتها أهميتها فأنجبت أمثال (الرضي الأسترآبادي)، الذي منحته الأوساط العلمية اللغوية لقب (نجم الأئمة) ووصف (المحقق).

ولذا ـ أيضاً ـ سأحاول إعطاء صورة واضحة عن الدرس اللغوي في النجف الاشرف.

لعلّي بهذا أضع بين يدي الباحثين المادة العلمية للبحث والدراسة، لتتكامل حلقات السلسلة اللغوية العربية من الناحيتين التاريخية والعلمية.

وأعني بالدرس اللغوي ـ هنا ـ ما يشمل علوم اللغة العربية من صرف ونحو وعروض وقافية ومعجم ودلالة ومعاني وبيان وبديع وما إليها.

ولأن الدرس اللغوي في النجف هو امتداد للدرس اللغوي في بغداد

سأحاول الربط بينهما من ناحية تاريخية بإعطاء صورة عن ذلك الوسط اللغوي البغدادي الذي انطلق منه هذا الامتداد اللغوي.

ولأن حلقة الوصل بين بغداد والنجف هو الشيخ الطوسي الذي على يديه أخذت الحوزة العلمية في النجف مركزها العلمي المميز والمرموق نكون ملزمين بتعرف حركة الدرس اللغوي البغدادي في عهده، وهو القرن الخامس الهجري الذي جاء نتاجاً ناضجاً في الفكر والمنهج للقرن الرابع، ذلكم القرن الذي ازدهرت فيه بغداد علمياً بقدر ما انحدرت فيه سياسياً.

ففي القرن الثاني الهجري دخل التعليم اللغوي إلى بغداد، وفي بلاطات العباسيين، من مركزيه المعروفين مدينة (البصرة) ومدينة (الكوفة)، فقد انتدب المفضّل الضبي البصري (ت ١٦٨ هـ) معلماً للمهدي العباسي، وانتدب أبو الحسن الكسائي الكوفي (ت ١٨٩ هـ) معلماً للرشيد العباسي، ثم لولديه الأمين والمأمون.

وفي القرن الثالث التقى أبو العباس المبرّد البصري (ت ٢٨٥ هـ) وأبو العباس ثعلب الكوفي (ت ٢٩١ هـ) في البلاط العباسي يتنافسان ويتزاملان على تعليم عبد الله بن المعتز الخليفة الشاعر.

ثم كان لكل منهما حلقة درسه للمتعلمين من سائر الناس، ولأن المبرد، كان ـ آنذاك ـ شيخ مدرسة البصرة، وثعلباً كان شيخ مدرسة الكوفة، صب المركزان ـ كرافدين لغويين ـ في مركز بغداد العلمي، وامتزج الفكران البصري والكوفي ليكوّنا المدرسة البغدادية.

وتخرج فيهما، وفيها، أعلام مدرسة بغداد اللغوية، ومن أشهرهم:

- أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١٠ هـ).
- أبو بكر بن السراج (ت ٣١٦ هـ).
- أبو القاسم الزجاجي (ت ٣٣٧ هـ).
- أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ).
- أبو الحسن الرماني (ت ٣٨٤ هـ).
- أبو الفتح بن جنّي (ت ٣٩٢ هـ).

وإذا علمنا أن أبا الحسن الرماني كان أستاذ أبي عبد الله الشيخ المفيد (ت٤١٣ هـ)، وأن أبا الفتح بن جنّي كان أستاذ الشريفين المرتضى (ت٤٣٦ هـ) والرضي (ت٤٠٦ هـ).

وأن كلاً من الشيخ المفيد والشريف المرتضى كان أستاذ الشيخ الطوسي ندرك أن حلقة الوصل في الدرس اللغوي بين بغداد والنجف هو أبو جعفر الطوسي (ت ٤٦٠ هـ).

ومن هنا لا بد من البدء بترجمته ثم الانتقال إلى ذكر من جاء بعده ممن أسهم في إثراء الدرس اللغوي من أبناء هذا المركز العلمي ـ أعني النجف الاشرف ـ.

وسأقتصر على ذكر من له تأليف في ذلك، مع التزام الاختصار، إلاّ عندما يكون التوسع ضرورياً.

١ ـ الشيخ الطوسي:

هو أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، ولد في مدينة (طوس) من أعمال خراسان سنة ٣٨٥ هـ، وإليها نسبته.

وهاجر إلى بغداد سنة ٤٠٨ هـ، ولازم فيها زعيم الشيعة وشيخ مدرسة أهل البيت (ع) في العلوم العقلية والنقلية أبا عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي الملقب بـ(الشيخ المفيد)، وتتلمذ عليه حتى وفاته سنة (٤١٣ هـ) فاستفاد منه وأفاد، ثم لازم علم الهدى الشريف المرتضى أبا القاسم علي بن الحسين الموسوي الذي تولى زعامة الطائفة ومشيخة المدرسة بعد أستاذه المفيد حتى توفي سنة ٤٣٦ هـ، فاستفاد منه ـ أيضاً ـ وأفاد.

وعنهما ـ أكثر من سواهما ـ أخذ الشيخ الطوسي علوم اللغة العربية وآدابها.

وفي سنة ٤٤٨ هـ غادر بغداد إلى النجف إثر هجوم السلاجقة على منازل ومعاهد الشيعة في الكرخ من بغداد، حيث حرقوا كرسي درسه، ونهبوا، وسلبوا، وعذبوا، وقتلوا.

وعندما حل النجف نمّى بذرة الحركة العلمية الموجودة فيها، حتى أصبحت مركزاً علمياً مهماً ومميزاً، ينافس بغداد والمراكز العلمية الأخرى آنذاك.

وقد أودع الشيخ الطوسي بحوثه المتضمنة لآرائه وأفكاره اللغوية وسواها كتبه في الفقه والأصول والكلام والحديث والتفسير.

وحفل من بينها كتابه العظيم (التبيان في تفسير القرآن) بثروة علمية لغوية وفيرة ومهمة من حيث الدراسة والبحث، والرأي والنتيجة.

وقد طبع هذا الكتاب على الحجر في إيران سنة ١٣٦٠ ـ ١٣٦٥ هـ بمجلدين كبيرين، وعلى الحروف في النجف الأشرف سنة ١٣٧٦ هـ بعشر مجلدات.

وللتمثيل أذكر هنا ما ذكر في آخر المجلد الأول من النشرة النجفية فهرساً للمباحث اللغوية، الذي تناول الموضوعات التالية:

ـ بحث في اسم الفاعل من فَعَلَ يفعَل وفعِل يفعِل.
ـ بحث في كيفية استعمال عالم.
ـ بحث في (أولئك).
ـ بحث في الفرق بين (أم) و(أو).
ـ بحث في كيفية استعمال (من).
ـ بحث في كيفية استعمال (فاعل).
ـ بحث في الفرق بين (اللقاء) و(الاجتماع).
ـ بحث في كيفية استعمال (أو).
ـ بحث في حد الكلام وتقسيمه.
ـ بحث في دخول (ما) في الكلام.
ـ أصل (أهل) والفرق بينها وبين (آل).
ـ الفرق بين الشكر والمكافأة.
ـ الفرق بين القتل والذبح والموت.
ـ الفرق بين المعاينة والجهر.

- الفرق بين الولوج والاقتحام.
- الفرق بين الخاطىء والمخطىء.
- الفرق بين (أحسن إليه) و(أحسن في فعله).
- بحث في (ويح) و(ويل) و(ويس).
- بحث في همزة الاستفهام إذا لاقت همزة أخرى.
- بحث في (بلى) و(نعم).
- الفرق بين (الحَسن) و(الحُسن).
- بحث في (أفعل) و(فعلاء).
- بحث في (بئس).
- الفرق بين (مثوبة) بضم التاء، و(مثوبة) بفتح الواو.
- الفرق بين (لن) و(لا).
- بحث في (فعلت) و(أفعلت).
- السبب في وصف بعض الألفاظ المؤنثة بالمذكر.

وكان ـ قدس سره ـ عندما يتناول الآي بالتفسير اللغوي يعرض للقراءة والحجة فيها، ثم لدلالة المعجمية لمفرداتها، فالإعراب النحوي التطبيقي، وما يتفرع على هذا من أوزان صرفية، ووجوه بلاغية، وقرائن سياقية، ونكات علمية، ودقائق فنية، وما يلابسها من قريب أو من بعيد.

٢ ـ المحقق الرضي:

هو رضي الدين محمد بن الحسن الأسترآبادي، نسبة إلى (أسترآباد) من أعمال طبرستان بين سارية وجرجان، نسب إليها عدد كبير من أهل العلم.

اشتهر بلقب (الرضي) و(الفاضل الرضي) و(المحقق الرضي). ولقّبه غير واحد من المؤرخين وأهل العلم بـ(نجم الأئمة).

كان عالماً مجتهداً في الفقه وأصوله، والمنطق والفلسفة والكلام، مضافاً إلى تضلعه العميق في علوم اللغة العربية، وبخاصة في أصول اللغة والدلالة والنحو والصرف.

له من المؤلفات:

١ ـ حاشية على شرح تجريد العقائد الجديدة، في علم الكلام.
٢ ـ حاشية على شرح جلال الدين الدواني لتهذيب المنطق والكلام.
٣ ـ شرح القصائد السبع العلويات.

وهو شرح لقصائد سبع نظمها عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني المعتزلي في مدح أمير المؤمنين علي (ع)، وعرفت لذلك بـ(السبع العلويات) و(العلويات السبع).

٤ ـ شرح الكافية:

وهو شرح لكتاب (الكافية في النحو) لجمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر الكردي المعروف بـ(ابن الحاجب) المتوفى سنة ٦٤٦ هـ.

٥ ـ شرح الشافية:

وهو شرح لكتاب (الشافية في الصرف)، لابن الحاجب أيضاً.

وقد اشتهر الرضي بهذين الشرحين، وعُدَّ بهما من أساطين هذين العلمين، واعدا من أمهات المراجع المهمة في علمي النحو والصرف، وسنتبين هذا مما قيل فيه وفيهما.

فقد أثنى عليه كل من ترجم له ثناء نابعاً من المعرفة العلمية له من واقع كتابيه في النحو والصرف المذكورين في أعلاه.

ففي كتاب (تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام) ط ١٤١١ هـ، ص ٣١: «قال السيد الشريف الجرجاني علي بن محمد في إجازته لمن قرأ عليه (شرح الرضي) في النحو: إن شرح الكافية للعالم الكامل نجم الأئمة وفاضل الأمة محمد بن الحسن الرضي الأسترآبادي ـ تغمده الله بغفرانه وأسكنه بحبوحة جنانه ـ كتاب جليل الخطر، محمود الأثر، يحتوي من أصول هذا الفن على أَمّها، ومن فروعه على نكاتها، قد جمع بين الدلائل والمباني وتقريرها، وبين تكثير المسائل والمعاني وتحديدها، وبالغ في توضيح المناسبات، وتوجيه المباحثات، حتى فاق بيانه على أقرانه، وجاء كتابه كعقد نظم فيه جواهر الحكم بزواهر الكلم».

وقال جلال الدين السيوطي في كتابه (بغية الوعاة في طبقات اللغويين

والنحاة) ـ ١/ ٥٦٧ ـ: «الرضي الإمام المشهور، صاحب شرح الكافية لابن الحاجب، الذي لم يؤلف عليها، بل ولا في غالب كتب النحو مثله، جمعاً، وتحقيقاً، وحسن تعليل.

وقد أكب الناس عليه، وتداولوه، واعتمده شيوخ هذا العصر فمن قبلهم، في مصنفاتهم ودروسهم.

وله فيه أبحاث كثيرة مع النحاة، واختيارات جمة، ومذاهب ينفرد بها، ولقبه نجم الأئمة».

وقال الشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي في ديباجة شرحه لشواهد شرح الكافية الموسوم بـ(خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب)، معرفاً الشرح المذكور، : «وهو كتاب عكف عليه نحارير العلماء، ودقق النظر فيه أماثل الفضلاء، وكفاه من الشرف والمجد ما اعترف به السيد[١]، والسعد[٢]، لما فيه من أبحاث أنيقة، وأنظار دقيقة، وتقريرات رائقة، وتوجيهات فائقة، حتى صارت بعده كتب النحو كالشريعة المنسوخة، أو كالأمّة الممسوخة».

ونقل عنه السيد الصدر في (تأسيس الشيعة) ـ ص ١٣٢ ـ أنه قال: «ولم أطلع على ترجمة له وافية بالمراد، وقد رأيت في آخر نسخة قديمة من هذا الشرح (يعني شرح الكافية) ما نصه: هو المولى الإمام العالم العلامة، ملك العلماء، صدر الفضلاء، مفتي الطوائف، الفقيه المعظم، نجم الملة والدين، محمد بن الحسن الأسترآبادي، وقد أملى هذا الشرح بالحضرة الشريفة الغروية في ربيع الآخر من سنة ثمان وثمانين وستمائة، هذا صورة ما رأيته».

وقال الشيخ الحر العاملي في كتابه (أمل الآمل ـ تذكرة المتبحرين): «كان فاضلاً، عالماً، محققاً، مدققاً».

وفي كتاب (تأسيس الشيعة) ص ١٣٢: «ولقد أجاد المولى العلامة محمد ابن الحسن الفاضل الأصفهاني المعروف بالفاضل الهندي صاحب كشف اللثام،

---

(١) يعني به الشريف الجرجاني، وقد ذكرنا قوله في أعلاه.
(٢) يعني به سعد الدين التفتازاني، لم أقف على قوله في حدود ما تسنى لي من مراجعة.

فيما كتبه على ظهر شرح الرضي على الشافية في الصرف، قال: شرح الشافية للشيخ الرضي المرضي، نجم الملة والحق، والحقيقة والدين، الاسترآبادي، الذي درر كلامه أسنى من نجوم السماء، وتعاطيها أسهل من تعاطي لآلي الماء، إذا فاه بشيء اهتزت له الطباع وإذا حدّث بحديث أقرط الأسماع بالاستماع، هو الذي بين الأئمة ملك مطاع، للموالف والمخالف، في جميع الأراضي والبقاع».

وقال السيد حسن الصدر في (تأسيس الشيعة) ص ١٣٣، معلقاً على قول الفاضل الهندي: «وهذا هو الكلام الفحل، والقول الجزل، والحق أن نجم الأئمة أودع في شرحه على الكافية تحقيقات لم يسبق إليها، ولا حام طائر فكر المحققين حواليها، فهو كتاب تفتخر به الشيعة، والكل يغترف من بحره، فرضوان الله عليه».

قال الشيخ المامقاني في كتابه (تنقيح المقال) ٣/ ١٠١: «كان كاملاً في فنون العربية ومن أقطابها، وشرحاه على الكافية والشافية مشهوران، وكان إمامياً، توفي سنة ست وثمان وستمائة.

وقال الشيخ القمي في كتابه (الكنى والألقاب) ٢/ ٢٧٦: «فخر الأعاجم، وصدر الأعاظم، الفاضل الكامل، المحقق السعيد، شارح الكافية والشافية والقصائد السبع لابن أبي الحديد.

وشرحه على الكافية هو الذي فاق على مصنفات الفريق».

وقال الدكتور الشيخ محمد هادي الأميني في كتابه (معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام) ١/ ١١٢: «عالم، متكلم، منطقي، نحوي، صرفي، محقق، مدقق.

سكن النجف، وقام بالتدريس والتأليف.

جاء في حقه: أنه كان على عظيم من جلالة القدر، والتفرد بمزيد التحقيق وفلسفة اللغة العربية، وهو بين الأئمة ملك مطاع للموالف والمخالف، في جميع الأصقاع والبقاع».

وجاء في تقديم محققي شرح الشافية (وهم: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيى الدين عبد الحميد) ما نصه: «فهذا شرح أفضل المحققين، وأبرع المدققين، العالم الذي لا يشق غُبَاره: لا يدْرَكُ مداه، نجم الملة والدين، محمد رضي الدين بن الحسن الأستراَبادي، على مقدمة العلامة النحوي الفقيه الأصولي أبي عمر عثمان بن عمر بن أبي بكر المعروف بابن الحاجب التي جمع فيها زبدة فن التصريف في أوراق قليلة؛ غَيْرَ تارك مما يجب علمه ولا يجمل بالمتأدب جهله شيئا، مشيراً فيها إلى اختلاف العلماء أحياناً، وإلى لغات العرب ولهجاتهم أحيانا أخرى.

وقد ظَلَّ شرح رضي الدين رحمه اللّه - رغم كثرة طبعاته وتعددها - سرًّا محجوباً، وكَنزاً مدفوناً، لا يقرب منه أحد إلا أَخَذَهُ البَهْر، وأعجزه الوقوف على غوامضه وأسراره، ذلك لأنه كتاب ملأه صاحبه تحقيقاً، وأفعمه تدقيقاً، وجمع في أوابد الفن وشوارده، وأتى بين ثناياه على غرر ابن جنّي وتدقيقه، وأسرار ابن الأنباري واستدلاله وتعليله، وإفاضة المازني وترتيبه، وأمثلة سيبويه وتنظيره، ولم يترك في كل ما بحثه لقائل مَقالاً، ولا أبقى لباحثٍ منهجاً، حتى كان كتابه حَرِيًّا بأن ينتجعه طالب الفائدة، ويُقْبِلَ على مدارسته واستذكاره كل من أراد التفوق على أقرانه في تحصيل مسائل العلم ونوادره، وكان الذين قاموا على طبعه في الآستانة ومصر لم يعطوه من العناية ما يستحقه، حتى جاء في منظر أقلُّ ما يقال فيه إنه يُبْعِد عنه، ولا يقرب منه، وبقي قراء العربية إلى يوم الناس هذا يعتقدون أن الكتاب وَعْرُ المسلك، صعبُ المُرتْقَى، لا تصل إليه الأفهام، ولا تدرك حقائقه الأوهام، فلم يكونوا ليقبلوا عليه، ولا ليتعرضوا له؛ والكتاب - علم اللّه - من أمتع الكتب وأوفاها، وأحفلها بالنافع المفيد، وأدناها إلى من ألقى له بالاً، ولم يثنه عن اقتطاف ثماره ما أحاط بها من قَتَاد».

وقال الشيخ محمد الطنطاوي في كتابه (نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة) طَ ٢٤٥ - ٢٥٧: «وبحسبنا في تقدير الرضي علميًّا، وأنه حجة عصره غير منازع، ما خلفه من «شرحى الكافية والشافية»، وهما الكتابان اللذان لم يتركا شيئاً من الفنين إلا أوفياه حقه، وكشفا النقاب عن سره «فليس وراء عبَّادان

قرية»، ومن الواجب أن نذكر نبذة خاصة عن شرح الكافية فإنما نحن بصدد النحو.

شرح الرضي على الكافية

هذا الشرح قد جمع بين دفتيه قواعد النحو وأسرارها بابتكار يدل على تعمق في النحو واستكشاف لمخبآته وإحاطة بأوابده، ويعجبني منه وَلوعه بضم الأنواع في محاولاته التي يعنى فيها بلم أطراف الكلام الذي يراد التقعيد له، حتى لا يدع باباً إلا قضى وطر العلم فيه. هذا من ناحية التأليف، أما من ناحية الفن فإنه ليس في شرحه جمَّاعاً، وإنما هو الفيصل، تستحكم الفكرة عنده فيبرزها مدعومة بالدليل النقلي والنظري غير متحيز إلى مذهب خاص من المذاهب الأربعة السابقة[1]، وإن كان في الجملة بصري الاتجاه، فقد لا يستبعد صوابية مذهب الكوفيين أحياناً إذا صح لديه حكمته، وإليك أمثلة مما رأى قربه إلى الصواب فيها على ترتيب الشرح:

من الأمثلة التي رأى قرب المذهب الكوفي فيها الصواب

١ ـ يرى الكوفيون شرطية أن المدغمة في ما في نحو أما أنت منطلقاً انطلقتُ، قال: «ولا أرى قولهم بعيداً من الصواب لمساعدة اللفظ والمعنى إياه... إلخ»[1].

٢ ـ يرون الضمير في أنت وأخواته «التاء»، وفي إياك وأخواته (الكاف)، قال: «وما أرى هذا القول بعيداً من الصواب في الموضعين»[2].

٣ ـ يرون المصدر المنسبك من أن والفعل في نحو يعجبني زيد أن يقوم بدل اشتمال من الاسم الظاهر، قال: «والذي أرى أن هذا وجه قريب»[3].

---

(١) هي: المذهب البصري والمذهب الكوفي والمذهب البغدادي والمذهب الأدلسي المغربي.

(١) حذف كان.

(٢) المضمر.

(٣) أفعال المقاربة.

على أنه قد يبدو له ابتكار جديد يخرج به على كل النحاة، عماده في ذلك استقلال الرأي ورجاحة الحجة، وإني أسوق إليك بعض أمثلة من هذا النوع على ترتيب الشرح أيضاً.

من الأمثلة التي خالف فيها النحاة

١ ـ مخالفته في اشتراط الصفة في منع الصرف، فقال: «وأنا إلى الآن لم يقم لي دليل قاطع على أن الوصف العارض غير معتد به في منع الصرف. . . إلخ»[١].

٢ ـ مخالفته في عدّهم عطف البيان نوعاً مستقلاً في التوابع، ورأى إدماجه في بدل الكل، فيقول: «وأنا إلى الآن لم يظهر لي فرق جليّ بين بدل الكل من الكل وبين عطف البيان، بل لا أرى عطف البيان إلا البدل. . . إلخ»[٢].

٣ ـ مخالفته في عدّهم فَعال معدولة عن فعل الأمر، فقال: «والذي أرى أن كون أسماء الأفعال معدولة عن ألفاظ الفعل شيء لا دليل عليه، والأصل في كل معدول عن شيء ألا يخرج من نوع المعدول عنه أخذاً من استقراء كلامهم، فكيف خرج الفعل بالعدل من الفعلية إلى الاسمية»[٣].

٤ ـ مخالفته في تعميمهم المنع في الثلاثة الآتية: تقدم معمول المصدر عليه، والفصل بينه وبين معموله بأجنبي، وحذفه مع بقاء معموله، ورأى جوازها مع الظرف والجار والمجرور، فقال: «وأنا لا أرى منعاً من تقدم معموله عليه إذا كان ظرفاً أو شبهه. . . ويجوز الفصل بينه وبين معموله بأجنبي. . . وكذا يجوز إعماله مضمراً مع قيام الدليل»[٤].

٥ ـ مخالفته في جعلهم الصفة المشبهة موضوعة للدوام، ورأى أنها

---

(١) غير المنصرف.

(٢) البدل.

(٣) أسماء الأفعال.

(٣) المصدر.

موضوعة لمجرد الثبوت، فقال: «والذي أرى أن الصفة المشبهة كما أنها ليست موضوعة للحدوث في زمان ليست أيضاً موضوعة للاستمرار في جميع الأزمنة، لأن الحدوث والاستمرار قيدان في الصفة، ولا دليل فيها عليهما. . .إلخ)[1].

٦ ـ مخالفته في إذن، فليست بحرف ناصب للمضارع كما يقول البصريون وبعض الكوفيين، ولا اسم أصله إذا والنصب بعده بأن مضمرة كما يقول البعض الآخر من الكوفيين، بل يقول إنها اسم أصله إذ والنصب بعدها بأن مضمرة، ولهذا قال: «الذي يلوح لي في إذن ويغلب في ظني أن أصله إذ. . إلخ»[2].

٧ ـ مخالفته في جعلهم فاء السببية وواو المعية عاطفتين المصدر المسبوك من الناصب المحذوف والمضارع على المصدر المُتصيد من الكلام قبلهما، ورأى أن الفاء لمحض السببية والواو للحال أو بمعنى مع فقط[3].

وفي الكتاب أمثلة كثيرة من هذا الطراز لمن شاء أن يستزيد، ومن البديهي أن من بلغ هذا الحد فقد وصل إلى العنقود.

نعم قد يتحاشى الخروج على الإجماع مع لمحه أسباب النزوع عنه، فقد انقدح عنده استحسان ادعاء البناء للمضارع المجزوم لولا إجماعهم، فقال: «ولولا كراهة الخروج عن إجماع النحاة لحسن ادعاء كون المضارع المسمى مجزوماً مبنيًا على السكون. . . إلخ»[4].

بقي أن تعرف مسلكه في الكتاب من حيث الاستشهاد، وهذا أمر جدير بالنظر، لأن الشاهد في علم النحو هو النحو، ومن المعروف أن الشاهد إما نثر أو نظم، وليس كل نثر أو نظم مما يصح في علم النحو الاعتماد عليه، كما بسطه تفصيلاً البغدادي في مقدمة خزانة الأدب بما فيه المقنع.

---

(١) الصفة المشبهة.

(٢) نواصب المضارع.

(٣) المبحث السابق.

(٤) الفعل وعلاماته.

شواهده

إن قارىء الكتاب من أوله إلى آخره يقف على شواهد نثرية مستفيضة من القرآن الكريم وكلام العرب المعترف بالاحتجاج بهم والحديث الشريف وقول الإمام عليّ وشواهد شعرية.

الشواهد النثرية

أما القرآن وكلام العرب فكثر ما استشهد بهما، وهو في ذلك موافق للنحاة القدامى والمتأخرين قبله، فليس ثمة داع إلى ذكر نصوصهما في الكتاب.

وأما الحديث فقد استدل به كثيراً حتى على غير القواعد، وقلما تقرأ باباً في الكتاب إلا رأيت الحديث فيه ـ تقرأ من أول الكتاب أنواع الإعراب فيستشهد على معنى المعرب بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «الثيب يعرب عنها لسانها» ـ ثم تقرأ باب غير المنصرف فيستشهد على الصرف للتناسب بالنظير بقوله: «خير المال سكة مأبورة وفرس مأمورة»(١).

وعلى صيغة الجمع المنتهي بقوله: «إنكن صواحبات يوسف»، وعلى وزن الفعل بقوله: «إن اللّه نهاكم عن قيل وقال» ـ ثم تقرأ باب الفاعل فيستشهد على الحصر بقوله: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما الولاء للمعتق»، و«لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد» ـ ثم تقرأ باب الاختصاص فيستدل على قيام الاسم المضاف الدال على المراد من الضمير مقام أيّ بقوله: «إنا معاشر الأنبياء فينابَكء»، أي قلة كلام، وهلم جرًا، والرضي في الاستدلال بالحديث متابع لابن مالك قبله.

---

(١) السكة: السطر من النخل، والمأبورة: الملقحة، والمأمورة: كثيرة النسل من آمر المزيد بحرف، فكان حقها مؤمرة لولا الإتباع، وهذا ما قاله القالي أيضاً في الأماليجـ١/ص ١٠٣، ولكن البكري في التنبيه على أوهام القالي فند الإتباع مراعياً أن الفعل الثلاثي مؤد هذا المعنى، راجع التنبيه ص ٤٢.

وأما قول علي (ع) فإن الكتاب ممتلئ به مع النسبة في بعض الأحيان إلى نهج البلاغة، ويكفيك لتقدير ثقة الرضي بكلام الإمام ما ذكره عند التمهيد على الاستدلال لورود إذ بعد بينا في «باب الظروف»، إذ يقول: «ألا ترى قول أمير المؤمنين رضي الله عنه، وهو هو من الفصاحة بحيث هو: بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته»[1].

فلا عجب أن يلجأ إليه في عدة أبواب ـ يقول في حذف الخبر وجوباً: «وفي نهج البلاغة: وأنتم والساعة في قرَن واحد... وقريب منه قول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: فهم والجنة كمن رآها» ـ وفي باب المفعول المطلق لمناسبة جواز ذكر العامل وحذفه يقول: «وفي نهج البلاغة في الخطبة البكالية: نحمده على عظيم إحسانه، ونير برهانه، ونوامي فضله وامتنانه، حمداً يكون لحقه أداء» ـ وفي باب المفعول له استدلال على عدم لزوم التشارك بين الفعل والمفعول في الفاعل يقول: «والدليل على جواز عدم التشارك قول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في نهج البلاغة: فأعطاه الله النظرة استحقاقاً للسخطة واستتماماً للبلية. والمستحق للسخطة إبليس، والمعطي للنظرة هو الله تعالى»، والكلام في الشيطان ـ وهكذا استرسل الرضي في الكتاب، والرضي في الاستدلال بكلام الإمام غير مسبوق، ولم أقف على شيء في ترجمة الرضي أتلمس منه هذه الوجهة الجديدة أترجع إلى النسب أم التشيع، وأيّا ما كان فإن الإمام لا نكران في صحة الاستشهاد بأقواله.

الشواهد الشعرية

وأما الشعر فقد دعم الرضي القواعد بالشواهد الشعرية أيضاً، فذكر في كتابه سبعاً وخمسين وتسعمائة، والمستقرىء لها يتبين أن أكثرها للجاهليين والمخضرمين والإسلاميين ممن يستشهد بكلامهم، سواء منها ما عرف قائلها

---

(١) هذه الجملة المذكورة من الخطبة الشقشقية المعروفة، يتعجب من أبي بكر في استقالته من الخلافة أول الأمر مع حرصه آخر حياته على عقدها لعمر، وقد ذكر بعضها في النهج.

وما لم يعرف، فإن مصدر المجهولة القائل إما سيبوية في أبياته الخمسين المعدودة ولا ريب في خلو الكتاب من المحدثين، مَن بعده إلى الرضي ممن جزم العلماء بحظرهم الاستشهاد بهم ـ وقليلاً منها للشعراء المحدثين الذين لا يعتدّ النحاة بهم في قواعدهم ـ هذا، وقد ساق الرضي قليلاً من الشعر لمناسبات معنوية لا علاقة لها بالقواعد، وإن أرتنا سعة اطلاعه في الأدب بما لم يتح لنحويّ غيره.

فمن هذا في باب المبتدأ والخبر لتوجيه تقديم المبتدأ على الخبر في نحو (سلام ـ ـ ـم)، قوله: إن تقديم الخبر ربما يتسرب منه الدعاء عليه قبل المبتدأ، ونظير ذلك أن أبا تمام لما أنشد في مطلع قصيدة في مدح أبي دلف العجلي:

على مثلها من أربع وملاعب «تذال مصونات الدموع السواكب»

قال بعض الحاضرين قبل نطقه بالشطر الثاني: «لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»، فانخذل أبو تمام عن إتمام الإنشاد.

ومنه في باب التنازع عند ذكر رأي الكسائي الموجب حذف الفاعل من الأول عند إعمال الثاني خوف الإضمار قبل الذكر، مع أن الحذف أشنع من الإضمار قبل الذكر، قوله: فحال الكسائي حال: «سعيد بن حسان»، إذ يقول:

فكنتُ كالساعي إلى مثعَب موائلاً من سبَل الراعدِ

ومنه في باب المفعول به لمناسبة حذف الفعل جوازاً ووجوباً في قولهم «انته أمراً قاصداً»، قوله: القصد خلاف القصور والإفراط كقول الشاعر:

«ولاتك فيها مُفرِطاً أو مُفَرِّطاً» كلا طرفي قصد الأمور ذميم

ومنه في باب أسماء الأصوات عند الكلام على «ويْلمّه» وأن هذا الدعاء على حد قاتله الله عند التعجب قوله: فإن الشيء إذا بلغ الكمال يدعى عليه صوناً له عن عين الكمال، كما قال جميل:

رمى الله في عيني بثينة بالقذى وفي الغُرّ من أَنيابها بالقوادح

وهكذا ـ وليس في مثل هذا النوع من مؤاخذة على الرضي، إنما المؤاخذة عليه في استشهاده بشعر المحدثين، والنحاة لا ينظرون إليه في اتخاذه أساساً للقوانين النحوية، وقد ذكر مقداراً كبيراً سأذكر لك بعضاً منه على ترتيب الشرح مكتفياً به عن الباقي لسهولة الوقوف عليه:

من شواهد الشعراء المحدثين

قد استشهد رحمه اللّه في باب الفاعل بقول أشجع السلمي:

كأن لم يمت حيّ سواك ولم تقم   على أحد إلا عليك النوائح

وفي باب المبتدأ والخبر بقول أبي نواس:

غيرُ مأْسوف على زمن   ينقضي بالهم والحزن

وبقول أبي تمام الطائي:

لعابُ الأَفاعي القاتلات لعابه   وأَرْى الجنى اشتارته أَيدٍ عواسل

وفي باب الحال بقول بشار:

إذا أَنكرتني بلدة أَو نكِرتُها   خرجتُ مع البازي عليّ سواد

وبقول أبي الطيب المتنبي:

قبلتها ودموعي مَزْج أدمعها   وقبلتني على خوف فماً لفم

وبقوله:

بدت قمراً ومالت خُوط بان   وفاحت عنبراً ورنت غزالا

وفي باب اسم الفعل ربيعة الرَّقيّ:

لشتان ما بين اليزيدين في الندى   يزيد سليم والأَغر بن حاتم

ولا ريب أن استشهاده بالمحدثين إحدى الهنات الملاحظة عليه.

انتقاد هين

الواقع أن الكتاب برهان حق على عبقرية صاحبه، وإذا ما تشبثنا بالملاحظات الطفيفة فإنا لا نعدم العثور على شيء منها. ولا بأس بسرد بعض منها الآن فدونكها:

الأولى: استشهاده بالمحدثين.

الثانية: أنه ربما لاح له تعقب ابن الحاجب في الكافية فلا يبالي التشهير، (ورب لائم مُليم)، فانظر إلى عبارته في رده عليه تجويزه دخول مِن على تمييزكم الاستفهامية إذ يقول: «فلم أعثر عليه مجروراً بمن لا في نظم ولا نثر، ولا دل على جوازه كتاب من كتب النحو ولا أدري ما صحته؟» ـ ولهذا كان حسناً من السعد في المطول رده على الرضي بشاهد فيه التلميح البديع وهو قوله تعالى: ﴿**سل بني إسرائيل كما آتيناهم من آية بيّنة**﴾.

الثالثة: أنه عدّ قياسية تاء الوحدة في الفرق بين الآحاد والأجناس في المخلوقات والمصادر كتمر وضرب، فقال في باب المذكر والمؤنث: «وهو قياسي في لك واحد من الجنسين المذكورين أعني المخلوقة والمصادر»، ثم هو بعد هذا ناقض نفسه إذ يقول في شرحه على الشافية أواخر باب جمع التكسير: «وليس أسماء الأجناس التي واحدها بالتاء قياساً إلا في المصادر نحو ضربة وضرب. . . إلخ».

على أن تلك الهنات تتلاشى تجاه المحاسن التي انطوى عليها ذلك الشرح، وقد تم تأليفه كما قاله الرضي في ختامه في شوال سنة ست وثمانين وستمائة، وللسيد الشريف «عليّ» الجرجاني تعليقات على الشرح جمعت بين الوجازة والإفادة، وقد نال هذا الشرح الإعجاب منذ شع نوره في المشرق، ولم ينبثق نوره في مصر إلا أخيراً.

ظهوره بمصر

من العجب العاجب أن يطول الأمد على اختفاء هذا الشرح النفيس بعد

تأليفه عن نحاة مصر، فلا يدخل مصر إلا بعد ابن هشام المتوفى سنة ٧٦١ هـ، قال البقاعي إبراهيم بن عمر المتوفى سنة ٨٨٥ هـ، في كتابه مناسبات القرآن: «ولم ينقل الشرح من العجم إلى الديار المصرية إلا بعد أبي حيان وابن هشام»[١].

وإني لأعلم غير ظان أنه مع نقله إلى مصر بعد ابن هشام لم تتداوله الأيدي العامة. وأن قليلاً من العلماء اطلع عليه فلم يتيسر لكثيرهم السماع به، بله الوقوف عليه ـ فالأشموني المتوفى سنة ٩٢٩ هـ. لم يذكر الرضي مرة واحدة في شرحه، والأشموني أولع المؤلفين بجمع المعلومات والقائلين لها في شرحه، فمما لا شك فيه أن شرح الرضي حرمت منه مصر طويلاً، إذ الكتب النحوية التي تعتمد عليها مصر إنما هي مؤلفات ابن الناظم وابن هشام وابن عقيل والأشموني، وهي خالية من كل جزئية علمية لها اتصال بذكر الرضي، ولم يجد البحث الطويل الذي بذلته لمعرفة الوقت الذي تناولته الأيدي في مصر، ولو على سبيل التقريب، ومن اليقين أن الأيام لو تقدمت بظهور شرح الرضي لارتشف منه هؤلاء المؤلفون المتدارسة كتبهم بأيدينا، وعليها اعتمادنا من مناهله السائغة العذبة، والذين اعتادوا في الأحكام محاولة ضم كل شيء إلى لِفْقه، وازدادوا في تنقيح عللها ما وسعتهم الفكرة، توفي الرضي سنة ٦٨٨ هـ».

ومن المفيد أن أضيف إلى ما ذكره الشيخ الطنطاوي الفوائد التالية:

١ ـ بدا لي من خلال قراءتي لشرح الكافية أن الشارح الرضي حاول قدر طاقته الوقوف على كل ما يمكنه الوقوف عليه من المراجع النحوية، علماء وكتباً.

وهذا من أهم ما يتطلبه البحث العلمي، وذلك للوقوف على الآراء والأدلة والمحاورات والمناقشات.

ولا أخال أن هناك شمولية لهذه في مدونات النحو التي اطلعت عليها كالذي هو موجود في هذا الشرح القيم.

---

(١) نقلها البغدادي في مقدمة الخزانة (الأمر الثالث).

في العلماء النحاة واللغويين الذين ورد ذكرهم في الشرح ـ وعلى سبيل المثال لا الحصر ـ هم:

البصريون:

ـ عبد الله بن ابن إسحاق الحضرمي (ت ١١٧ هـ).
ـ عيسى بن عمر الثقفي (ت ١٤٩ هـ).
ـ أبو عمر بن العلاء المازني (ت ١٥٤ هـ.).
ـ الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ).
ـ أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد الأخفش الكبير (ت ١٧٧ هـ).
ـ أبو محرز خلف بن حيان (ت حدود ١٨٠ هـ.)
ـ يونس بن حبيب الضبي (ت ١٨٢ هـ).
ـ سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان (ت ١٨٨ هـ).
ـ قطرب محمد بن المستنير (ت ٢٠٦ هـ).
ـ أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩ هـ).
ـ أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (ت ٢١٥ هـ).
ـ الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب (ت ٢١٦ هـ).
ـ أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٣ هـ).
ـ أبو عمرو صالح بن إسحاق الجرْمي (ت ٢٢٥ هـ).
ـ أبو عثمان بكر بن محمد بن بقية المازني (ت ٢٤٩ هـ).
ـ أبو إسحاق إبراهيم بن سفيان الزيادي (ت ٢٤٩ هـ).
ـ أبو الفضل العباس بن الفرج (ت ٢٥٧ هـ).
ـ أبو العباس محمد بن يزيد الثمالي المبرّد (ت ٢٨٥ هـ).
ـ محمد بن الحسن الأزدي بن دريد (ت ٣٢١ هـ).

الكوفيون:

ـ أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩ هـ).
ـ أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧ هـ).
ـ أبو عبد الله هشام بن معاوية الضرير (ت ٢٠٩ هـ).

ـ أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت٢٢٩هـ).

البغداديون:

ـ أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت (ت ٢٤٤ هـ).
ـ أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ).
ـ أبو الحسن محمد بن إبراهيم بن كيسان (ت ٢٩٩ هـ).
ـ أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١٠ هـ).
ـ أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش الصغير (ت ٣١٥ هـ).
ـ أبو بكر محمد بن السري ابن السراج (ت ٣١٦ هـ).
ـ أبو بكر محمد بن القاسم ابن الأنباري (ت ٣٢٧ هـ).
ـ أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت ٣٣٧ هـ).
ـ أبو بكر مبرمان محمد بن علي العسكري (ت ٣٤٥ هـ).
ـ أبو محمد عبد الله بن جعفر الفارسي ابن درستويه (ت ٣٤٧ هـ).
ـ أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي (٣٦٨ هـ).
ـ أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠ هـ).
ـ أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي (ت ٣٧٧ هـ).
ـ أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤ هـ).
ـ ابن جني أبو الفتح عثمان الموصلي (ت ٣٩٢ هـ).
ـ أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي الجوهري (ت ٣٩٣ هـ).
ـ أبو طالب أحمد بن بكر العيدي (ت ٤٠٦ هـ).
ـ أبو الحسن علي بن عيسى الربعي (ت٤٢٠ هـ).
ـ ابن بَرهان أبو القاسم عبد الواحد بن علي العكبري (ت ٤٥٦ هـ).
ـ عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١هـ).
ـ أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي (ت ٥٠٢ هـ).
ـ أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني (ت٥١٨هـ).
ـ جار الله الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ).
ـ أبو حفص عمر بن حفص الجنزي (ت ٥٥٠ هـ).
ـ ابن الخشاب أبو محمد عبد الله بن أحمد (ت ٥٦٧ هـ).

- ابن الدهان أبو محمد سعيد بن المبارك (ت ٥٦٩ هـ).
- أبو البقاء العكبري عبد الله بن الحسين (ت ٦١٦ هـ).
- ابن يعيش أبو البقاء يعيش بن علي الجلي (ت ٦٤٣ هـ).
- الاندلسي أبو محمد القاسم بن أحمد (ت ٦٦١ هـ).

الاندلسيون:

الأعلم الشنتمري يوسف بن سليمان الأندلسي (ت ٤٧٦ هـ).
- ابن خروف أبو الحسن علي بن محمد الحضرمي الإشبيلي (ت ٦١٠ هـ).
- ابن عصفور أبو الحسن علي بن مؤمن الإشبيلي (ت ٦٦٣ هـ).
- ابن مالك أبو عبد الله محمد بن عبدِ الله الجياني (ت ٦٧٢ هـ).

المغربيون:

- الجزولي أبو موسى عيسى بن يَلَلْبخت المغربي (ت٦٠٥ هـ).
- ابن معط أبو الحسين يحيى بن عبد المعطي الزواوي المغربي (ت ٦٢٨ هـ).

المصريون:

- ابن بابشاد أبو الحسن طاهر بن أحمد المصري (ت٤٦٩ هـ).
- ابن بَرِّي أبو محمد عبد الله المصري (ت ٥٨٢ هـ).

آخرون:

- صاحب المغني ابن فلاح تقي الدين منصور اليمني (ت ٦٨٠ هـ).

الفقهاء:

- أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي (ت ١٥٠ هـ).
- الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس المطلبي (ت ٢٠٤ هـ).

الكلاميون:

- القاضي عبد الجبار أبو الحسين بن أحمد الهمداني المعتزلي (ت ٤١٥ هـ).

المذاهب النحوية:

ومن المذاهب التي جاء ذكرها بالعنوان:

- المذهب البصري.
- المذهب الكوفي.
- المذهب البغدادي.
- المذهب الأندلسي.

الكتب:

ومن الكتب ـ وعلى سبيل المثال ـ:

- القرآن الكريم.
- كتاب عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ). إلى أبي موسى الأشعري في القضاء.
- نهج البلاغة من كلام علي بن أبي طالب (ت ٤٠ هـ).
- كتاب سيبويه (ت ١٨٨ هـ).
- الأوسط، للأخفش الأوسط (ت٢١٥ هـ).
- الشافي، للمبرد (ت ٢٨٥ هـ).
- شرح كتاب سيبويه، للسيرافي (ت ٣١٨ هـ).
- التهذيب، للأزهري (ت ٣٧٠ هـ).
- الإيضاح، لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ).
- التذكرة، لأبي علي أيضاً.
- المسائل البصريات، لأبي علي أيضاً.
- كتاب الشعر، لأبي علي أيضاً.
- سر صناعة الاعراب، لابن جني (ت ٣٩٢ هـ).
- الصحاح، للجوهري (ت ٣٩٣ هـ).
- الكشاف، للزمخشري (ت٥٣٨ هـ).
- المفصل، للزمخشري أيضاً.
- المقدمة، للجزولي (ت ٦٠٥ هـ).
- شرح المفصل، لابن يعيش (ت٦٤٣ هـ).

- شرح الكافية، لابن الحاجب (ت٦٤٦ هـ).
- شرح المفصل، لابن الحاجب أيضاً.
- شرح المفصل، للأندلسي (ت ٦٦١ هـ).
- المغني لابن فلاح (ت ٦٨٠ هـ).

التخصصات العلمية:

ومن الجماعات المعرفية التي أورد ذكرها في الكتاب:

- النحاة.
- اللغويون.
- الصرفيون.
- البلاغيون.
- الأدباء.
- الشعراء.
- الفقهاء.
- الأصوليون.
- الكلاميون.
- الفلاسفة.
- المناطقة.

٢ - كذلك قرأته يتناول الكثير من أصول النحو متأثراً بمنهجه في الاستدلال والتحليل والنقد.

فمن هذا:

- ما جاء في ١/٣٨ من تقريره (عدم جواز رد رواية الثقة) عند معارضتها برواية لم يثبت أنها عن ثقة.

قال: «وجوّز الكوفيون وبعض البصريين للضرورة ترك صرف المنصرف لا مطلقاً، بل بشرط العَلَمية، دون غيرها من الأسباب لقوتها - كما نبين لك عند الكلام في تفصيل الأسباب - وذلك بكونها شرطاً لكثير من الأسباب مع كونها سبباً، واستشهدوا بقوله:

فما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع

ومنعه الباقون، استدلالاً بأن الضرورة تجوّز رد الأشياء إلى أصولها فجاز صرف غير المنصرف، ولا يخرج لأجلها الأشياء عن أصولها.

وقريب من هذا الوجه جواز قصر الممدود في الشعر دون مد المقصود إلاّ نادراً.

ومنعوا روايتهم بأن قالوا: الرواية (يفوقان شيخي).

والانصاف أن الرواية لو ثبتت عن ثقة لم يجز ردها، وإن ثبت هناك رواية أخرى».

ـ وفي ١/ ٤١ نقرؤوه يطبق أصل (الاستقراء) ويقيس عليه منتهياً إلى القاعدة، قال: «وأمّا ثلاث ومثلث، فقد قام دليل على أنهما معدولان عن ثلاثة ثلاثة، وذلك أنّا وجدنا ثلاث وثلاثة وثلاثة بمعنى واحد، وفائدتهما تقسيم أمر ذي أجزاء على هذا العدد المعين، ولفظ المقسوم عليه في غير لفظ العدد مكرر على الاطراد في كلام العرب، نحو: (قرأت الكتاب جزءاً جزءاً)، و(جاءني القوم رجلاً رجلاً)، و(أبصرت العراق بلداً بلداً) فكان القياس في باب العدد أيضاً التكرير عملاً بالاستقراء، وإلحاقاً للفرد المتنازع فيه بالأعم الأغلب».

ـ وفي ١/ ٤٥ في موضوع المعدول من الأسماء الممنوعة من الصرف يعطينا قاعدة علمية تطبيقية، وهي إلحاق المشكوك فيه بالأعم الأغلب وحمله عليه في الحكم)، قال: «وثالث الأقسام: جَمْعُ فُعْلى أَفعل التفضيل، ولا عدل فيها إلاّ في (أُخَر) و(جُمَع) وأتباعه ـ كما ذكرناهما.

وأما (عُلَم) وهو وإن جمع شرطين ثبوت فاعل وعدم فُعَل قبل العلمية، فهو غير منصرف، (قُثَم) و(جُحَى) لأنه ثبت (قاثم) و(جاح)، وعدم قثم وجحى قبل العلمية، فحكمنا بكونه معدولاً عن فاعل جنساً، وقطعنا بعدم نقله عن فَعُل الجنسي، فقلنا هو علم مرتجل، أي غير منقول عن شيء وهو معدول، وإنما حملناه على كونه معدولاً، ولم يجوّز أن يكون مرتجلاً غير

معدول كـ(عمران) و(سعاد) لكثرة كون فُعَل الجامع للشرطين غير منصرف، واضطررنا حينئذ إلى تقدير العدل فيه ـ على ما تقدم ـ لئلا تنخرم القاعدة الممهدة، فكل فُعَلَ عَلَمُ جامع للشرطين يجهل بكونه في كلامهم منصرفاً أو غير منصرف، فعلينا أن نقدر العدل فيه ونمنعه الصرف إلحاقاً للمشكوك فيه بالأغلب».

ـ وفي ١/٨٨، في موضع تقدم الفعل على الفاعل، مع أن الفاعل محكوم عليه والفعل محكوم به، فلا بد من وجود المحكوم عليه قبل الحكم من حيث الواقع، وعليه فينبغي أن يكون هذا أيضا في اللفظ ولكن العرب هنا خالفوا الأصل فقدموا الفعل على الفاعل، لأن الفعل عامل، والفاعل معمول، فالعمل طارىء على الأصل المشار إليه، فيقدم، لأن الاعتبار بالطارىء لا المطروء عليه.

قال: «إنما كان أصل المبتدأ التقديم لأنه محكوم عليه، ولا بد من وجوده قبل الحكم، فقصد في اللفظ أيضاً أن يكون ذكره قبل ذكر الحكم عليه.

وأما تقديم الحكم في الجملة الفعلية، فلكون (الفعل) عاملاً في المحكوم عليه، ومرتبه العامل قبل المعمول.

وإنما اعتبر هذا الأمر اللفظي، أعني العمل، وألغي الأمر المعنوي، أعني تقدم المحكوم عليه على الحكم، لأن العلم طارىء والاعتبار بالطارىء دون المطروء عليه».

ـ وفي ٢/ ١٦٠ في موضوع العدد وتركيبه تركيباً رباعياً حيث اختلف فيه بين الكوفيين الذين منعوه، وسيبويه الذي جوّزه، أيضاً يعرض أمامنا أصلاً نحوياً مهماً في التعارض بين قول العالم النحوي الذي يستند في رأيه إلي النقل عن العرب، والآخر الذي يقيس فقط، وهو: أن السماع هنا يقدم على القياس، قال: «فإذا جاوزت العشرة وأردت الإضافة قلت على ما أجاز سيبويه وحكاه عنه العرب (حادي عشر أحد عشر) و(ثالث عشر ثلاثة عشر) فيكون حادي عشر بمنزلة ثالث وأحد عشر بمنزلة ثلاثة، فالمركب الأول بجزئيه

مضاف إلى المركب الثاني بجزئيه، وكلا جزئي كلا المركبين مبنيان.

وقد أنكر ثعلب هذا الوجه، وحكاه عن الكوفيين، وقال: إنهم لا يجوّزون إلاّ (ثالث ثلاثة عشر)، وحجتهم أنه لا يمكن بناء الفاعل من جزئي المركب فتبنيه من الجزء الأول وهو النيّف.

وقول سيبويه أولى لأن ليس اسم فاعل على الحقيقة، وحكايته عن العرب لا تنكر، مع ثقته وعدالته».

٣ ـ وفي المصطلح النحوي يرينا مدى سعة اطلاعه على التسميات المختلفة والمتعددة للمصطلحات النحوية، وقد يضع المصطلح وضعاً.

ـ ففي ١/ ٣٦: سمّى ما يعرف في الاصطلاح البصري (نون الوقاية) بـ(نون العماد)، وقال: «ولهذا يؤتى بنون العماد في نحو: ضربني ويضربني».

ـ وفي ١/ ٤٣ سمّى تعريف الأعلام التعريف الوضعي، ذلك أن الأعلام لم تعرّف بالعلامات أو ما شاكلها، وإنما وضعت معينة، فالوضع هو الذي أعطاها التعريف.

قال ـ في معرض حديثه عن كلمة (أجمع) ومنعها من الصرف ـ: «وقال بعضهم فيه التعريف الوضعي كالأعلام، أي وضع تأكيداً للمعارف بلا علامة التعريف».

٤ ـ وأهم ما أضافه المحقق الرضي للبحث النحوي هو توسعه وتركيزه في المقارنة بين المفاهيم والقواعد النحوية والأخرى من منطقية وفلسفية وأصولية وفقهية.

وهذه نماذج منها:

ـ في ١/ ٩٧: قارن بين الرابط النحوي المستخدم في جملة المبتدأ والخبر كالضمير واسم الإشارة والرابطة المنطقية التي تربط بين الموضوع والمحمول في القضية.

قال: «وأما (الخبر) الجامد فإن كان مؤولاً بالمشتق نحو قولك: (هذا

القاع عرفج كله) أي (غليظ) تحمل الضمير، فـ(كله) ـ ها هنا ـ تأكيد للضمير، ويجوز أن يكون مبتدأ مؤخراً عن الخبر.

وإن لم يكن مؤولاً به، لم يتحمله، خلافاً للكسائي، فكأنه نظر إلى معنى (زيد أخوك) متصف بالأخوة، و(هذا زيد) أي متصف بالزيدية، أو محكوم عليه بكذا، وذلك لأن الخبر عرض فيه معنى الإسناد وبعد أن لم يكن، فلا بد من رابط، وهو الذي يقدره أهل المنطق بين المبتدأ والخبر، فالجامد كله على هذا، متحمل للضمير عند الكسائي».

وفي ١/ ٧٥ يقارن بين الرأي النحوي والرأي الأصولي في دلالة لفظ (إنما) على الحصر.

قال: «وذلك أن المشهور عند النحاة والأصوليين أن معنى (إنما ضَرَبَه زيدٌ عمراً»: (ما ضرب زيدٌ إلاّ عمراً) فإن قدمت المفعول على هذا، انعكس الحصر، كما ذكرناه في (ما ضَرَبَ زيدٌ إلاّ عمراً).

وقد خالف بعض الأصوليين في إفادته الحصر استدلالاً بنحو قوله (ص): (إنما الأعمال بالنيات) و(إنما الولاء للمعتق).

وأجيب: بأن المراد في الخبرين التأكيد، فكأنه ليس عمل إلاّ بالنية، وليس الولاء إلاّ بالعتق، كقوله (ص): (لا صلاة لجار المسجد إلاّ في المسجد).

ـ وفي ١/ ٧٩ طبق قاعدة من قواعد العليّة الفلسفية مستعيراً لها من أصول الفقه.

قال ـ في موضوع التنازع ـ: «والنقل الصحيح عن الفراء مثل هذا: أن الثاني إن طلب ـ أيضاً ـ للفاعلية نحو (ضرب وأكرم زيدٌ) جاز أن يُعمل العاملين في المتنازَع، فيكون الاسم الواحد فاعلاً للفعلين، لكن اجتماع المؤثرين التامين على أثر واحد مدلول على فساده في الأصول (يعني أصول الفقه)، وهم (يعني النحاة) يجرون عوامل النحو كالمؤثرات الحقيقية».

ـ وفي ١/ ٢٣٤ يقارن بين الرأي النحوي والرأي الأصولي في مسألة من

مسائل الاستثناء فيقول: «وأما علة امتناع حذف المستثنى منه في الموجب وجوازه في غير الموجب، فلأن المستثنى المتصل ـ الذي كلامنا فيه ـ يجب دخوله تحت المستثنى منه عند جميع النحاة إلاّ المبرّد، وعند أكثر الأصوليين.

أما المبرد وبعض الأصوليين فانهم يكتفون لصحة الاستثناء بصحة دخوله تحته، حتى أجاز بعضهم (جاءني رجل إلاّ زيداً).

والأول هو الوجه، لأن الاستثناء إخراج اتفاقاً، وهو لا يكون إلاّ بعد تحقق الأصول».

ـ وفي ٢/ ١٧٦ يستخدم مفهوم الجمع المنطقي مستعيراً له من أصول الفقه.

قال: «وأما قوله تعالى ﴿فاقطعوا أيديهما﴾ فإنه أراد أيمانهما بالخبر والإجماع، وفي قراءة ابن مسعود (رض): (فاقطعوا أيمانهما) وإنما اختير الجمع على الإفراد لمناسبته للتثنية في أنه ضم مفرد إلى شيء آخر، ولذلك قال بعض الأصوليين: إن المثنى جمع».

ـ وفي ٢/ ٢٤٤ و٢٦٧ قارن بين مفهوم الدعاء عند النحويين والأصوليين.

قال: «وأما الدعاء فهو داخل في باب الأمر والنهي عند النحاة لا عند الأصوليين ـ كما يجيء في باب الأمر».

وقال في باب الأمر معلقاً على تعريف ابن الحاجب: «ولو قال: (الأمر): صيغة يصح أن يطلب بها الفعل، لكان أصرح في عمومه لكل ما يسميه النحاة أمراً، وذلك أنهم يسمون به كل ما يصح أن يطلب به الفعل من الفاعل المخاطب بحذف حرف المضارعة، سواء طلب به الفعل على سبيل الاستعلاء وهو المسمى أمراً عند الأصوليين، نحو قولك (اضرب) ـ على وجه الاستعلاء ـ أو طلب به الفعل على وجه الخضوع من الله تعالى وهو الدعاء، نحو (اللهم ارحم) أو من غيره وهو الشفاعة».

ـ وفي ٢/ ١٠١ قارن بين الرأي النحوي والرأي الفقهي، قال: «وورود (كذا كذا) مكرراً مع (الواو) نحو (كذا وكذا) أكثر من إفراده، ومن تكرره بلا واو، ويكنى به عن العدد نحو (عندي كذا درهماً)، وعن الحديث نحو (قال فلان كذا)، ولا دلالة فيه على التكثير اتفاقاً.

وكنى بعضهم ب(كذا) المميز بجمع نحو (كذا دراهم) عن ثلاثة وبابها، وبالمكرر دون عطف عن أحد عشر وبابه، وبالمكرر مع العطف عن أحد وعشرين وبابه، وبه قال أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ فطابقوا به العدد حتى أجازوا (كذا درهم) بالجر، حملاً على (مائة درهم)، وهذا خروج عن لغة العرب، لأنه لم يرد مميز كذا في كلامهم مجروراً، والشافعي ـ رحمه الله ـ لا ينظر في تفسير الألفاظ المبهمة إلى ما يناسبها من ألفاظ العدد المفصلة، لأن المفصلة تدل على كمية العدد نصاً، والمبهمة لا تدل عليه، بل يلزم بالإقرار بالمبهم ما هو يقين، وهو الأقل، فيلزم في نحو (كذا درهماً) درهم واحد، وهو الحق».

ـ وفي ٢/٣٦٣ ـ ٣٦٤ قارن أيضاً بين الرأي النحوي والرأي الفقهي في دلالة الواو العاطفة في مثل مثال ابن الحاجب (جاءني زيد وعمرو).

قال: «قوله: (قالوا وللجمع مطلقاً): معنى المطلق: أنه يحتمل أن يكون (المجيء) حصل من كليهما في زمان واحد، وأن يكون حصل من زيد أولاً، وأن يكون حصل من عمرو أولاً.

فهذه ثلاثة احتمالات عقلية، لا دليل في الواو على شيء منها.

هذا مذهب جميع البصريين والكوفيين.

ونقل بعضهم عن الفراء والكسائي وثعلب والربعي وابن درستويه، وبه قال بعض الفقهاء: إنها للترتيب.

دليل الجمهور: استعمالها فيما يستحيل فيه الترتيب نحو (المال بين زيد وعمرو) و(تقاتل زيد وعمرو)، وفيها الثاني فيه قبل الأول كقوله:

أو جونة قدحت وفض ختامها

وقوله تعالى: ﴿**واسجدي واركعي**﴾، وقوله تعالى: ﴿**نموت ونحيا**﴾، والأصل في الاستعمال الحقيقة.

ولو كانت للترتيب لتناقض قوله تعالى: ﴿**وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة**﴾ وقوله في موضع آخر ﴿**وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً**﴾ إذ القصة واحدة».

٣ ـ يشترط الرضي لدلالة اللفظ على المعنى إذا كانت الدلالة بالوضع والجعل قصد أن تكون الدلالة متواطئاً عليها عند أبناء تلكم اللغة.

في ٣/١: والمقصود من قولهم (وضع اللفظ): جعله أولاً لمعنى من المعاني مع قصد أن يصير متواطئاً عليه بين قوم.

فلا يقال: إذا استعملت اللفظ بعد وضعه في المعنى الأول، إنك واضعه، إذ ليس جعلاً أولاً، بل لو جعلت اللفظ الموضوع لمعنى آخر مع قصد المتواطىء، قيل: إنك واضعه، كما إذا سميت بـ(زيد) رجلاً، ولا يقال لكل لفظة بدرت من شخص لمعنى، إنها موضوعة له من دون اقتران قصد التواطىء بها، ومحرفات العوام على هذا ليست ألفاظاً موضوعة لعدم قصد المحرف الأول إلى التواطىء».

٤ ـ والرضي من أفضل من فلسف العامل والنحوي وأوضح معناه في الاستعمال الاجتماعي عند العرب وفي حواراتهم وكلامهم، وأبان عن مقصوده في المفهوم العلمي عند النحاة وفي لغتهم المستخدمة في الدرس النحوي.

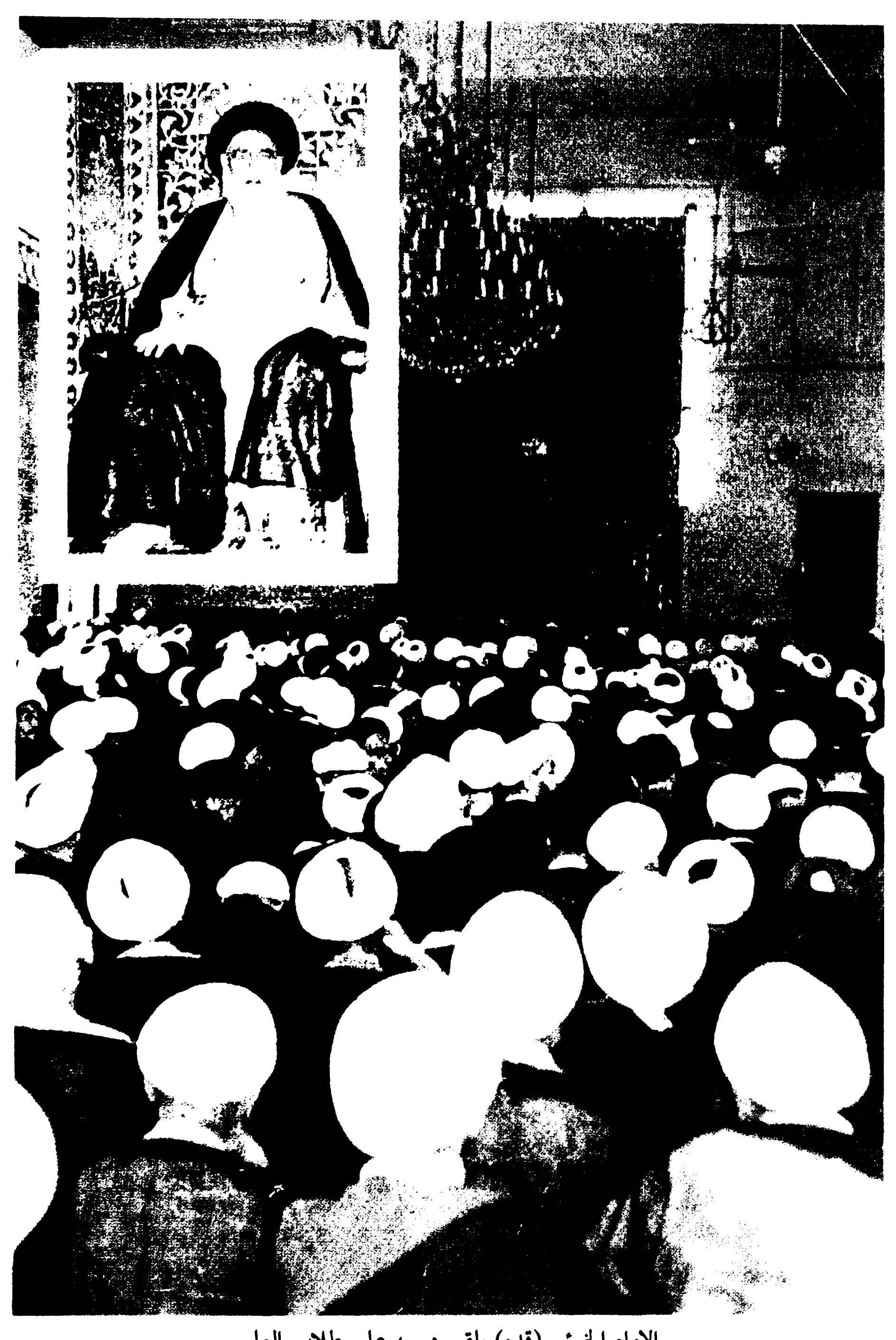
ففرق بينه عند العرب وعند النحاة، فهو عند العرب علامة دالة على معنى في مفردة اشتملت عليها الجملة... بينما هو عند النحاة كالعلة المؤثرة.

بمعنى أن واقعه ليس علة كالعلل الواقعية والحقيقية، وإن هو كالعلة الحقيقة المؤثرة، ولهذا سموه عاملاً ولم يسموه علة، وذلك لأن العامل الحقيقي أو العلة المؤثرة هو المتكلم.

ويوضح هذا الفرق بالتمثيل له بالقاطع والسكين، فالإنسان الذي يمسك السكين بيده ويقطع بها الشيء هو العلة الحقيقية المؤثرة للقطع، والسكين آلة توسل بها الإنسان للوصول إلى القطع.

وفي ضوئه:

إن العامل لوجود الضمة على آخر الفاعل ـ مثلاً ـ هو المتكلم، والضمة آلة توصل المتكلم من خلالها لبيان أن الاسم المضموم هو الفاعل الذي صدر منه، الفعل.



الإمام الخوئي (قده) يلقي درسه على طلاب العلم

ونلمس هذا من مجموع ما توزع من أقواله في العامل النحوي، ومنه:

ـ ما جاء في ١/ ١٨، قال ـ وهو في معرض شرح معنى كلمة (الاختلاف) الواردة في تعريف الإعراب بأنه اختلاف العلامة لاختلاف الإعراب ـ: «لأن الاختلاف حاصل من العامل بالآلة التي هي الإعراب، فهما في الظاهر كالقاطع والسكين، وإن كان فاعل الاختلاف في الحقيقة هو المتكلم بآلة الإعراب، إلاّ أن النحاة جعلوا العامل كالعلة المؤثرة، وإن كان (هو) علامة لا علة، ولهذا سموه عاملاً.

ـ وجاء في ١/ ٢٥، قال ـ تعليقاً وشرحاً لتعريف ابن الحاجب للعامل ـ: «قوله: (والعامل: ما به يتقوم المعنى المقتضي للاعراب)، إنما بين العالم لاحتياج قوله ـ قبلُ ـ (ويختلف آخره لاختلاف العامل) إلى بيانه. ويعني بـ(التقوم): نحواً من قيام العرض بالجوهر، فإن معين الفاعلية والمفعولية والإضافة كون الكلمة عمدة أو فضلة أو مضافاً إليه، وهي كالأعراض القائمة بالعمدة والفضلة والمضاف إليه بسبب توسط العامل.

فالموحد ـ كما ذكرنا ـ لهذه المعاني هو المتكلم، والآلة العامل، ومحلها الاسم.

وكذا الموجد لعلامات هذه المعاني هو المتكلم، لكن النحاة جعلوا الآلة كأنها هي الموجدة للمعاني ولعلاماتها ـ كما تقدم ـ فلهذا سميت الآلات عوامل».

ـ وما جاء في ١/ ٨٧، قال عند حديثه عن عامل المبتدأ في رأي البصريين ـ: «وأما العامل في المبتدأ، فقال البصريون هو الابتداء، وفسروه بتجريد الاسم عن العوامل للإسناد إليه، ويكون معنى الابتداء في المبتدأ الثاني تجريد الاسم عن العوامل لإسناده إلى شيء.

واعترض بأن التجريد أمر عدمي فلا يؤثر.

وأجيب بأن العوامل في كلام العرب علامات في الحقيقة لا مؤثرات، والعدم المخصوص ـ أعني عدم الشيء المعين ـ يصح أن يكون علامة لشيء لخصوصيته».

٥ ـ وكذلك هو من أفضل من أوضح معنى العلة النحوية، وفرّق بينها وبين العلة الفلسفية، ذلك أن العلة الفلسفية سبب واقعي لحصول الشيء، بينما العلة النحوية ليست كذلك، وإنما هي نوع من العلاقة بين الشيء والحكم النحوي تعتمد المناسبة بينهما، أي أن المتكلم يلتزم التزاماً اعتبارياً، تفرضه عليه طبيعة التزامه باللغة أنه إذا حصل ذلك الشيء أتبعه حكمه النحوي.

قال في ١/ ٣٥: «اعلم أولاً أن قول النحاة إن الشيء الفلاني علة لكذا، لا يريدون به أنه موجب له، بل المعنى أنه شيء إذا حصل ذلك الشيء ينبغي أن يختار المتكلم ذلك الحكم لمناسبة بين ذلك الشيء وذلك الحكم، والحكم في اصطلاح الأصوليين ما توجبه العلة، وإياه عنى المصنف بقوله: (وحكمه أن لا كسر ولا تنوين) لأن سقوط الكسر والتنوين في غير المنصرف مقتضي العلتين».

٦ ـ ومن آرائه النحوية القيمة رأيه في أصل الخبر، فقد ذهب النحاة إلى أن الأصل في الخبر أن يكون نكرة لأنه إذا كان معرفة كان معلوماً، ولا فائدة بالإخبار بما هو معلوم، أما إذا كان مجهولاً فبالإسناد يصبح معلوماً لدى السامع والقارىء، فيكون المتكلم أو الكاتب قد أفادهما معلومة جديدة.

هذه خلاصة ما أفاده النحويون في هذه المسألة، إلاّ أن الرضي خالفهم فيها فذهب إلى أن المجهول في جملة المبتدأ والخبر هو الإسناد أو انتساب الخبر إلى المبتدإ، أو اتصاف المبتدأ بالخبر، والفائدة التي يستفيدها السامع أو القارىء من جملة المبتدأ والخبر كمعلومة جديدة هو إسناد أو انتساب الخبر إلى المبتدأ، أو اتصاف المبتدأ بالخبر.

قال في ١/ ١٠٩: «وأما قول النحاة: (أصل الخبر التنكير لأن المسند ينبغي أن يكون مجهولاً) فليس بشيء، لأن المسند ينبغي أن يكون معلوماً كالمسند إليه، وإنما الذي ينبغي أن يكون مجهولاً هو انتساب ذلك المسند إلى المسند إليه، فالمجهول في قولك (زيد أخوك) هو انتساب أخوة المخاطب إلى زيد وإسناده إليه لا أخوته».

وهو رأي جيد لأن الإخبار بالمجهول لا يفيد أكثر من أن هذا الخبر

المجهول اتصف به المبتدأ المعلوم فتبقى فائدة الجملة غير تامة. لأنها متوقفة على العلم بالخبر، ولكن في حالة كون معنى المبتدأ معلوماً عند المخاطب، وكذلك معنى الخبر، يأتي الإخبار مفيداً. وتكون الجملة تامة من حيث إضافة المعلومة الجديدة وهي الاتصاف أو الانتساب.

٧ ـ وللرضي رأي في أصل لفظ الجلالة (الله) لخصه بقوله في ١/ ١٤٥: «وأصله (الإله) فِعال بمعنى مفعول، والإلاهة العبادة، وأَلَه ـ بفتح العين ـ أي عَبَد، فآله بمعنى مألوه أي معبود، فـ(الله) في الأصل من الأعلام الغالبة، كالصعق)، كأنه كان عاماً في كل معبود، ثم اختص بالمعبود بالحق لأنه أولى من يؤله أي يعبد، وصار مع لام العهد علماً له فللكثرة استعمال هذه اللفظة صار تخفيف همزتها أغلب من تركة وصار الألف واللام كالعوض من الهمزة لقلة اجتماعهما، ولا نقول اجتماعهما يختص حال الضرورة كما قلنا في الاناس، وذلك أنه قد يجيء الآله في السعة، أورد أبو الفرج الأصفهاني أن أمية ابن خلف كان يسمي عبد الرحمن بن أمية عبد الآله فلما خففت الهمزة نقلت حركتها إلى ما قبلها كما هو القياس وحذفت فصار الله، ثم أسكنوا اللام الأُولى وأَدغموها في الثانية».

٨ ـ وفي تعليقه على قراءة ابن عامر: (قتلُ اولادَهم شركائِهم) بالفصل بين المصدر المضاف وفاعله المضاف إليه بمفعوله.

وكذلك في تعليقه على قراءة حمزة حبيب الزيات: (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) بجر (الأرحام) عطفاً على الضمير في (به).

ذهب إلى عدم تواتر القراءات السبع، قال في التعليق على الأولى (١/ ٢٩٣): «ولا نسلم تواتر القراءات السبع وإن ذهب إليه بعض الأصوليين».

وقال في التعليق على الثانية (١/ ٣٢٠): «والظاهر أن حمزة جوز ذلك بناء على مذهب الكوفيين لأنه كوفي ولا نسلم تواتر القراءات».

وجاء في هامشه ـ في النشرة التي بين يدي ـ التعليق التالي: «منع الرضي تواتر القراءات السبع موافقةً للزمخشري في هذه الزلة، وجمهور المحققين

ذهبوا إلى أن القراءات السبع متواترة، ذكر ذلك المولى التفتازاني في شرحه للكشاف».

والقول بعدم تواتر القراءات السبع قول نادر شاذ، ذهب إليه ـ في حدود اطلاعي ـ الزمخشري صاحب الكشاف، والزركشي صاحب البرهان، من مفسري أهل السنة، والبلاغي صاحب آلاء الرحمن والخوئي صاحب البيان من مفسري الشيعة.

والتسالم من الجميع ـ محققين وغيرهم ـ على تواتر القراءات السبع، إذ لا يوجد نص قرآني غير القراءات المتواترة سبعاً كانت أو أكثر، وهذا يعني أن القرآن والقراءة المتواترة متحدان.

وقد أوضحت هذا بشكل مفصل في كتابي (القراءات القرآنية: تاريخ وتعريف) فليراجع.

٩ ـ ومن الطريف أن ترى وانت تقرأ شرح الرضي على الكافية بعض ظواهر مذهبية هي من مختصات الشيعة، أمثال:

ـ استعماله الصلاة التامة، كما في ١/ ٢٤ قال: «من قوله صلى الله تعالى عليه وآله».

ـ تمثيله لجواز تقديم المفعول على الفاعل اللذين لم تظهر علامة الإعراب فيهما بقوله في ١/ ٧٣: «نحو (أكل الكمثري موسى) و(واستخلف المرتضى المصطفى) ـ».

ـ وفي ١/ ٢٨٨ يمثل لإضافة الموصوف إلى الصفة بقوله: (صلاة الوتيرة) وهي نافلة العشاء في المذهب الإمامي.

ـ وفي ٢/ ٨٨ يمثل لإضافة العدد على وزن فاعل بقوله: (كما تقول: الحسين ثالث الاثني عشر) أي ثالث الأئمة الإثني عشر (ع)، والاعتقاد بإمامة الأئمة الإثني عشر وعصمتهم من خصائص مذهبنا الإمامي الإثني عشري.

وبعد هذا لا بد من الإشارة إلى مفارقتين وقع فيهما بعض من أرخ لحياته، وهما: الاشتباه في تحديد موطنه وتحديد تاريخ وفاته.

ـ **موطنه**:

كنت قد تناولت تعيين موطنه وبيان المفارقة في نسبته إلى غيره في بحثي عن (مراكز الدراسات النحوية) فقلت:

وقد أشار الرضي في مقدمة شرحه للكافية وفي خاتمته أيضاً إلى سكناه النجف الأشرف، وتأليفه الشرح المذكور فيها، قال في المقدمة: وبعدُ، فقد طلب إليّ بعض من أعتني بصلاح حاله، وأسعفه بما تسعه مقدرتي من مقترحات آماله، تعليق ما يجري مجرى الشرح على مقدمة ابن الحاجب عند قراءتها عليّ، فانتدبت له مع عوز ما يحتاج إليه الغائص في هذا اللج، والسالك لمثل هذا الفج، من الفطنة الوقادة، والبصيرة النقادة، بذلاً لمسؤوله، وتحقيقاً لمأموله، ثم اقتضى الحال بعد الشروع، التجاوز عن الأصول إلى الفروع، فإن جاء مرضياً فببركات الجناب المقدس الغروي، صلوات اللّه على مشرفه، لاتفاقه فيه، وإلاّ فمن قصور مؤلفه فيما ينتحيه».

وقال في الخاتمة: «هذا آخر شرح المقدمة، والحمد للّه على إنعامه، وإفضاله بتوفيق إكماله، وصلواته على محمد وكرام آله.

وقد تم تمامه، وختم اختتامه، في الحضرة المقدسة الغروية، على مشرفها أفضل تحية ربٍّ العزة وسلامه، في شوال ست وثمانين وستمائة».

ذلك لأن (الجناب المقدس الغروي) كما في المقدمة، أو (الحضرة المقدسة الغروية) كما في الخاتمة، هو مشهد الإمام علي (رض)، هذا لأن النجف تسمى بـ(الغري) أيضاً.

وجاءت تسمية مدينة النجف التي تضم مرقد الإمام علي (رض) بـ(الغري)، ـ ومثناه (الغريّان) ـ لأنها تقع قرب (الحيرة) التي كانت قاعدة ملك المناذرة، في موقع كان فيه الغريّان، وهما ـ كما تنص المعاجم اللغوية والجغرافية أو البلدانية التي ذكرتهما ـ قبرا مالك وعقيل نديمي جَذيمة الأبرش، جاء في (لسان العرب: مادة: غرا) ما نصه: «وكل بناء حسن غري، والغريان المشهوران بالكوفة منه، حكاها سيبويه، أنشد ثعلب:

لـو كـان شـيء لـه أن يبيـد علـى　　طـول الـزمـان لمـا بـادَ الغـرّيـانِ

قال ابن بري: وأنشد ثعلب:

لو كان شيء أبى أن لا يبيدَ على طـول الـزمـان لمـا بـادَ الغـريـانِ

قال: وهما بناءان طويلان، يقال: هما قبرا مالك وعقيل نديمي جذيمة الأبرش.

وسميا (الغريين) لأن النعمان بن المنذر كان يغريّهما بدم من يقتله في يوم بؤسه، قال خطام المجاشعي:

أهـل عـرفـت الـدار بـالغـريـينْ لـم يبـقَ مـن آيٍ بهـا يحليـيّـنْ
غيـر خطـامٍ ورمـاد كنفيـنْ وصـاليـات ككمـا يـؤثفيـنْ»

ذكرت هذا لأشير إلى مفارقة وقع فيها أكثر من مؤرخ ممن أرخ لسيرة الرضي، حيث وهموا أم مراده من (الحضرة الغروية) المدينة المنورة فنسبوه إليها، ومن هؤلاء الشيخ محمد الطنطاوي، فقد جاء في كتابه (نشأة النحو) في ترجمته للرضي ما نصه: «هو محمد بن الحسن نجم الملة والدين الأستراآبادي، هجر بلاد المشرق وأقام بالمدينة المنورة وألف شرحه على الكافية لابن الحاجب في النحو»[١].

ومضافاً إلى ما تقدم، فإنه لم تحدثنا كتب التاريخ أو غيرها أن المدينة المنورة سميت يوماً بالغري، وفي الوقت الذي تنص تلكم المصادر على أن النجف عرفت وسميت بالغري ولا تزال تعرف وتسمى به[١].

ـ وفاته:

قال الشيخ القمي في (الكنى والألقاب ٢/ ٢٧٧): «وتوفي ـ كما في (أمل الآمل) ـ سنة ٦٨٦ هـ».

وقال الشيخ الأفندي في (رياض العلماء ٥/ ٥٣): «ووفاته ٦٨٦ على ما ذكره القاضي نور الله التستري في (مجالس المؤمنين).

---

(١) لمعرفة هذا يراجع أمثال:
كتاب ماضي النجف وحاضرها لجعفر محبوبة.
كتاب فرحة الغري لابن طاووس.

أقول: ورأيت في نسخة عتيقة صورة خطه على (شرح الكافية): أن فراغه منه في جمادى الأولى سنة ثمان وثمانين وستمائة».

وجاء في خاتمة النسخة المطبوعة من (شرح الشافية) قوله: «والحمد لله رب العالمين، وصلاته على سيدنا محمد وعترته الطاهرين، وسلم تسليماً كثيراً، وفق الله تعالى لإتمام تصنيفه في ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وستمائة، بالحضرة الشريفة المقدسة الغروية على مشرفها أفضل التحية والسلام».

وهذا يعني أنه كان حياً سنة ٦٨٨ هـ، وهذا يبطل ما جاء في (أمل الآمل) و(مجالس المؤمنين).

وعليه فوفاته إما أن تكون في سنة ٦٨٨ هـ أو بعدها.

ـ ويبدو أن شهرته في علمي النحو والصرف غطت على جوانب أخرى بارزة في حياته كاجتهاده الفقهي، ومرجعيته في التقليد، وتضلعه في علمي المنطق والكلام.

وأخيراً:

إن المحقق الرضي كان مدرسة لغوية تمثل منهجها في التالي:

١ ـ اعتماد التحليل والنقد لآراء وأدلة اللغويين والنحويين، في ضوء ووفق الأصول العلمية المرعية في الأوساط العلمية آنذاك.

٢ ـ الاستدلال بالاستعمال العربي في ضوء ما يفهم من ظاهره أو ما يهتدى إليه من خلال القرائن.

٣ ـ المقارنة بين نتائج الدرس النحوي والدرس المنطقي والدرس الأصولي وآراء العلماء في العلوم الأخرى التي تلتقي والفكر النحوي في الموضوع.

٤ ـ استخدامه وسيلة الاجتهاد التي يمتلكها بصفته فقيهاً اسلامياً إمامياً.

رحمه الله رحمة العلماء العاملين، وجزاء الأوفياء المحسنين.

٣ ـ الجرجاني:

ركن الدين محمد بن على الفارسي الغروي من علماء المائة الثامنة، كما

يشير إليه ما جاء في تاريخ الفراغ لبعض تآليفه، فقد ألف كتابه الموسوم بـ(الأبحاث في تقويم الأحداث) في الغري (النجف)، «وفرغ منه بالحضرة العلوية في يوم الجمعة الثالث من جمادى الثانية ٧٢٨ هـ» ذكر هذا شيخنا الطهراني في (الذريعة ١/ ٦٣).

وهو ـ أيضاً ـ من تلامذة العلامة الحلي المتوفى سنة ٧٢٦ هـ، كما ذكر هذا الدكتور الأميني في (رجال الفكر والأدب ١/ ٣٣١).

له من المؤلفات اللغوية:

١ ـ الإشارات في علم البلاغة.

٢ ـ البديع في النحو.

٣ ـ سرائر العربية.

٤ ـ المباحث العربية.

٤ ـ الكوفي:

عفيف الدين ربيع بن محمد الكوفي القاضي بعد سنة ٦٨٨ هـ.

له من الؤلفات في اللغة العربية:

١ ـ شرح بيان كتاب سيبويه والمفصل.

٢ ـ شرح كتاب المقصود والمحدود.

٣ ـ شرح مقصودة ابن دريد.

٥ ـ ابن العتائقي:

كمال الدين عبد الرحمن بن محمد من علماء المائة الثامنة، كما يشير إليه تاريخ فراغه من بعض مؤلفاته مثل (الإرشاد في معرفة مقادير الأبعاد في الهندسة) الذي فرغ منه آخر نهار الأربعاء عشرين من المحرم من سنة ٧٨٨ هـ، في النجف الأشرف (انظر: مقدمتي لكتابه الناسخ والمنسوخ ص ١٣ ط النجف ١٣٩٠ هـ).

كان من الفقهاء الأعلام والمشاركين في الكثير من العلوم، والمكثرين في التصنيف والتأليف.

له في اللغة العربية الكتب التالية:

١ ـ الأضداد في اللغة.

٢ ـ الحدود النحوية والمآخذ على الحاجبية.
٣ ـ الدر المنتخب من لباب الأدب في علم البلاغة.
٤ ـ شرح ديوان المتنبي.

٦ ـ الكفعمي:

تقي الدين إبراهيم بن علي الحارثي العاملي المتوفى سنة ٩٠٥ هـ.

كان من أعلام الطائفة الإمامية في الفقه واللغة، وأكابر المتعبدين المجتهدين.

عرف بكثرة البحث ووفرة التأليف.

ومن مؤلفاته في اللغة العربية:

١ ـ مختصر المجازات النبوية للشريف الرضي.
٢ ـ مختصر الحدود والحقائق في تفسير الألفاظ المتداولة في الشرع وتعريفها للشريف المرتضى.
٣ ـ مختصر غريب القرآن للسجستاني.
٤ ـ مختصر الغريبين للهروي
٥ ـ مختصر مغرب اللغة للمطرزي.
٦ ـ مختصر نزهة الألباء في طبقات الأدباء للأنباري.
٧ ـ البديعية.
٨ ـ زهر الربيع في شواهد البديع.
٩ ـ فرج الكرب وفرح القلب في علم الأدب.
١٠ ـ فروق اللغة.
١١ ـ نهاية الأدب في أمثال العرب.
١٢ ـ نُور حدقة الربيع البديع ونَور حديقة الربيع في شرح بعض قصائد العرب المشهورة.

٧ ـ الملا عبد الله:

الملا عبد الله بن حسين اليزدي المتوفى سنة ٩٨١ هـ.

من خزنة وسدنة الروضة العلوية في النجف الأشرف، كان من الفقهاء الأعلام، إلاّ أنه اشتهر بالعلوم العقلية كالمنطق والكلام أكثر من سواها.

له من التأليف في اللغة العربية:

١ ـ حاشية المطول في علوم البلاغة للتفتازاني.

٢ ـ حاشية مختصر المطول في علوم البلاغة للتفتازاني أيضاً.

واشتهر الملا عبد الله بحاشيته على تهذيب المنطق للتفتازاني المعروفة في الحوزات العلمية الإمامية بـ(حاشية ملا عبد الله)، وهي من مقررات الدرس المنطقي في الحوزات العلمية الإمامية، وعليها أكثر من حاشية وشرح.

نقلة:

ـ وبعد أن وصلنا في تعريفنا للغويين في النجف الأشرف إلى نهاية القرن العاشر الهجري، حيث استعادت النجف مركزيتها العلمية الأم على يد العلمين المتعاصرين المحقق الكركي المتوفى سنة ٩٤٠ هـ والمولى الأردبيلي المتوفى سنة ٩٩٣ هـ، فنشطت فيها حركة التأليف، وكثرت المؤلفات، أرى أن أذكر أسماء الرجال الذين ألفوا في علوم اللغة العربية وآدابها في هذا الوسط العلمي وفق التصنيف الألفبائي للعاملين التاليين:

١ ـ تيسير الرجوع لمعرفة التراجم.

٢ ـ عدم ذكر تاريخ وفاة بعض المترجمين، فلا يعلم على نحو الضبط من أي قرن هو، وهذا مما قد يعسّر الرجوع لمعرفة ترجمته.

والذي استطعت أن أوفق للوقوف عليه من أسماء المؤلفين في اللغة العربية علومها وآدابها من النجفيين من خلال ما توفر لدي من مصادر ومراجع ـ وهي قليلة ـ هو الآتي:

٨ ـ إبراهيم الوائلي:

الأستاذ إبراهيم بن محمد بن عبد الحسين آل حرج الوائلي، من أدباء القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين.

بدأ دراسته العلمية في حوزة النجف الأشرف، وتخرج في مجالسها

وأنديتها أديباً شاعراً، ثم انتقل إلى بغداد مدرساً للغة العربية في إحدى مدارسها الأهلية.

وفي سنة ١٣٦٥ هـ سافر إلى مصر والتحق بكلية دار العلوم بالقاهرة، وأكمل فيها متطلبات البكالوريوس فالماجستير، وقفل بعد هذا إلى بغداد، وعيّن أستاذاً للأدب العربي في جامعتها حتى توفي.

له من الآثار الأدبية اللغوية:

- لغة الشعر العراقي في القرن التاسع عشر.

إلى انتاجات أدبية أخرى على شكل تأليفات وتحقيقات ومقالات، نشرها في الكثير من الدوريات العراقية والأدبية.

٩ ـ أبو الحسن المشكيني:

الشيخ أبو الحسن بن عبد الحسين الأردبيلي المتوفى سنة ١٣٥٨ هـ.

فقيه مجتهد وأصولي مؤلف، له حاشية على كتاب (كفاية الأصول) لأستاذه الخراساني، اشتهرت في الأوساط العلمية الحوزوية واشتهر بها.

من أعماله اللغوية:

- رسالة في المعنى الحرفي.

١٠ ـ أبو عبدالله الزنجاني :

السيد أبو عبد الله بن محمد الموسوي المتوفى سنة ١٣١٣ هـ.

من الفقهاء المراجع وأساتذة الحوزات العلمية المبرزين.

له في علوم اللغة العربية:

- كتاب الميزان في علم العروض.

١١ ـ أبو الفضل النوري:

الشيخ أبو الفضل بن ابي القاسم بن محمد علي الكلانتري المتوفى سنة ١٣١٦ هـ.

من الفقهاء المجتهدين والحكماء المتكلمين والشعراء المجيدين.

له في اللغة العربية:
١ ـ قلائد الدرر في علم الصرف.
٢ ـ منظومة في النحو.

٢١ ـ أبو القاسم الصفوي:

السيد أبو القاسم بن إبراهيم بن عبد الحسين الموسوي المتوفى سنة ١٣٧٠ هـ.

كان عالماً فقيهاً أصولياً.
له في علوم اللغة العربية:
ـ رسالة في النحو.

١٣ ـ أبو القاسم الكرجي:

الدكتور أبو القاسم بن محمد الطهراني من علماء القرن الخامس عشر.
تلمذ في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف على أفاضل أساتذتها أمثال: السيد ميرزا عبد الهادي الشيرازي والشيخ محمد علي الجمالي الكاظمي والشيخ كاظم الشيرازي والسيد أبي القاسم الخوئي.

ثم التحق في طهران بمعهد العلوم الإسلامية، وتخرج فيه بدرجة دكتوراه في الفلسفة الاسلامية، وعيّن أستاذاً بجامعة طهران.

من آثاره العلمية في اللغة العربية:
ـ كتاب في الصرف والنحو.

١٤ ـ أحمد أبو قطفان:

الشيخ أحمد بن حسن بن علي السعدي المتوفى سنة ١٢٩٣ هـ.

قال الشيخ آل محبوبه في (ماضي النجف وحاضرها ٣/ ١٠٠): «ذكره الشبيبي في مجلة (الحضارة) فقال: كان من النحاة الملمين باللغة والتاريخ والفقه والأصول، ينظم الشعر ويترسل، ونثره خير من نظمه، وله موال كثير».

وذكره الخاقاني في (شعراء الغري ١/ ١٧٠) فقال: «وكان ماهراً في علمي النحو والعروض».

١٥ ـ أحمد البهبهاني:

السيد أحمد بن محمد باقر الموسوي الحائري المتوفى سنة ١٣٥١ هـ.

من العلماء الفقهاء، له في النحو:

ـ الفريدة النحوية.

١٦ ـ أحمد البهبهاني:

الشيخ أحمد بن محمد بن علي بن محمد باقر (الوحيد البهبهاني) المتوفى سنة ١٢٤٣ هـ.

عالم مجتهد ومرجع عام ومؤلف مكثر، له في النحو:

ـ المحمودية في شرح الصمدية.

١٧ ـ أحمد النحوي:

الشيخ أحمد بن حسن بن علي بن الخواجه المتوفى سنة ١١٨٣ هـ أو ١١٨٧ هـ.

قال الشيخ محبوبه في (ماضي النجف وحاضرها ٣/ ٤٤٣): «علم من أعلام القريض، وبحر من بحور الآداب، يموج بتيار النظم، ويزبد في لجج اللغة، تروي من مناهله رواد العلم، وتستقي من موارده ظمايا الكمال والفضل، وتغرف من بحره نهال اللغة، فهو في العلوم الدينية عالم، وفي الآداب مرجع، عنه تأخذ الأدباء أصولها، وفي اللغة هو البحر المحيط».

له من مؤلفات في هذا المجال:

١ ـ شرح القصيدة الدريدية.

٢ ـ أرجوزة في علم البلاغة.

١٨ ـ أحمد الطعان:

الشيخ أحمد بن صالح بن طعان الستري البحراني المتوفى سنة ١٣١٥ هـ.

من العلماء الأدباء، والمحدثين الرجاليين، والمؤلفين المكثرين، له في النحو:

- كاشفة السجف عن موانع الصرف.

١٩ - أحمد آل عبد الرسول:

الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الرسول السماوي المتوفى سنة ١٣٣١ هـ.

من الفقهاء المراجع والزعماء الصلحاء، له في اللغة العربية:

١ - منظومة في النحو.

٢ - كتاب في المعاني والبيان.

ومن نحوياته: اللغز التالي:

يا من ببحر يجني الدررا ... ما مبتدا ليس له من خبر

وليس وصفاً لفظه نفي بلا ... ولا بالاستفهام شاب الخبر

وقد أجابه الشيخ علي البلادي صاحب كتاب أوار البدرين بقوله:

ذا مبتدا صدر بالنفي في المعـ ... ـنى فألجأه لحذف الخبر

وكان فيه فاعل قد غني ... عنه كما جاء ببعض الصور

تقول غير ضارب عبدنا ... عبدكم أو غير معطي عمر

٢٠ - أحمد قصير:

الشيخ أحمد قصير العاملي، من المعاصرين.

تلمذ في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف، والتحق بكلية الفقه، وتخرج فيها عالماً فاضلاً، له في النحو:

- متن الآجرومية ودروس في النحو.

واشترك مع زميله في الدرس السيد شوقي الأمين العاملي في تحقيق ونشر كتاب (التبيان في تفسير القرآن) للشيخ الطوسي.

٢١ - أحمد العلومي:

الشيخ أحمد بن ملا حسين اليزدي المتوفى سنة ١٣٩٣ هـ.

قال الدكتور الأميني في (الرجال ١/١٠٧): «من كبار العلماء، وأجلاء

المجتهدين. . .هاجر إلى النجف وتتلمذ على الميرزا حسين النائيني والسيد الأصفهاني والسيد محمد الفيروز آبادي والسيد أقا الأصطبهاناتي، ونال درجة عالية من الفقاهة والاجتهاد، وقفل إلى إيران وأقام بمدينة قم وتصدى للتدريس والبحث».

له في النحو:

ـ المغني عن المغني.

٢٢ ـ أحمد الكاظمي:

الشيخ أحمد بن محمد حسين العاملي الكاظمي المتوفى سنة ١٣٢٤ هـ.

فقيه مجتهد وأديب شاعر، له:

ـ منظومة في النحو.

٢٣ ـ أحمد المراغي:

الشيخ أحمد بن علي أكبر التبريزي المعروف بالفاضل المراغي المتوفى سنة ١٣١٠ هـ.

فقيه أصولي، ومؤلف محقق، له:

١ ـ حاشية الصمدية في النحو.

٢ ـ حاشية المطول في البلاغة.

٢٤ ـ أحمد مغنية:

الشيخ أحمد بن محمود بن محمد العاملي المتوفى حدر. سنة ١٣٢٨ هـ.

قال الدكتور الأميني في (الرجال ١/ ٦٣): «أديب كبير وكاتب جليل وسياسي محنك وصحافي قدير»، له في النحو:

ـ سلسلة القواعد العربية الصحيحة.

٢٥ ـ أحمد الواعظ:

السيد أحمد الواعظ بن محمد مهدي الكاظمي المعاصر، التحق بكلية الفقه وواصل دراسته العليا بالقاهرة، وهو اليوم من أساتذة اللغة العربية.

له:
ـ التبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم (تحقيق ودراسة).

٢٦ ـ أسد الله البروجردي:
الشيخ أسد الله بن محمد صادق المتوفى بعد سنة ١٢٨٦ هـ.

من الفقهاء الأصوليين وأساتذة الحوزة العلمية في النجف الأشرف، له: كتاب في النحو.

٢٧ ـ إسماعيل الأرومي:
الشيخ إسماعيل بن علي نقي التبريزي المتوفى سنة ١٢٩٥ هـ.

فقيه مجتهد، كثير التأليف، ومن مؤلفاته في اللغة:
ـ كتاب لغات القرآن.

٢٨ ـ باقر القزويني:
السيد باقر بن هادي القزويني الحلي المتوفى سنة ١٣٣٣ هـ.

نشأ في مدينة الحلة حيث تقيم أسرته، وتعلم في النجف الأشرف حتى صار من ذوي الفضل والأدب.

له في علوم اللغة العربية: كتاب في الصرف.

٢٩ ـ جعفر الأعرجي:
السيد جعفر بن محمد الحسيني الأعرجي المتوفى سنة ١٣٣٢/ هـ، اشتهر في تضلعه بالأنساب والرجال والتاريخ، وكثر تأليفه فيها.

له في اللغة العربية:
١ ـ الدروس في شرح قطر الندى.
٢ ـ تلخيص المغني.

٣٠ ـ جعفر الشرقي:
الشيخ جعفر بن محمد حسن الشرقي المتوفى سنة ١٣١٠ هـ.

قال السيد الأمين في (الأعيان ٢١١/١٦): «نشأ نشأة علمية وأدبية رفعته

إلى مقام الزعامة، وحاز شهرة في العلم والأدب حتى أصبح يعد في طليعة العلماء والادباء من العرب، فكان عالماً فقيهاً متميزاً شاعراً أديباً متفوقاً، ذكي الفؤاد، قوي الفكر، رقيق الطبع، حسن العشرة، معروفاً بالفضل والعلم بين علماء العراق، وممن يشار إليهم بالبنان».

وترجمة الدكتور الأميني في (الرجال ٢/ ٧٤١) فقال: «كان بيته مجمع الأدباء والعلماء وأهل الفضل، يرجع إليه في بعض المشاكل اللغوية والأدبية».

٣١ ـ جعفر الكرباسي:

الشيخ محمد جعفر بن إبراهيم بن علي الكرباسي المعاصر، تتلمذ على والده الفقيه الشيخ إبراهيم في الحوزة العلمية بالنجف، ثم اتجه إلى التعليم في مدارس النجف الأشرف النظامية يدرس مادة اللغة العربية، فبرز فيها أستاذاً وكاتباً نشرت له الصحف النجفية.

ومن أعماله اللغوية: تحقيق كتاب (جواهر القاموس في المجموع والمصادر) تأليف محمد بن شفيع القزويني من علماء القرن الثاني عشر الهجري، نشرته جمعية منتدى النشر في النجف الاشرف.

٣٢ ـ جعفر الكريم:

الدكتور جعفر بن هادي بن حسن الكـريم المعاصر، تعلم في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف، والتحق بكلية الفقه، وواصل دراساته العليا فالتحق بكلية الآداب ـ جامعة بغداد ـ قسم ماجستير اللغة العربية وآدابها وتخرج فيه وعيّن معيداً بجامعة البصرة، ثم ابتعثته جامعة البصرة إلى جامعة مانشستر ببريطانيا للتخصص باللغة العبرية وتخرج فيها بدرجة دكتوراه.

قام بتدريس اللغة العربية في جامعة مانشستر وجامعة وسمنستر وجامعة سالي فورد والجامعة العالمية للعلوم الإسلامية في بريطانيا وجامعة الملك عبد العزيز بجدة.

ثم تفرغ للبحث والتأليف والكتابة الصحفية، ونشر فصولاً عن اليهود في جريدة الحياة اليومية اللندنية.

من تأليفاته:
ـ مذهب الكسائي في النحو (رسالة ماجستير).
ـ فرقة الدونمة بين اليهودية والإسلام.
ـ فرقة القرائين اليهود.

٣٣ ـ جعفر الكشفي:

السيد جعفر بن إبراهيم بن عبد الله الموسوي الدارابي البروجردي المتوفى سنة ١٢٦٧ هـ.

من أعاظم علماء الطائفة الامامية في القرن الثالث عشر.

له: منظومة في الصرف والنحو.

٣٤ ـ جعفر النقدي:

الشيخ جعفر بن محمد بن عبد الله النقدي المتوفى سنة ١٣٧٠ هـ.

تخرج في النجف الأشرف من منبري الإمامين الكاظمين الشيخ الخراساني والسيد اليزدي، وشغل وظيفة العالم الديني في مدينة العمارة العراقية ثم تولى شؤون القضاء الشرعي الجعفري في أكثر من مدينة من مدن العراق.

كان من المؤلفين المكثرين، ومن تأليفاته في اللغة العربية:
١ ـ إرشاد الطلاب في علم الإعراب.
٢ ـ زهرة الأدباء في شرح لامية شيخ البطحاء.
٣ ـ منن الرحمن في شرح قصيدة الفوز والأمان في مدح صاحب العصر والزمان، وهي من نظم الشيخ البهائي.

٣٥ ـ جواد الكيشوان:

السيد جواد بن محمد بن صالح الكيشوان من علماء القرن الرابع عشر الهجري.

كان عالماً فاضلاً، ومؤلفاً محققاً، له في علوم اللغة العربية:
١ ـ تعليقه على ألفية ابن مالك في النحو والصرف.
٢ ـ حاشية على المطول في البلاغة.
٣ ـ حاشية على مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري.

٣٦ ـ جواد العاملي:

السيد جواد بن حسن بن محمد بن محمد جواد (صاحب مفتاح الكرامة) العاملى المتوفى سنة ١٣١٨ هـ.

قال الدكتور الأميني في (الرجال ٢/ ٨٧٥): «كان فاضلاً كاملاً أديباً شاعراً لغوياً نحوياً حاذقاً فطناً ذكياً لوذعياً، من المعزوفين بالفضل والتقوى».

٣٧ ـ حامد الخفاف:

الأستاذ حامد بن شاكر بن خليل الخفاف النجفي من المعاصرين.

تتلمذ في الحوزة العلمية بقم المقدسة، وتخرج في قسم التاريخ من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجامعة اللبنانية بدرجة بكالوريوس.

وأكثر مساهماته اللغوية في تحقيق التراث، ومنه: تحقيقه لرسالة (الليل والنهار) لابن فارس.

٣٨ ـ حسام الدين الطريحي:

الشيخ حسام الدين بن جمال الدين بن محمد الطريحي المتوفى سنة ١٠٩٥ هـ، من تلامذة الشيخ فخر الدين الطريحي صاحب مجمع البحرين، كان من العلماء المبرزين في أكثر حقل من حقول المعرفة، لا سيما الحديث فقد كان فيه من المجيزين المشهورين، وكذلك علوم اللغة العربية، وله فيها:

ـ جامع الشتات في فروف اللغات.

٣٩ ـ حسن حرز الدين:

الشيخ حسن بن علي بن عبد الله حرز الدين المتوفى سنة ١٣٠٤ هـ، كان من الفقهاء المجتهدين، وعرف إلى جانب هذا بالاهتمام بجمع الحديث الشريف، وله فيه كتابه المعروف (الجامع في الحديث).

ومن آثاره في آداب اللغة العربية:

ـ رسالة في العروض.

٤٠ ـ حسن الحمود:

الشيخ حسن بن علي الحمود الحلي المتوفى سنة ١٣٣٧ هـ، كان من

أدباء النجف وشعرائها ذوي الشأن، وله ديوان شعر، ومن أعماله اللغوية:

ـ كتاب في علم الصرف.

٤١ ـ حسن الحكيم:

الدكتور السيد حسن بن محمد تقي بن محمد سعيد الحكيم المتوفى سنة ١٤١٤ هـ، تخرج في مدارس منتدى النشر في النجف الأشرف ثم في كليتها كلية الفقه، وواصل بعد ذلك دراسته العليا في القاهرة حتى حصل على شهادة الدكتوراه سنة ١٩٨٧ م.

ومارس التدريس في الجامعات الليبية، وتفرغ للتأليف والتحقيق، وبخاصة لرسائل الإمام الشهيد زيد بن علي (علي)، فقد حقق منها:

٢ ـ تأويل مشكل القرآن.

٢ ـ كتاب الصفوة.

٣ ـ كتاب الوصية والإمامة.

٤ ـ كتاب الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن.

ومن مؤلفاته اللغوية:

١ ـ ظاهرة الغريب في اللغة العربية حتى نهاية القرن الثالث الهجري.

٢ ـ دلالة الألفاظ العربية بين علماء اللغة والأصوليين حتى نهاية القرن السادس الهجري.

وقد أثبت ـ وبحق ـ في هذه الحقبة العلمية القصيرة من عمره العلمي التي لم تتجاوز الخمسة عشر عاماً حيث ولد سنة (١٣٧١ هـ) أنه من ألمع العلماء الشبان في مجالي البحث والتأليف، ومن أوفرهم حظاً في التحلي بالأصالة والموضوعية والعمق في جميع ما قدم من دراسات قيمة ومفيدة.

ففقده في هذه السن المبكرة خسارة علمية كبيرة رحمه الله تعالى رحمة العلماء العاملين، وادخر له أعماله في خدمة اللغة العربية لغة القرآن الكريم حسنات في سجله يوم الورود عليه.

٤٢ ـ حسن طراد:

الشيخ حسن بن محمد طراد العاملي المعاصر، تخرج في حوزة النجف الأشرف عالماً فقيهاً وأديباً شاعراً.

له ـ على ما اتذكر ـ كتاب في البلاغة كان يقوم بتدريسه في الدورة الدينية التي أسسها سماحة المرجع الديني السيد الحكيم (قدس سره).

٤٣ ـ حسن قفطان:

الشيخ حسن بن علي بن نجم السعدي الشهير بقفطان المتوفى سنة ١٢٧٥ هـ.

قال الشيخ الشبيبي في مجلة الحضارة ـ كما نقل عنه الخاقاني في شعراء الغري ٣/١١ ـ: «فقيه لغوي، اتخذ الوراقة مهنة له في النجف، وكان جيد الخط والضبط، وقد ورث ذلك عنه أبناؤه وأحفاده، وأدرك عصر الشيخ جعفر النجفي الكبير وعصر أولاده، وأخذ عنهم، وتفقه بهم، ثم اتصل بصاحب الجواهر وهو أكبر أساتذته في الفقه، وقد اختص به، وإليه وإلى ولده أحال الشيخ صاحب الجواهر تصحيح الجواهر ووراقتها حتى قيل لولاهما ما خرجت الجواهر لأن خط مؤلفها كان رديئاً جداً لا يكاد يقرأ، فكتبا أول نسخة منها عن خطه لأنهما بصيران به، ثم صارا يحترفان بكتابتها ويبيعانها على العلماء وطلاب العلم، وأكثر النسخ المخطوطة منها قبل أن تطبع كانت بخط القفطانيين.

وعرف الشيخ حسن خاصة بدرس قاموس الفيروز آبادي، وقد جرد منه رسائل مفيدة في بعض الأصول اللغوية وغيرها»، وهذه الرسائل هي:

١ ـ طب القاموس.

٢ ـ أمثال القاموس.

٣ ـ الأضداد.

٤ ـ المثلثات.

٥ ـ الأفعال اللازمة المتعدية في المعنى الواحد.

كما أن له تعليقات مفيدة على معجم (المصباح المنير) للفيومي، وله أيضاً ديوان شعر كبير.

٤٤ ـ حسين الحلي.

الشيخ حسين بن علي بن حسين بن حمود الحلي المتوفى سنة

١٣٩٤ هـ، كان من أبرز الفقهاء المجتهدين، وأشهر أساتذة البحث الخارج في الحوزة العلمية النجفية المعدودين، تميز درسه بالشمولية والتدقيق، وتصيد الشوارد والتقاط النكات العلمية ذات الأهمية.

تخرج فيه جمع كبير من أساتذة حوزة النجف وعلمائها.

وهو أول من تناول المسائل المستحدثة بالبحث والدراسة في حوزة النجف، وقد دون محاضراته فيها تلميذه السيد عزالدين بحر العلوم بعنوان (بحوث فقهية)، ونشرت أكثر من مرة.

له في المجال اللغوي:

ـ رسالة في (الأوضاع اللفظية وأقسامها وأنحاء وضع الألفاظ من العموم والخصوص وآثار تلك الأوضاع)، ذكرها شيخنا الطهراني في (الذريعة ٢/ ٤٧٨ ـ ٤٧٩ برقم ١٨٧٥)، وذكر أنه ألفها سنة ١٣٣٨ هـ.

٤٥ ـ حسين العميدي:

قال المامقاني في (تنقيح المقال ١/ ٣١٦): «الحسين بن الأبرز الحسيني الحلي، لقبه الشيخ الحر ـ ره ـ بالسيد كمال الدين، قال: إنه عالم فقيه، محدث جليل، شاعر معاصر، له كتب، منها:

ـ كتاب الرجال.

ـ وكتاب في النحو وغير ذلك».

ومعاصرته للشيخ الحر العاملي المتوفى سنة ١١٠٤ هـ تعني أنه من رجالات القرن الحادي عشر الهجري، وربما القرن الثاني عشر الهجري أيضاً.

٤٦ ـ حسين الهمداني:

السيد حسين بن علي بن أبي طالب الهمداني المتوفى سنة ١٣٩٠ هـ، من العلماء الفقهاء والأخيار الصلحاء، له في النحو:

ـ شرح الصمدية، للبهائي.

٤٧ ـ خليل ياسين.

خليل بن ياسين بن إبراهيم العاملي المتوفى سنة ١٤٠٥ هـ.

تخرج في النجف الأشرف عالماً فقيهاً وأديباً شاعراً، ومارس وظيفة القضاء الشرعي في بلاده لبنان.

له في اللغة العربية:

ـ المفردات الأجنبية في اللغة العربية.

٤٨ ـ رضا الأصفهاني:

الشيخ آغا رضا بن محمد حسين الأصفهاني المتوفى سنة ١٣٦٢ هـ، من علماء النجف وأدبائها وشعرائها المشهورين، من رعيل الشيخ جواد الشبيبي والسيد جعفر الحلي والسيد إبراهيم الطباطبائي والسيد محمد سعيد الحبوبي.

له في علوم اللغة العربية وآدابها:

١ ـ السيف الصنيع على رقاب منكري البديع.

٢ ـ شرح أرجوزة الميرزا مصطفى التبريزي في العروض والقافية.

والميرزا مصطفى ناظم الأرجوزة هو من أصدقائه المقربين، وقد مدحه بقصيدة ضمنها جملة من المصطلحات العربية والشرعية، مطلعها:

بمن أودع الطرف منك الحور وصيّره فتنة البشر

ومنها:

إذا كنت تسأل عن مبتدا غرامي فعند دموعي الخبر
بديع جمال تفوق البيان معانيه دوماً وتعيي الفكر
قرأت (المطول) من شعره زماناً على خصره (المختصر)
فقيه أضر بجسمي نواه دليل يرى عنه نفي الضرر
ومذ غرني بعت روحي له سلوه متى صح بيع الغرر
ومن عجب تم دور العذار ولي بعد ذلك فيه نظر
لفرط نحولي إذا زرته (أريه السهى ويريني القمر)

٤٩ ـ رفيع الدين التبريزي:

السيد الميرزا رفيع الدين بن علي أصغر بن رفيع الدين التبريزي المشهور بنظام العلماء التبريزي المتوفى سنة ١٣٢٦ هـ.

ترجمة الشيخ الطهراني في (الطبقات: النقباء ٢/ ٧٨٧) فقال: «كان من مشاهير رجال الفضل والعلم والأدب في عصره، جمع بين المعقول والمنقول، وشارك في أغلب العلوم، فكانت له براعة فيها، وكانت له اليد الطولى في اللغتين العربية والفارسية».

له: كافية العروض.

٥٠ ـ رؤوف جمال الدين:

الميرزا رؤوف بن محمد بن عبد الله جمال الدين، المعاصر.

باحث متتبع، ومؤلف مكثر، وأديب نثراً وشعراً، تلمذ في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف، ثم التحق بدورة رجال الدين التربوية، وعيّن بعد تخرجه منها معلماً في المدارس العراقية.

له في اللغة العربية:

١ ـ مناقشات مع الدكتور مصطفى جواد

٢ ـ شرح القصيدة التترية.

٣ ـ المعجب في النحو.

٥١ ـ زهير زاهد:

الدكتور زهير غازي زاهد، من المعاصرين، تخرج في جامعة بغداد بدرجة ماجستير آداب في اللغة العربية، ثم واصل دراسته العليا بكلية الآداب بجامعة القاهرة فتخرج فيها بدرجة دكتوراه اللغة العربية، واشتهر في الأوساط العلمية والأدبية أستاذاً باحثاً، وأديباً لامعاً، وبرز في مجالي التأليف والتحقيق.

ومن أعماله اللغوية:

١ ـ تحقيق كتاب (إعراب القرآن) لابن النحاس، وهو رسالته للدكتوراه.

٢ ـ تحقيق كتاب (شرح أبيات سيبويه) لابن النحاس أيضاً، وغيرهما.

٥٢ ـ صادق الفحام:

السيد صادق بن محمد الأعرجي الحسيني الشهير بالفحام المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ.

عرفه الدكتور الأميني في (الرجال ١/ ١٦٠) بقوله: «فقيه كبير، وعالم

كامل، وشيخ الأدب، وقاموس لغة العرب، ومن أكبر علماء وشعراء وقته، نبغ في الشعر والأدب، واحتل الصدارة بين رجال القريض وأعلام الأدب».

وذكر من مؤلفاته اللغوية:

١ ـ الدرر النجفية في علم العربية.

٢ ـ شرح شواهد قطر الندى.

٥٣ ـ صادق الحسيني:

السيد صادق بن مهدي الحسيني الشيرازي المعاصر.

عالم فاضل، ومؤلف مكثر، له شروح لكثير من الكتب الدراسية الحوزوية.

ومن أعماله اللغوية:

ـ شرح الصمدية للبهائي.

٥٤ ـ صادق التبريزي:

الشيخ صادق بن محمد بالا مجتهد القرّة داغي التبريزي المتوفى سنة ١٣٥١ هـ.

من الفقهاء المراجع والزعماء العاملين.

له في اللغة العربية: رسالة في المشتق.

٥٥ ـ صالح الرشتي:

الشيخ صالح بن باقر بن عبد علي الرشتي النجفي، من علماء القرن الثالث عشر ـ الرابع عشر الهجري.

له في اللغويات: رسالة في الاشتقاق، ذكرها شيخنا الطهراني في (الذريعة ٢/ ١٠٠ برقم ٣٩١).

٥٦ ـ صالح صحين:

الشيخ صالح بن مهدي بن علي الساعدي المعروف بصحين المتوفى سنة ١٣٩٤ هـ.

تخرج في حوزة النجف عالماً فاضلاً وأديباً ناظماً.

له في العلوم اللغة العربية:

١ ـ منظومة في النحو.

قال في تسميتها وتاريخها:

سميتهـــا عـــام الشـــروع دره تـــاريخهـــا بعـــد لئـــال غـــره

٢ ـ أرجوزة في قواعد البابين الثاني والثالث من مغني اللبيب لابن هشام.

٣ ـ منظومة في قواعد علم البديع.

٤ ـ الفصل في شرح منظومة العوامل النحوية لقطب الدين محمد الحسيني الشيرازي.

٥٧ ـ صالح الظالمي:

الأستاذ صالح بن مهدي الظالمي من المعاصرين، ومن شعراء العراق اللامعين.

تخرج في كلية الفقه والحوزة العلمية في النجف ثم في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة بدرجة ماجستير اللغة العربية في النحو والصرف والعروض، وعيّن أستاذاً للغة العربية في كلية الفقه بالنجف.

من أعماله اللغوية:

ـ دراسته للاشتقاق التي تقدم بها لنيل درجة الماجستير، ونشر له: دروب الضباب، يضم بعض شعره.

٥٨ ـ صفي الدين الطريحي:

الشيخ صفي الدين بن فخر الدين الطريحي المتوفى بعد سنة ١١٠٠ هـ.، قال الشيخ محبوبة في (ماضي النجف وحاضرها ٢/ ٤٤٣): «من العلماء البارزين، والمدرسين المشهورين، ومن أرباب الإجازات».

من آثاره:

١ ـ مستدرك مجمع البحرين.

٢ ـ حواشي على مجمع البحرين.

٥٩ ـ طاهر الحكامي (الحجامي):

الشيخ طاهر بن عبد علي بن عبد الرسول المالكي الحكامي (الحجامي) المتوفى سنة ١٢٧٩ هـ.

كان من الفقهاء المجتهدين، والزعماء المراجع في بلاده سوق الشيوخ.

له في اللغة العربية:

١ ـ الصحيفة العلية في نظم متن الأجرومية.

٢ ـ الأنوار السنية في شرح شرح الأجرومية.

٦٠ ـ عباس الترجمان:

الدكتور عباس بن علي الترجمان المعاصر.

من أقطاب الأدب الشعبي في النجف الأشرف، ومن أشهر الروادي الحسنيين.

تخرج في كلية الفقه بدرجة بكالوريوس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وواصل دراسته العليا في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة حتى حصل على شهادة دكتوراه اللغة العربية في النحو والصرف والعروض.

له في النحو:

ـ معاني حروف المعاني.

وغيره.

٦١ ـ عباس كاشف الغطاء:

الشيخ عباس بن حسن بن الشيخ جعفر الكبير صاحب كشف الغطاء، المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ.

جاء في شرح ديوان السيد جعفر الحلي ـ كما نقله الشيخ محبوبة في ماضي النجف ٣/١٥٦ ـ: «كان بارعاً في الإنشاء والكتابة، نحريراً في التحرير، يندر في عصره له نظير، وله مؤلفات في الفقه والأصول كثيرة، ومنظومات من أعلى طبقات النظم في النحو والفقه والأصول، وشرح منظومة السيد بحر العلوم نظماً فلم يقصر عنه».

تخرج في الحوزة العلمية النجفية فقيهاً جليلاً وعالماً يشار إليه.

له في علم النحو:

- نظم متن الأجرومية.

نظمها بطلب من ابن عمه الشيخ هادي بن عباس بن علي كاشف الغطاء، وأشار إلى هذا في أولها بقوله:

يسألني الفلذة من فؤادي وقرة العين الغريد الهادي
منظومة لمتن الأجرومية لها النفوس كلها شهية

فـرغ من نظمها سنة ١٣٠١ هـ. وأرخها بذلك في خاتمتها بقوله:

فائقة نظم الأُلى قد سبقوا زودها وارخ تلك بدر مشرق

وقرظها السيد محمد بن مهدي القزويني بأبيات، منها:

يقول راجي عفو رب ذي منن نتيجة المهدي خليفة الحسن
لما رأيت نظم كاشف الغطا نظماً يفوق كل نظم نمطا
فقلت إذ أجلت فيه طرفي مقرظاً يعجز عنه وصفي
منظومة العباس خير معجز (تقرب الأقصى بلفظ موجز)
حوت من الإعراب والنحو المهم (وكلمة بها كلام قد يؤم)

٦٢ـ عباس الخويبراوي:

الشيخ عباس بن عواد بن شاتمي الخوايبروي الناصري المتوفى سنة ١٣٨٦ هـ.

تخرج في الحوزة العلمية النجفية، وشغل منصب المرجع الديني العام في منطقة الناصرية بالعراق، فكان من العلماء الزعماء الموفقين.

له في النحو:

- مفتاح القواعد

٦٣ ـ عباس زين العابدين:

الشيخ عباس بن هاوي زين العابدين، المعاصر.

جاء في (رجال الأميني ٢/ ٦٥٣): «من أفاضل المشتغلين والمجدين في حقلي الفقه والأصول، له الخبرة والإلمام في الصرف والنحو والأدب ـ ـ ـ له بحث في النحو، تعريب صرف مير من الفارسية».

٦٤ ـ عبد الحسين البقال:

الأستاذ عبد الحسين بن محمد علي البهبهامي البقال، المعاصر تخرج في كلية الفقه بالنجف الأشرف، ومارس وظيفة التعليم في المدارس العراقية، واتجه وجهة تحقيق التراث، فحقق من كتب الفقه والأصول، واشتهر بتحقيقه لكتاب (شرائع الإسلام) للمحقق الحلي (قدس سره).

له في اللغويات:

١ ـ معجم في اللغة.

٢ ـ المعجم المفهرس في مفردات يفعول.

٦٥ ـ عبد الحسين الرشتي:

الشيخ عبد الحسين بن عيسى بن يوسف الرشتي المتوفى سنة ١٧٧٣ هـ.

ترجم له شيخنا الطهراني في (الطبقات: النقباء ٣/ ١٠٦٤) ترجمة ضافية، قال فيها: «والمترجم له أحد أساطين الفضل، وأبطال الفقه، وحجج العلم، ورجال الفكر، وكبار الحكماء، وأجلاء المدرسين، نبغ في الفنون الإسلامية والشرعية، وتردد اسمه في الأوساط العلمية العالية في النجف وهو شاب، وعرف بين زملائه بعمق الفكر ودقة النظر والبراعة في التحقيق والتدقيق، فقد شرح (الكفاية) على أستاذه الخراساني شرحا دل على غزارة علمه وسعة اطلاعه، وأوقف إخوانه على مدى عبقريته ونبوغه.

وتصدى للتدريس في النجف فتهافت عليه الطلاب زرافات ووحداناً، وكان لهم في الحلقات زحام حوله لما امتاز به من رحابة الصدر وحسن الخلق، وغزارة الفضل وحلاوة التعبير، وقد درّس الفقه والأصول والفلسفة وغيرها عشرات السنين، وتخرج عليه خلال ذلك المئات من طلاب العلم العرب والعجم والأتراك والهنود وغيرهم، وقد انتشروا في أطراف العالم الإسلامي مشغولين بالتبليغ والإرشاد وخدمة الدين باليد واللسان والقلم، وقد بلغ بعضهم درجات عالية وفيهم اليوم زعماء دين ومراجع كبار.

وقد كان إلى جانب عظمته العلمية ومكانته الجليلة مترسلاً في سيرته جم التواضع حسن الأخلاق يبدأ ملاقيه بالسلام ويحترم الصغير والكبير، كما كان

من أهل الورع والتقى والصلاح والنسك، وهو من المفكرين ودعاة الإصلاح الاجتماعي على ضوء القرآن، وكان كثير الاهتمام في موضوع تنظيم الدراسة الدينية في النجف وتهذيب أساليبها وتطويرها بما يتلاءم والطرق الحديثة، ولذلك كان من أوائل المؤيدين لجمعية منتدى النشر والمشجعين لها، كما كان يدعو إلى تأسيس مكتبة كبرى ودار تأليف لعلماء وفضلاء النجف، وقد نمت فكرة المنتدى فأصبحت (كلية الفقه)، وهي اليوم ـ بحمد الله ـ تقوم بواجبها أحسن قيام، كما وفق الله العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني لتأسيس (مكتبة الإمام أمير المؤمنين(ع) العامة)، ونرجو الحق تعالى أن يؤيد هيئة التعليم في الكلية إلى تحقيق الأغراض العليا والنجاح في مشروعهم المهم، كما نرجو التوفيق للأميني في دعم مؤسسته وتوسيعها وإكمالها إن شاء الله، فهذان هدفان من الأهداف المهمة التي فكر بهما المصلحون من العلماء، والمفكرون من المجتهدين في السنين الأخيرة، ولا سيما المترجم له وبعض إخوانه».

من آثاره اللغوية:

١ ـ رسالة في الصرف.

٢ ـ رسالة في النحو.

٣ ـ تعليقات على المطول.

٦٦ ـ عبد الحسين الطريحي:

الشيخ عبد الحسين بن نعمة بن علاء الدين الطريحي المتوفى سنة ١٢٩٢ هـ.

قال شيخنا الطهراني في (الطبقات: الكرام ٢/ ٧٢٠): «اشتغل بطلب العلم والأدب حتى نال منهما قسطاً وافراً، وبرع في العلوم الدينية والفنون الأدبية براعة تامة حتى أصبح من العلماء الأعلام والشعراء المجيدين، ومن رجال بيته الأجلاء».

له في علوم اللغة العربية:

١ كتاب في الصرف.

٢ ـ موصل الطلاب إلى أصول البناء والإعراب.

٦٧ ـ عبد الحسين محيي الدين:

الشيخ عبد الحسين بن قاسم بن محمد محي الدين المتوفى سنة ١٢٧١ هـ. من مبرزي أدباء وشعراء النجف في عصره.

له: منظومة في النحو.

٦٨ ـ عبد الحسين المسلمي:

الشيخ عبد الحسين بن علي بن عبد الله حرز الدين المتوفى سنة ١٢٨١ هـ. من فقهاء النجف وأدبائها المعروفين في عصره.

له في علوم اللغة العربية:

١ ـ كتاب في علم النحو.

٢ ـ رسالة في العروض.

٣ ـ رسالة في البديع.

٦٩ ـ عبد الرازق محي الدين:

الدكتور عبد الرزاق بن أمان بن جواد محي الدين المتوفى بعد الأربعمائة والألف الهجرية.

بدأ دراسته العلمية في حوزة النجف، وبعد أن أتم دراسة علوم العربية التحق بجامعة القاهرة، وواصل دراسته فيها حتى حصل على شهادة دكتوراه الآداب، وقام بالتدريس في دار المعلمين الابتدائية ودار المعلمين العالية وكليتي التربية والآداب بجامعة بغداد، وكلية الفقه في النجف، وانتخب عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، والمجمع العلمي العراقي ثم عيّن رئيساً له، وخلف أكثر من مؤلف في اللغة العربية وآدابها، ونشر عدة بحوث أدبية ولغوية في الدوريات العربية الأكاديمية.

كتب عن سيرته بقلمه في كتاب (الحالي والعاطل)

٧٠ ـ عبد الرسول التبريزي:

ترجمة شيخنا الطهراني في (الطبقات: الكرام ٢/ ٧٣٠) فقال: «كان من المشاهير في النجف وحجة في العلوم ولا سيما الأدب حتى يقال إنه كان سيبويه زمانه... له تصانيف بقيت في المسودة لرداءة خطه».

٧١ ـ عبد الرسول الطريحي:

قال الشيخ محبوبة في (ماضي النجف ٢/٤٤٩): ««ذَكَرَه في سلك الدرر... فقال: عبد الرسول الطريحي النجفي الأصل الحلي المولد والمسكن الأديب الفاضل الشاعر النحوي الكاتب، كان بارعاً بالأدب والمعاني والبيان والعروض والنحو والشعر».

توفي سنة ١١٨٦ هـ.

٧٢ ـ عبد الرسول عليخان:

السيد عبد الرسول بن عبد الحسين على آل السيد علي خان المتوفى حدود سنة ١٤٠٤ هـ.

عاش في الحوزة العلمية النجفية حتى وفاته (رحمه تعالى) طالباً فأستاذاً، وتخرج في أنديتها الأدبية كاتباً وشاعراً، وخلف أكثر من مؤلف بين مخطوط ومطبوع، منها:

ـ دروس في النحو.

٧٣ ـ عبد الصاحب الحلو:

السيد عبد الصاحب بن محمد بن حسن الحلو المتوفى سنة ١٣٦٠ هـ، كان من الفقهاء المجتهدين والأتقياء الصالحين.

له في اللغويات:

١ ـ رسالة في المعنى الحرفي.

٢ ـ منظومة في النحو.

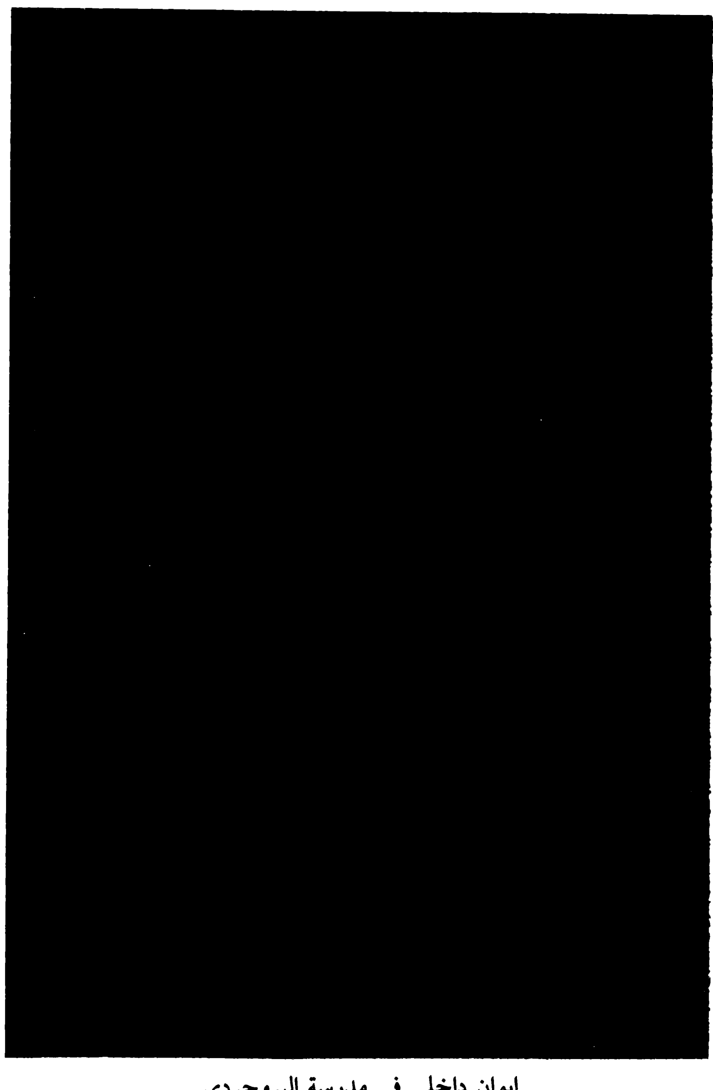
٧٤ ـ عبد الصمد الجزائري:

السيد عبد الصمد بن أحمد بن محمد الموسوي الجزائري المتوفى سنة ١٣٣٧ هـ.

تخرج في الحوزة العلمية النجفية، وعُدَّ من المبرزين في الفقه والأصول والحديث والرجال، وشغل منصل المرجع الديني العام في بلاده تستر.

له:

ـ نظم كافية ابن الحاجب في النحو



إيوان داخلي في مدرسة البروجردي

٧٥ ـ عبد الظاهر الأردبيلي:

الشيخ عبد الظاهر بن مهر علي الأردبيلي المتوفى بعد سنة ١٣٠٦ هـ.

كان من أهل العلم الفضلاء والمعروفين بجودة الخط وكثرة النسخ للكتب.

له:

ـ الجوابات لبعض المطالب الصرفية المشكلة.

٧٦ ـ عبد الكريم الجزائري:

السيد عبد الكريم بن محمد جواد بن عبد الله الموسوي الجزائري المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ.

من أكابر العلماء الفضلاء والمؤلفين المحققين.

له:

١ ـ شرح ألفية ابن مالك.

٢ ـ حاشية على مغني اللبيب.

٧٧ ـ عبد الكريم الدجيلي:

الأستاذ عبد الكريم بن مجيد بن عيسى الدجيلي المعاصر

أوجز المترجم له نشأته العلمية في رسالة منه إلى الأستاذ علي الخاقاني نشرها في كتابه (شعراء الغري ٥/٥١٩) ونصها: لقد اختلفت حياتي كثيراً **فكنت في أبان شبابي أدرس العلوم العربية والمنطق مقدمة لدراسة الفقه** وأصول الفقه، ولم تكن دراستي هذه في واقع الأمر دراسة جدية بالمعنى الصحيح فهي ملهاة للفراغ الذي يشتملني ويشتمل الكثرة الكثيرة من لداتي في ذلك العهد.

وقد كانت النجف في ذلك العهد ولا زالت مركزاً أدبياً يتخرج في نواديها خير من يكون أديباً في ناحية الشعر خاصة، فحفلات الأعراس والمآتم وغيرها هي خير مدرسة أدبية يتخرج فيها الناشئة، ومن هنا نجد الشعراء البارزين في العراق هم من النجف كالشبيبي والشرقي والجواهري والصافي.

في هذا المحيط الأدبي، وبين تلك النوادي الأدبية الكثيرة العدد، الكثيرة

العدة، والنوادي الخصوصية التي تعقد لتقفية الشعر، في دواوين كبار الشعراء كالرضي والبحتري والمتنبي.

في هذا الجو كنت مع لداتي نتعلم قرض الشعر فننظمه بين حين وآخر فنرتفع تارة ونهبط في أكثر الأحيان.

وأنا لست من أولئك النفر الذين يقرضون الشعر في كل مناسبة، فالشعر يستعصي عليّ في كثير من الأحيان ولا يستجيب إلا في مناسبات.

وفي عام ١٩٣٤ م سافرت إلى القاهرة فدخلت كلية دار العلوم العليا بمصر وبقيت فيها أربع سنوات انقطعت في خلال هذه السنوات عن الشعر إلا قليلاً، وبعد التخرج عينت في إحدى المدارس الثانوية ببغداد، ثم إلى دار المعلمين الإبتدائية، ثم إلى الثانوية العسكرية، ثم لدار المعلمين العالية، ولا زلت حتى هذه السنة ١٩٥٣ م بها.

كنت في هذه المدارس أدرس مادة اللغة العربية، ولا زلت كذلك.

وقد اشتغلت بكتاب أسميته (شعراء النجف) قبل أن أسافر للقاهرة ثم عدلت عنه بعد رجوعي، وقمت بتحقيق وشرح ديوان أبي الأسود الدؤلي.

ولي كتاب عن الأستاذ الجواهري (الجواهري في شعره) بعد لم يكمل تأليفه، ورسالة صغيرة الحجم في الإملاء أسميتها (المرشد) طبعت في النجف، كما إني نظمت بعض القصائد في مناسبات لا يمكنني أن أدعي بأنها من الشعر الجيد».

له في علوم اللغة العربية وآدابها:

١ ـ البند في الأدب العربي.

٢ ـ ديوان أبي الأسود الدؤلي.

٣ ـ المرشد في الإملاء ورسم الخط العربي.

٧٨ ـ عبد الكريم سعادة:

الشيخ عبد الكريم بن محمد علي بن عبد الكريم البرازجاني المتوفى سنة ١٣٧٨ هـ.

من علماء النجف وأدبائها، له أكثر من مؤلف، منها في اللغويات:
- خلاصة الصرف.

٧٩ - عبد الله الجزائري:

السيد عبد الله بن أحمد بن عبد الله الجزائري المعروف بالسيد نجفي، من المعاصرين.

التحق بحوزة النجف، وبعد أن قطع شوطاً في الدرس أهلّه القيام بمهمة الإرشاد والتبليغ رحل إلى بلاده تستر، وأقام فيها يمارس وظيفة المبلغ الديني.

له: لغات القرآن.

٨٠ - عبد الله الموحدي:

الشيخ عبد الله بن القاسم بن محمود الموحدي المعروف بـ(نظر علي)، من المعاصرين.

ترجمه الدكتور الأميني في (رجال الفكر ٣/١٢٤٧) فقال: من أجلاء المشتغلين والمتتبعين في النحو والعلوم العربية، درس في النجف الأشرف، وحضر على شيوخها وفضلائها، وتصدى لتدريس المقدمات.

له: إيضاح العوامل.

٨١ - عبد الله الكرمانشاهي:

الشيخ عبد الله بن محمد تقي بن محمد مهدي الكرمانشاهي المتوفى سنة ١٣٠٨ هـ.

قال شيخنا الطهراني (الطبقات: النقباء ٣/ ١١٩٥): «عالم بارع وفاضل جليل... له آثار، منها: حاشية البهجة المرضية للسيوطي».

٨٢ - عبد الله الطهراني:

الميرزا عبدالله بن الميرزا مسيح الثاني بن الميرزا ابن الحسن المولى بابا الأسترآبادي الطهراني الشهير بجهل ستوني المتوفى سنة ١٣٩١ هـ.

من الفقهاء المجتهدين ومراجع الدين في بلاده طهران.

له في اللغويات:

- رسالة في المشتق.

٨٣ ـ عبد المحسن اللويمي:

الشيخ عبد المحسن بن محمد بن مبارك اللويمي الإحسائي المتوفى حدود سنة ١٢٥٠ هـ.

من الفقهاء المجتهدين والمؤلفين المكثرين والعلماء الزاهدين.

له في علوم اللغة العربية:

١ ـ شرح العوامل للجرجاني.

٢ ـ شرح الأجرومية.

٣ ـ كفاية الطالب المودعة بدائع علم الإعراب نظماً وشرحاً.

٨٤ ـ عبد المطلب الخرسان:

السيد عبد المطلب بن هادي بن باقر الخرسان من المعاصرين.

تخرج في كلية الفقه والتحق بسلك التعليم في المدارس العراقية وهو اليوم من فضلاء النجف وأدبائها.

له: دراسات لغوية.

٨٥ ـ عبد المنعم الفرطوسي:

الشيخ عبد المنعم بن حسين بن حسن الفرطوسي المتوفى سنة ١٤٠٤ هـ. من أدباء النجف البارزين وأشهر شعرائها المحلقين، دَرَسَ في حوزتها ودَرَّسَ، واشتهر بتدريسه لعلوم البلاغة من خلال كتابي (مختصر المعاني) و(المطول) للتفتازاني.

وله في هذا المجال:

- شرح شواهد مختصر المطول.

٨٦ ـ عبد المهدي مطر:

استاذنا الشيخ عبد المهدي بن عبد الحسين بن حسن بن مطر الخفاجي المتوفى بعد سنة ١٣٩٠ هـ.

من أفاضل علماء النجف ومشاهير شعرائها، تخرج في حوزتها، وقام بالتدريس فيها، وكذلك في كلية الفقه لمادتي النحو والصرف، وقد دوّن

محاضراته في كتاب بعنوان (دراسات في قواعد اللغة العربية) باربعة أجزاء، وهو من خيرة ما أُلف في هذا العلم على النمط القديم، فقد استوعب فيه مؤلفه المادة النحوية بشمولية وافية وببحث مؤصل ومعمق، واختيار موفق في المنظورات والمتبنيات.

٨٧ ـ عبد الهادي شليله:

الشيخ عبد الهادي بن جواد بن كاظم البغدادي الملقب بشليله المتوفى سنة ١٣٣٣ هـ.

درَسَ ودَرَّسَ في النجف الأشرف و«اشتهر بالبراعة والحذق في الادب والشعر وبالتبحر والخبرة في المنطق والحكمة، وبالتحقيق والتدقيق في الفقه والأصول، وسعة الاطلاع في غير ذلك، وقد ظهر فضله واشتهر علمه وأصبح في مصاف أجلاء العلماء في النجف»

ـ الطبقات: النقباء ٣/ ١٢٥٥ ـ.

له:

١ ـ المختصر الشافي في العروض والقوافي.

٢ ـ شرح موصل الطلاب إلى أصول البناء والإعراب.

٣ ـ رسالة في المشتق.

٨٨ ـ عبد الهادي الفضلي:

عبد الهادي بن الميرزا محسن بن الشيخ سلطان الفضلي كاتب هذا البحث.

كانت بدايات تعلمي علوم اللغة العربية وآدابها على يد سماحة المغفور له والدي الشيخ ميرزا محسن الفضلي المتوفى سنة ١٤٠٩ هـ. عندما كان يقيم في البصرة عالماً دينياً، فقرأت عليه الكتب التالية:

١ ـ شرح الأجرومية لابن آجروم الصهناجي (في النحو).

٢ ـ شرح قطر الندى لابن هشام الأنصاري (في النحو).

٣ ـ شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك (في النحو).

٤ ـ مداح الارواح لمسعود بن علي (في الصرف).

٥ ـ شرح النظام على الشافية (في الصرف).

٦ ـ مغني اللبيب لابن هشام (في النحو).
٧ ـ مختصر المعاني للتفتازاني (في البلاغة).
٨ ـ المطول للتفتازاني أيضاً (في البلاغة).

وفي الوقت نفسه كنت قد قرأت الكتب المدونة أسماؤها في أدناه على فضيلة الأستاذ الشيخ جاسم بن محمد جميل البصير ـ وهو من خريجي المدرسة الرحمانية بالبصرة ـ:

١ ـ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (في النحو).
٢ ـ المقصود المنسوب لأبي حنيفة (في الصرف).
٣ (جواهر البلاغة للهاشمي (في البلاغة).
٤ ـ متن الكافي في العروض والقوافي (ضمن مجموع المتون الكبير).
٥ ـ تحفة الأطفال للجنذوري (في التجويد).
٦ ـ هداية المستفيد في علم التجويد.

وفي مجال التعليم الجامعي:
بمرحلة البكالوريوس درست في كلية الفقه بالنجف الأشرف:

١ ـ النحو والصرف، محاضرات الأستاذ الشيخ عبد المهدي مطر.
٢ ـ تاريخ الأدب العربي، محاضرات الأستاذ االدكتور عبد الرازق محي الدين.

وفي مرحلة الماجستير درست بكلية الآداب ـ جامعة بغداد:

١ ـ فقه اللغة، محاضرات الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي.
٢ ـ البلاغة، محاضرات الأستاذ الدكتور عبد الرازق محي الدين.
٣ ـ النحو، محاضرات الأستاذ كمال إبراهيم.
٤ ـ تحقيق المخطوطات، محاضرات الأستاذ الدكتور مصطفى جواد.
٥ ـ الأمثال العربية، محاضرات الأستاذ الدكتور صفاء خلوصي.

وكان موضوع وعنوان رسالتي للماجستير (أسماء فعال والأصوات: دراسة ونقد) بإشراف الدكتور إبراهيم السامرائي، واشترك في مناقشتها كل من

الدكتور مهدي المخزومي والأستاذ كمال إبراهيم والأستاذ الشيخ عبد المهدي مطر ممتحناً خارجياً عن طريق المراسلة.

وفي مرحلة الدكتوراه التحقت بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة، وكان موضوع وعنوان رسالتي (قراءة ابن كثير وأثرها في الدراسات النحوية) بإشراف الأستاذ الدكتور أمين علي السيد واشترك في مناقشتها الأستاذ الشيخ محمد إبراهيم نجا وكيل جامعة الأزهر والأستاذ علي النجدي ناصف من كلية دار العلوم.

ومن مؤلفاتي في علوم اللغة العربية:

١ ـ مختصر الصرف.

٢ ـ مختصر النحو.

٣ ـ تلخيص البلاغة.

٤ ـ تلخيص العروض.

٥ ـ في علم العروض: نقد واقتراح.

٦ ـ دراسات في الفعل.

٧ ـ دراسات في الإعراب.

٨ ـ اللامات: دراسة نحوية في ضوء القراءات القرآنية.

٩ ـ مراكز الدراسات النحوية.

١٠ ـ فهرست الكتب النحوية المطبوعة.

١١ ـ أعراف النحو في الشعر العربي.

١٢ ـ تحقيق التراث.

١٣ ـ أسماء الأفعال والأصوات: دراسة ونقد.

١٤ ـ قراءة ابن كثير وأثرها في الدراسات النحوية.

اسأل الله تعالى أن يتقبل أعمالي هذه في خدمة لغة القرآن الكريم بقبوله الحسن إنه سبحانه ولي التوفيق هو الغاية.

٨٩ ـ عدنان الغريفي:

السيد عدنان بن شبر بن على الموسوي الغريفي البحراني المتوفى سنة ١٣٤٠ هـ.

قال شيخنا الطهراني في (الطبقات: النقباء ٣/ ١٢٦٢): «كان على جانب كبير من الفطنة والذكاء وسرعة البديهة والقدرة على الحفظ، والقول بأنه كان يحفظ القصيدة وإن طالت بمجرد تلاوتها عليه ثابت، وقد عرف ذلك عنه أيام دراسته في النجف وشوهد غير مرة، وكان حديث الأندية، ولسرعة بديهته وقدرته على الارتجال شواهد أيضاً، منها: أنه رثى الشيخ مهدي بن الشيخ محمد طه نجف في مجلس الفاتحة ارتجالاً بقصيدة سميت يومئذ بالصاعقة.

اشتهر المترجم له بين طبقات أهل العلم والفضل والأدب في النجف، واعترف بمكانته السامية ومقامه الرفيع أساتذته وغيرهم من أكابر العلماء والمدرسين، وأصبح في عداد الأجلاء البارزين والفقهاء المجتهدين، ووجوه رجال الدين، وهو متوسط السن، وكانت شخصيته جامعة فقد شارك في مختلف فنون العلم وبرع في الأدب والشعر والحكمة والتاريخ والحديث والتفسير والفقه والأصول وغيرها.

وتصدى للتدريس فقرأ عليه كثير من الفضلاء واستفادوا من علمه ومعرفته».

له في النحو: شرح شواهد المغني.

٩٠ ـ عزالدين الجزائري:

الشيخ عزالدين بن محمد جواد بن علي الجزائري المعاصر.

تتلمذ على والده الشيخ محمد جواد الجزائري وعمه الشيخ عبد الكريم الجزائري (قدس سرهما)، وغيرهما في حوزة النجف العلمية، وعرف في أوساطها أديباً من أدبائها، وكاتباً موفقاً وبخاصة في مجال الفكر الإسلامي الرسالي.

له في النحو: التعاريف النحوية.

٩١ ـ عقيل الخلخالي:

السيد عقيل بن عبد الرزاق بن عبد الفتاح الحسيني الخلخالي المتوفى سنة ١٣٧٠ هـ.

تخرج في الحوزة العلمية النجفية وقام بالتدريس فيها.

وكان إلى جانب هذا متخصصاً بالطب البشري.

له في اللغة:

- حاشية على القاموس المحيط للفيروزآبادي.

٩٢ - علي الأعرجي:

السيد علي بن محمد بن حسن بن محسن الأعرجي الكاظمي من علماء القرن الرابع عشر الهجري.

من آثاره النحوية:

- شرح مبحث الاستثناء من ألفية ابن مالك.

٩٣ - علي بحر العلوم:

السيد مير علي بن محمد بن محمد تَقي آل بحر العلوم المتوفى سنة ١٣١٥ هـ كان من العلماء الأدباء.

له في النحو:

- كشف الأسرار في شرح الإظهار لمحمد الكركي.

٩٤ - علي الرامهرمزي:

السيد علي بن محمد بن علي الموسوي الرامهرفري المتوفى سنة ١٣٩٥ هـ.

تخرج في الحوزة العلمية النجفية، وشغل في منطقة الأهوٰاز منصب العالم الديني المرجع.

من آثاره اللغوية:

١ - أساس النحو.

٢ - كشف الأستار في الاشتقاق.

٩٥ - علي الحكيم الجزائري:

السيد علي أصغر بن حسين بن علي الموسوي الجزائري المعروف بالحكيم المتوفى سنة ١٣٤٨ هـ.

من الفضلاء الأجلاء والمصنفين المكثرين.

له في النحو: مختصر مغني اللبيب

٩٦ ـ علي الجواهري:

الشيخ علي بن مير أحمد بن حسين الجواهري من علماء القرن الرابع عشر الهجري.

من اعماله اللغوية:

١ ـ أرجوزة في النحو

٢ ـ كتاب في العروض

٩٧ ـ علي حيدر:

الشيخ علي بن محمد علي آل حيدر المتوفى سنة ١٣١٤ هـ.

كان من علماء الحوزة العلمية النجفية وأساتذتها المبرزين، والمؤلفين المحققين.

له:

١ ـ شرح مختصر التفتازاني في علم المعاني.

٢ ـ غريب القرآن.

٩٨ ـ علي الصدر (الأب):

على محمد خان نظام الدولة بن محمد بن علي الصدر الأصفهاني المتوفى سنة ١٢٧٦ هـ.

من العلماء الفضلاء والأدباء الشعراء والمشاركين في أكثر من علم.

له:

ـ كتاب النحو والصرف.

٩٩ ـ علي الصدر (الابن):

علي بن علي محمد خان ـ المقدم ذكره ـ المتوفى حدود سنة ١٣٣٠ هـ.

درس في حوزة النجف ثم اشتغل بالتجارة وكان من أكابر وجهاء النجف.

له:
ـ كتاب في النحو.

١٠٠ ـ علي أبو عبد الكريم الخنيزي:

الشيخ علي (أبو عبد الكريم) بن حسن علي بن حسن الخنيزي القطيفي المتوفى سنة ١٣٦٢ هـ.

تخرج في حوزة النجف ورجع إلى بلاده القطيف وشغل فيها وظيفة العالم الديني ووظيفة القاضي الجعفري الرسمي.

من آثاره في علم الصرف:
ـ شرح حاشية النظام على الشافية.

١٠١ ـ علي الشريعتمداري:

الشيخ علي بن محمد جعفر الشريعتمداري الأسترآبادي الطهراني المتوفى سنة ١٣١٥ هـ.

من الفقهاء المجتهدين والمؤلفين المكثرين، فقد جاوز عدد مؤلفاته السبعين، ذكر فهرسها شيخنا الطهراني في (الطبقات: النقباء ٤/ ١٣٦٢) نقلاً عن كتاب من كتب المترجم له.

ومؤلفاته اللغوية هي:

١ ـ رسالة في أبنية المشتقات (باللغة الفارسية).
٢ ـ الطرفية في شرح الألفية ـ ألفية ابن مالك ـ (بالفارسية).
٣ ـ الجامعة النحوية والصرفية بين التركيب وشرح الألفية.
٤ ـ منظومة في العوامل النحوية (بالفارسية).
٥ ـ كنز اللئالي ـ شرح منظومته في العوامل ـ (بالفارسية).
٦ ـ بحر الدرر ـ شرح لمنظومته في العوامل ـ (باللغة العربية).
٧ ـ عمدة الطالب في النحو (بالعربية).
٨ ـ موجز المسائل في النحو (بالفارسية).
٩ ـ تعليقة على البهجة المرضية في خمسة في شرح الألفية للسيوطي.

١٠ ـ درر الأحكام، يشتمل على خمسة عشر متناً علمياً في الصرف والنحو والمعاني واللغة والميزان والرجال والدراية والحديث والأصول والتفسير والتجويد والهيئة والحساب والكلام والفقه.
١١ ـ كنز الدرر الأيتام شرح درر الأحكام.

١٠٢ ـ علي الشرقي:
الشيخ علي بن جعفر بن محمد حسن الشرقي المتوفى سنة ١٣٨٤ هـ.

من أعلام الأدب النجفي ومشاهير الشعراء العراقيين، تخرج في حوزة النجف: معاهدها العلمية وأنديتها الأدبية، وشغل منصب القضاء الجعفري في المحاكم العراقية ثم عضوية محكمة التمييز الجعفرية ببغداد.

له في اللغة العربية:
ـ كتاب قيد الفصيح وصيد الشوارد.
قال عنه الشيخ محبوبة في (ماضي النجف وحاضرها ٢/ ٣٩٧): «مجموع لغوي نفيس».

١٠٣ ـ علي آل عطيفة:
السيد علي بن عطيفة الحسني الكاظمي المتوفى سنة ١٣٠٦ هـ.

قال شيخنا الطهراني في ترجمته من (الطبقات: النقباء ٤/ ١٤٨١): «كان غزير العلم، وواسع المعرفة والاطلاع، بارعاً في كثير من العلوم، معروفاً بالتحقيقِ في تدريس النحو والمنطق، والمهارة في الفقه والأصول».

له في النحو:
ـ نهج الهدى في شرح قطر الندى، ألفه سنة ١٢٤٦ هـ.

١٠٤ ـ علي الجزائري:
السيد علي بن آقا سيد بن عبد الله الجزائري التستري، من المعاصرين.

تخرج في كلية الفقه، وتلمذ في الحوزة العلمية النجفية، ثم رجع إلى بلاده الأهواز يشغل فيها وظيفة العالم الديني مشتغلاً بالتأليف والكتابة.
له في النحو: الجملة الشرطية.

١٠٥ ـ علي العلياري:
الشيخ علي بن عبد الله بن محمد العلياري المتوفى سنة ١٣٢٧ هـ.

قال شيخنا الطهراني في (الطبقات: ٤/١٤٧٦): «عالم جليل وفقيه كبير ومؤلف مكثر».

له:

ـ الوافية في شرح لغز الكافية.

١٠٦ ـ علي الغريفي:
السيد علي بن محمد بن علي الموسوي الغريفي البحراني المتوفى سنة ١٣٠٢ هـ عالم مشارك، وشاعر مجيد.

له: المقاييس في اللغة.

١٠٧ ـ علي الفضلي:
الشيخ علي بن محمد بن ميرزا محسن الفضلي المعاصر.

التحق بكلية الفقه، ثم واصل دراسته في كلية دار العلوم بالقاهرة وحصل على ماجستير اللغة العربية في النحو والصرف والعروض، وشارك في التعليم الجامعي في العراق ثم استقر في النجف للدرس الحوزوي، وله أكثر من مؤلف في اللغويات وغيرها.

١٠٨ ـ علي كاشف الغطاء:
الشيخ علي بن محمد رضا بن هادي آل كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٤١١ هـ.

من العلماء الفضلاء والمؤلفين المشهورين.

له: نهج الصواب أو حل مشكلات الإعراب.

١٠٩ ـ علي محيي الدين:
الشيخ علي بن حسين آل محيي الدين المتوفى سنة ١١٣٥ هـ.

قال الشيخ محبوبة في (ماضي النجف ٣/٣٢٣): «من رجال العلم وأهل

التأليف والتصنيف، وكان فاضلاً جامعاً للمعقول والمنقول وحاوياً للفروع والأصول».

له: قصيدة في النحو.

١١٠ ـ علي المشغري:

الشيخ علي بن محمد المشغري العاملي من علماء وأدباء القرن الحادي عشر الهجري، له: رسالة في العروض.

١١١ ـ علي الهمداني:

السيد علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن عبد الصمد الحسيني الهمداني المتوفى سنة ١٣٠٢ هـ.

من العلماء الأجلاء والفقهاء الفضلاء.

له: حاشية على شرح التصريف.

١١٢ ـ فخر الدين الطريحي:

الشيخ فخر الدين بن محمد علي بن أحمد الطريحي المتوفى سنة ١٠٧٨ هـ قال الشيخ محبوبة في (ماضي النجف ٢/ ٤٥٤): «من مشاهير علماء النجف، اجتهد فحاز السبق في كل الفنون العلمية، وألف واشتهرت مؤلفاته اشتهار الشمس في رائعة النهار، أسس لأسرته مجداً خالداً، وبنى لها بيتاً قائماً بالعلم والأدب، وقد خدم الدين والمذهب خدمة جليلة، قال (في تنقيح المقال): شأنه في الثقة والورع والجلالة والأمانة أكثر من أن يذكر وفوق ما يصفه الواصف، كان أديباً فقيهاً محدثاً عظيم الشأن جليل القدر رفيع المنزلة، أورع أهل زمانه وأعبدهم وأتقاهم».

له في اللغويات:

١ ـ مجمع البحرين ومطلع النيرين في تفسير غريب القرآن والحديث.

٢ ـ غريب الحديث.

٣ ـ غريب القرآن واسمه (نزهة الخاطر وسرور الناظر وتحفة الحاضر)، وهو ترتيب لكتاب ابي بكر عزيز السجستاني المسمى (نزهة القلوب وفرجة المكروب) رتبه على الحروف وأضاف إليه فوائد مناسبة إليه.

٤ ـ عقال الشارد

٥ ـ كنز الفوائد في تلخيص الشواهد (تلخيص معاهد التنصيص)

١١٣ ـ الشيخ فرج الله الحويزي:

الشيخ فرج الله بن محمد بن درويش الحويزي المتوفى سنة ١١٤١ هـ من فضلاء النجف وأدبائها الشعراء.

له: كتاب (تذكرة العنوان)، وصفه الشيخ محبوبة في (ماضي النجف ٢/ ١٨٥) بانها: «على طراز عجيب، بعض ألفاظها بالسواد، وبعضها بالحمرة، تقرأ طولاً وعرضاً، فالمجموع علم، وكل سطر من الحمرة عليم، في النحو والمنطق والعربية والعروض.

ووجه تسمية (تذكرة العنوان) بهذا الاسم أن بعض العامة ألف كتاباً سماه (عنوان الشرف) يشتمل على العلوم المذكورة وفقه الشافعي والتاريخ، وسمع المترجم بذلك، وتعجب جماعة من أهل المجلس، فعمل (ره) هذا الكتاب قبل أن يرى ذلك الكتاب».

ومؤلف عنوان الشرف هو شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله الحسني اليمني المتوفى سنة ٨٣٧ هـ.

وللحويزي ـ أيضاً ـ منظومة في المعاني والبيان (نظم شرح تلخيص المفتاح للتفتازاني).

١١٤ ـ قاسم محيي الدين:

الشيخ قاسم بن حسن بن موسى محي الدين المتوفى سنة ١٣٧٦ هـ. قال الشيخ محبوبة في (ماضي النجف ٣/ ٣٢٥): «وهو من الشعراء المعاصرين وأهل الكمال والأدب حسن الجواب سريع الالتفات حلو المفاكهة جيد الذهن، له إحاطة بعلم العروض والقوافي».

له في علوم اللغة العربية:

١ ـ المصابيح النحوية في شرح الألفية، (وهو شرح لبعض عبائر بدر الدين المشكلة، وصل به إلى مبحث الأخبار بالذي).

٢ ـ أماني الخليل في علم العروض.

٣ ـ دلائل التبيان في غريب القرآن.
٤ ـ شقائق الربيع في علم البديع.
٥ ـ هداية المبتدي في النحو.

١١٥ ـ كاظم القاروبي:

الشيخ كاظم بن الحاج فرج القاروبي التبريزي، من المعاصرين. من علماء حوزة النجف وأساتذتها المعروفين.

له:

١ ـ السيف المشهر في بيان المصدر واسم المصدر.
٢ ـ مغالطات الألفية.

١١٦ ـ مجيد ناجي:

الدكتور مجيد بن حميد ناجي، من المعاصرين. تخرج في كلية الفقه ثم واصل دراسته العليا في القاهرة حتى حصوله على شهادة الدكتوراه في علم البلاغة.

وقام بالتعليم الجامعي في كلية الفقه في النجف وجامعات ليبيا والجامعة العالمية للعلوم الإسلامية بلندن.

وهو اليوم من أدباء العراق وشعرائه المعروفين، وله في علوم اللغة العربية وآدابها أكثر من مؤلف.

١١٧ ـ محسن الأمين:

السيد محسن بن عبد الكريم بن علي الأمين الحسيني العاملي المتوفى سنة ١٣٧١ هـ.

من أكابر علماء الإمامية في الفقه والحديث والرجال والتاريخ والأدب نثره وشعره.

تخرج في حوزة النجف وشغل منصب العالم المرجع في دمشق حتى وفاته.

وله الموسوعة الشهيرة الموسومة بـ(أعيان الشيعة) في تراجم أعيان الشيعة.

كان عضو مجمع اللغة العربية (المجمع العلمي) بدمشق، كما كان من المؤلفين المجيدين المكثرين.

وله في علوم اللغة العربية:

١ ـ الأجرومية الجديدة.

٢ ـ أرجوزة في علاقات المجاز.

٣ ـ صفوة الصفوة في النحو.

٤ ـ المنيف في علم التصريف.

١١٨ ـ محسن البزوني:

الشيخ محسن بن حسن آل كريم البزوني، من المعاصرين.

من العلماء الأدباء، والباحثين المؤلفين.

له: معجم القرآن الكريم.

١١٩ ـ محسن الجواهري:

الشيخ محسن بن شريف بن عبد الحسين الجواهري المتوفى سنة ١٣٥٥ هـ.

فقيه مجتهد وحكيم متأله وباحث متضلع.

له:

ـ الفرائد الغوالي في شرح شواهد الأمالي (أمالي الشريف المرتضى)، وهو من أوسع الموسوعات اللغوية الأدبية في المادة اللغوية الأدبية، وأوفرها في التدقيق والتحقيق، وأغناها بالنكت الفكرية والفنية.

١٢٠ ـ محسن الحكيم:

السيد محسن بن مهدي بن صالح الطباطبائي الحسني الحكيم المتوفى سنة ١٣٩٠ هـ.

من عظماء أعلام الإمامية، وأعاظم مراجعها الزعماء، نهض بأعباء الرئاسة الدينية التي أناطتها الطائفة بشخصيته القيادية على أفضل الوجوه، فنشطت وتوسعت الحركة العلمية في أيامه، وكان لها حضورها السياسي المتميز.

أنشأ الكثير من المؤسسات الثقافية، منها: مدرسته الدينية ومكتبته العامة في النجف الأشرف، وموسوعته الفقهية القيمة (متمسك العروة الوثقى) وغيرها.

له في علوم اللغة العربية:

١ ـ رسالة في شرح الاستثناء.

٢ ـ شرح مراح الأرواح في علم الصرف.

١٢١ ـ محسن الدجيلي:

الشيخ محسن بن أحمد بن عبد الله الدجيلي المتوفى حدود سنة ١٣٣٠ هـ.

كان من العلماء الأدباء،

له: شرح الأمثال العربية

١٢٢ ـ محمد علي الآيتي:

الشيخ محمد علي بن حسن الآيتي المتوفى سنة ١٣٤٠ هـ.

عالم فاضل، وأديب ناثر شاعر.

له في علوم اللغة العربية:

ـ الفوائد المرضية في شرح القواعد النحوية والصرفية.

١٢٣ ـ محمد باقر الآراكي:

الشيخ محمد باقر الآراكي (العراقي) المتوفى بعد سنة ١٣٥٤ هـ.

من العلماء الفضلاء، والمؤلفين المحققين.

له:

ـ السيف المشهر في تحقيق اسم المصدر.

١٢٤ ـ محمد باقر الأردكاني:

الميرزا محمد باقر الشريف بن علي رضا الأردكاني، كان معاصراً للشيخ صاحب الجواهر المتوفى سنة ١٢٦٦ هـ، وكان من علماء عصره الأجلاء، قال شيخنا الطهراني في (الطبقات: الكرام ١/ ١٨٧) «وله آثار جليلة، منها: (جامع

الشواهد) المتداول بين المشتغلين، والمطبوع كراراً، وهو شرح فارسي للأشعار المستشهد بها في الكتب العربية المتداول تدريسها، كشرح الأمثلة والتصريف والعوامل والقصد والأنموذج والهداية والكافية والسيوطي والمغني والمطول وغيرها.

ذكر أنه اختصره من كتابه: «الشواهد الكبرى».

١٢٥ ـ محمد إسماعيل الأرومي:

الشيخ اسماعيل بن علي نفي الأرومي المتوفى سنة ١٣٦٢ هـ.

من العلماء المجتهدين والمؤلفين المكثرين.

له: لغات القرآن.

١٢٦ ـ محمد تقي الدزفولي:

الشيخ محمد تقي بن حسن بن أسد الله الدزفولي الكاظمي المتوفى سنة ١٣٢٧ هـ.

تخرج في حوزة النجف العلمية وسكن مدينة الكاظمية في العراق مرجعاً دينياً حتى وفاته.

له في النحو: شقائق المطالب في شرح كافية ابن الحاجب.

١٢٧ ـ محمد حسين الأصفهاني:

الشيخ محمد حسين بن محمد حسن معين التجار الأصفهاني الغروي الشهير بالكميائي المتوفى سنة ١٣٦١ هـ.

كان من أعاظم الفقهاء وأكابر الفلاسفة، تخرج فيه جمع كبير من علماء النجف الأشرف، كان الكثيرون منهم من مراجع التقليد والفتيا، وله تأليفات قيمة تميزت بالتحقيق والتدقيق والغور إلى الفكر العميق.

له في الدراسات اللغوية:

١ ـ رسالتان في المشتق.

٢ ـ رسالة في علائم الحقيقة والمجاز.

٣ ـ رسالة في اشتراك الألفاظ.

٤ ـ رسالة في أقسام الوضع.
٥ ـ بحث في معنى الحرف.

١٢٨ ـ محمد مهدي الأصفهاني:

السيد محمد مهدي بن صادق بن زين العابدين الأصفهاني الكاظمي المتوفى سنة ١٣٩١ هـ.

عالم فاضل ومؤلف مكثر، له أكثر من خمسين مؤلفاً، منها: منظومة في النحو.

١٢٩ ـ محمد هاشم الأصفهاني:

السيد محمد هاشم بن جلال الدين بن مسيح الأصفهاني المتوفى سنة ١٣٥٦ هـ.

كان من أساتذة حوزة النجف العلمية في الفقه وأصوله.

له: حاشية المغني.

١٣٠ ـ محمد علي الأفغاني:

الشيخ محمد علي بن مراد علي الأفغاني المتوفى سنة ١٤٠٦ هـ الشهير بالمدرس.

من أشهر أساتذة الحوزة العلمية النجفية في علوم اللغة العربية، وكانت حلقة درسه من أوسع الحلقات الدراسية.

له:

١ ـ الكلام المفيد للمدرس والمستفيد.
٢ ـ المدرس الأفضل في شرح ما يرمز إليه ويشار في المطول.
٣ ـ مكررات المدرس في شرح السيوطي (البهجة المرضية).
٤ ـ شرح جامع المقدمات.

١٣١ ـ محمد البغدادي:

السيد محمد بن صادق بن محمد العطار الحسني البغدادي المتوفى سنة ١٣٩٤ هـ.

كان من مراجع التقليد والفتيا، وأساتذة الدراسات العليا في الفقه والأصول.

له: منظومة في النحو.

١٣٢ ـ محمد علي البهشتي:

الشيخ محمد علي بن حسين القاري المتوفى بعد سنة ١٢٠٩ هـ.

من علماء النجف الأفاضل، اشتهر بتخصصه في علوم القرآن الكريم، وله في ذلك:

١ ـ حلية المزملين في تجويد القرآن المبين.

٢ ـ نظم ظاءات القرآن.

١٣٣ ـ محمد علي التبريزي:

الشيخ محمد علي بن أحمد القرجه داغي التبريزي المتوفى حدود سنة ١٣١٠ هـ.

عرفه الدكتور الأميني في (الرجال ١/ ٢٨٦) بقوله: «فقيه أصولي متتبع متكلم مفسر عروضي عارف بالعربية، مؤلف محقق، من أساتذة الفقه والأصول».

له: العروض والقافية.

١٣٤ ـ محمد الجرجاني:

الشيخ محمد بن علي بن محمد الجرجاني من علماء القرن الثامن الهجري، تتلمذ على العلامة الحلي المتوفى سنة ٧٢٦ هـ وأقام في النجف أستاذاً في حوزتها ومرشداً لأهلها.

له:

١ ـ المباحث العربية.

٢ ـ سرائر العربية.

٣ ـ البديع في النحو.

١٣٥ ـ محمد تقي الجزائري:

السيد محمد تقي بن أحمد بن علي أكبر الجزائري المعاصر.

تخرج في حوزة النجف وأقام في طهران لإمامة الجماعة والتبليغ الديني:

له: راهنماي تجزيه وتركيب وقواعد صرف ونحو عربي، (باللغة الفارسية).

١٣٦ ـ محمد جواد الجزائري:

الشيخ محمد جواد وبن علي بن كاظم الجزائري المتوفى سنة ١٣٧٨ هـ من علماء النجف الأفاضل وأساتذة حوزتها الأماثل، من أعلام منتدياتها الأدبية، اشتهر بالفلسفة الإلهية، وألف فيها، وكان من أبطال الثورات الإسلامية العراقية ضد الاستعمار البريطاني.

له في النحو:

١ ـ حاشية على شرح ابن الناظم لألفية ابن مالك.

٢ ـ نقد الاقتراحات المصرية في تيسير العلوم العربية. والشيخ الجزائري في هذا الكتاب الذي هو مناقشة للمقترحات التي تقدم بها ثلة كريمة من علماء وأدباء العربية في مصر وعلى رأسهم الدكتور طه حسين لتيسير المادة النحوية في المقررات الدراسية والتعليمية في المدارس والمعاهد، يوقفنا على حضور النجف في كل قضايا اللغة العربية، ومتابعتها للتطور العلمي في الأوساط العلمية العربية.

١٣٧ ـ محمد حسن الجزائري:

السيد محمد حسن بن محمد حسين بن محمد جعفر الجزائري المعاصر من فضلاء النجف وأدبائها.

له تضمين ألفية ابن مالك.

١٣٨ ـ محمد على الجزائري:

السيد محمد علي بن محمد عباس بن علي أكبر الجزائري المتوفى سنة ١٣٦٠ هـ الملقب بالمفتي.

تخرج في النجف الأشرف، وأقام في لكهنؤ بالهند أستاذاً حوزوياً ومرشداً دينياً، وللمدرسة الدينية فيها.

له:

١ ـ ضبط الغريب من لغة العرب.

٢ ـ شرح ديوان امرىء القيس.

٣ ـ شرح زنات الطرب في قصائد العرب.

١٣٩ ـ محمد الجزائري:

الشيخ محمد بن علي بن كاظم الجزائري المتوفى سنة ١٣٠٤ هـ.

من أفاضل النجف وأدبائها.

له كتابات في النحو:

١٤٠ ـ محمد تقي الجلالي:

السيد محمد تقي بن محسن الجلالي المعاصر:

عالم فاضل ومرشد عامل.

له: نزهة الطرف في علم الصرف.

١٤١ ـ محمد علي الجهاروهي:

الشيخ محمد علي بن محمد بن زين العابدين الجهاروهي المتوفى سنة ١٣٣٤ هـ. كان من أبرز علماء النجف وألمع أساتذتها، وبخاصة فيما يعرف بدرس السطوح.

له: تبيان اللغة (فارسي).

١٤٢ ـ محمد بقار الحائري:

السيد محمد باقر أبي القاسم بن حسن الطباطبائي الحائري المتوفى سنة ١٣٣١ هـ الملقب بـ(الحجة).

تخرج في حوزة النجف الأشرف، وأقام في كربلاء المقدسة مرجعاً دينياً في التدريس والفتيا والإصلاح.

له: الدرة في النحو.

١٤٣ ـ محمد علي الحسيني:

الدكتور السيد محمد علي بن هادي الحسيني، المعاصر

تخرج في جامعة بغداد وبدرجة الماجستير في اللغة العربية، ثم واصل

دراسته حتى حصل على الدكتوراه في اللغويات من بريطانيا، وهو الآن من علماء اللغة العربية وأدبائها المعروفين، ومن أساتذة اللغويات في طهران.

له في النحو: الوافية في شرح الكافية (تحقيق)

وغيره.

١٤٤ ـ محمد تقي الحكيم:

أستاذنا الكبير السيد محمد تقي بن محمد سعيد بن حسين الحكيم المعاصر، من أعلام علماء وأدباء وأساتذة النجف الأشرف، شارك في تأسيس كلية الفقه في النجف، وكان من أبرز أساتذتها وأحد عمدائها وعمدها، كما شارك في التدريس بقسم ماجستير الشريعة في معهد الدراسات العليا بجامعة بغداد، واختير عضواً في المجمع العلمي العراقي ومجمع اللغة العربية بالقاهرة.

وهو أول من ألف في أصول الفقه المقارن، وكتابه المعنون (الأصول العامة للفقه المقارن) يعتد أهم مرجع علمي في هذه المادة.

ويقوم الآن بتدريس البحث الخارج في حوزة النجف العلمية.

وتميز ـ حفظه الله ـ بالمنهجية في كتاباته وتأليفاته، وبالقدرة التربوية، فقد تخرج فيه الكثير من أدباء النجف وفضلائها المعاصرين وبخاصة الذين تتلمذوا عليه في كلية الفقه.

له في اللغويات:

١ ـ الإشتراك والترادف.

٢ ـ الوضع: تحديده. تقسيماته. مصادر العلم به.

٣ ـ المعنى الحرفي في اللغة بين النحو والفلسفة والأصول.

١٤٥ ـ محمد مهدي الخرسان:

السيد محمد مهدي بن حسن بن عبد الهادي الخرسان، من المعاصرين:

من أفاضل علماء النجف وأماثل محققي التراث فيها، تميزت باهتماماته في ببيليوغرافيا المخطوطات العربية، وقدم للكثير من كتب التراث المطبوعة.

له: شرح مسائل نافع بن الأزرق.

١٤٦ ـ محمد هادي الخرسان:

السيد محمد هادي بن محمد رضا بن حسن الموسوي الخرسان، المعاصر

تخرج في كلية الفقه وحوزة النجف العلمية، ويواصل الآن دراسته العليا بكلية الأوزاعي ببيروت.

وهو من العلماء الفضلاء والمؤلفين المكثرين.

له في الدرس اللغوي:

ـ شرح تهذيب المغني.

١٤٧ ـ محمد الخليفة:

السيد محمد بن خليفة الموسوي الإحسائي المتوفى سنة ١٢٨١هـ.

تخرج في حوزة النجف عالماً فاضلاً، وأقام بمدينة البصرة عالماً مرجعاً.

من مؤلفاته: شرح بحث الاستثناء من شرح بدر الدين لألفية ابن مالك.

١٤٨ ـ محمد الخليلي:

الشيخ محمد بن حسين بن الخليل المتوفى سنة ١٣٥٥ هـ.

من الفقهاء المجتهدين والزهاد المتنسكين.

له: غريب القرآن.

١٤٩ ـ محمد علي الخونساري:

الشيخ محمد علي بن محمد حسن بن محمد علي الخونساري المتوفى سنة ١٣٣٢ هـ.

من علماء حوزة النجف الأفاضل وأساتذتها المعروفين.

له: رسالة في المبادىء اللغوية.

١٥٠ ـ محمد تقي الخوئي:

السيد محمد تقي بن أسد الله الخوئي من علماء القرن الرابع عشر الهجري.

له: التحفة المرضية (أرجوزة في علم الصرف).

١٥١ ـ محمد رضا ذهب:

الشيخ محمد رضا بن محمود بن محمد ذهب المتوفى سنة ١٣٧٤ هـ. من علماء حوزة النجف وأساتذتها، اشتهر بتضلعه في علوم اللغة العربية وآدابها وكان من أهم مراجعها آنذاك.

١٥٢ ـ محمد الزيني:

السيد محمد بن أحمد بن علي الحسيني الزيني المتوفى سنة ١٢١٦ هـ كان عالماً أديباً وشاعراً مجيداً، اشتهر بتفوقه في علوم البلاغة وله تأليفات فيها.

١٥٣ ـ محمد السماوي:

الشيخ محمد بن طاهر حبيب الفضلى الشهير بالسماوي المتوفى سنة ١٣٧٠ هـ.

من مشاهير علماء النجف وأدبائها، شغل وظيفة القاضي الجعفري في عدة مدن عراقية، وعينّ عضواً في محكمة التمييز الشرعي الجعفرية ببغداد.

اشتهر بجمعه للكتب النادرة والمهمة وباستنساخه لكثير من المخطوطات، فقد ذكر أنه نسخ بخط يده أكثر من مائتي كتاب، وكانت مكتبته الخاصة تعد من نوادر المكتبات القيمة.

له في النحو الصرف:

١ ـ ملتقطات الصحو في مستنبطات النحو، وهي أرجوزة، ومطلعها:

أحمدك اللهم فيمن حمدا ... مصلياً على النبي أحمدا

ومنها:

والنحو محتاج بكل آيه ... فهو إذا فرض على الكفاية

فهاكه ملتقطات الصحو ... تجد به مستنبطات النحو

٢ ـ الترصيف في التصريف، وهو أرجوزة أيضاً.

٣ ـ نظم السمط في علم الخط، وهو أرجوزة أيضاً.

١٥٤ ـ محمد حسين سميسم:

الشيخ محمد حسين بن محمد بن أحمد آل سميسم المتوفى سنة ١٣٧٧ هـ من العلماء الفضلاء والمؤلفين المكثرين.

له) مختصر مجمع البحرين، للطريحي، فرغ منه في ١٧/٤/١٣٥١ هـ.

١٥٥ ـ محمد جواد السهلاني:

الشيخ محمد جواد بن علي بن عبد الرضا السهلاني المعاصر.

من العلماء الأدباء والوجهاء النبلاء.

له:

ـ في ظل الخليل: دراسة في علم العروض.

١٥٦ ـ محمد رضا الشبيبي:

الشيخ محمد رضا بن جواد بن محمد الشبيبي المتوفى سنة ١٣٨٥ هـ كان من مشاهير مؤرخي العرب، ومبرزي علماء اللغة، اختير عضواً في جميع المجامع اللغوية العربية، ورأس المجمع العلمي العراقي، وحاضر في معهد الدراسات العربية العليا بالقاهرة، ومنح شهادة الدكتوراه الفخرية من جامعة القاهرة، وشغل منصل وزير المعارف في غير واحدة من الوزارات العراقية الهاشمية.

قال شيخنا الطهراني في (الطبقات: النقباء ٧٤٦/٢)) «وهو بالإضافة إلى محاسنه الكثيرة لغوي كبير، ومن الخبراء المتضلعين المعترف لهم في هذا الفن».

وقال أيضاً: «والشبيبي شخصية متعددة الجوانب، ومجال القول فيه ذو سعة، فهو من رجال الفضل المشاهير، وأبطال الكلام والمعرفة، وأعلام العراق ونوابغه. ومن أبناء النجف البررة الذين يحق لها الإفتخار بهم بكل ما لكلمة الإفتخار من سمو معنى».

له:

١ ـ أصول ألفاظ اللهجية العراقية.

٢ ـ لهجات الجنوب.

٣ ـ المأنوس من لغة القاموس.

١٥٧ ـ محمد حسن شريعتمدار:

الشيخ محمد حسن بن محمد جعفر بن سيف الدين شريعتمدار الإسترابادي المتوفى سنة ١٣١٨ هـ.

من الفقهاء المجتهدين والمؤلفين المكثرين.

له: حاشية شرح الجامي على كافية ابن الحاجب في النحو.

١٥٨ ـ محمد علي الشهرستاني:

السيد هبة الدين محمد علي بن حسين بن محسن الشهرستاني المتوفى سنة ١٣٨٦ هـ.

قال شيخنا الطهراني في (الطبقات: النقباء ٤/ ١٤١٤): «عالم كبير ومجتهد مجدد ومصلح معروف».

وقال: «وفي سنة ١٣٢٨ ـ ١٩١٠ أصدر مجلته (العلم)، وهي أول مجلة عربية ظهرت في النجف، وقد أرخ صدورها الحجة الكبير الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء بقوله:

هبة الدين أتانا بعلوم مستفيضه
وله التاريخ أهدى طلب العلم فريضه

له: رواشح الفيوض في علم العروض.

١٥٩ ـ محمد حسين الشيرازي:

الشيخ محمد حسين بن خليل الله بن أسد الله الشيرازي المتوفى سنة ١٣٣٩ هـ.

تخرج في حوزة النجف عالماً جليلاً ومؤلفاً باحثاً.

له: لغات القرآن.

١٦٠ ـ محمد علي الشيرازي:

الشيخ محمد علي بن محب علي بن محمد علي الشيرازي المتوفى سنة ١٣١٩ هـ.

تخرج في حوزة النجف وقطن شيراز مرجعاً لأهلها في الفتيا والإصلاح.

له فرائد الدرر في النحو.

١٦١ ـ محمد رضا آل صادق:

الشيخ محمد رضا بن محمد بن صادق آل صادق، المعاصر.

تخرج في كلية الفقه، وانخرط في سلك التعليم العراقي.

وهو اليوم من الشعراء البارزين.

له: الوصف عند النحويين والأصوليين.

١٦٢ ـ محمد حسن الطالقاني:

السيد محمد حسن بن عبد الرسول بن مشكور الطالقاني، المعاصر.

من شعراء النجف وكتابها، أصدر صحيفة (المعارف)، وقام بالتعليم الإبتدائي في المدارس العراقية.

له: سحر الأديب في شواهد اللبيب.

١٦٣ ـ محمد حسين الطريحي:

الأستاذ محمد حسين بن محمد كاظم بن كاتب الطريحي، المعاصر.

تخرج في جامعة بغداد، وهو اليوم من أساتذة اللغة العربية وأدبائها.

له:

١ ـ اللغة في شعر الجواهري.

٢ ـ معجم المصطلحات الإعلامية.

١٦٤ ـ محمد رضا الطريحي:

الأستاذ محمد رضا بن محمد كاظم بن كاتب الطريحي، المعاصر.

تخرج في كلية الفقه، ثم في كلية دار العلوم بدرجة ماجستير اللغة العربية في النحو والصرف والعروض، ولا يزال يواصل دراسته للحصول على الدكتوراه.

وهو اليوم كأخيه الأستاذ محمد حسين من أساتذة اللغة العربية وأدبائها.

له:

١ ـ النواسخ في النحو العربي.

٢ ـ معجم الجملة البسيطة في القرآن الكريم.

٣ ـ قراءة علي (ع).

١٦٥ ـ محمد هادي الطهراني:

الشيخ محمد هادي بن محمد أمين الطهراني المعروف بالمدرس المتوفى سنة ١٣٢١ هـ.

من أعلام الحوزة العلمية في النجف علماً وتدريساً وشهرة.

له: منظومة في النحو.

١٦٦ ـ محمد الظويهري:

الشيخ محمد بن يونس بن راضي بن شويهي الظويهري من علماء القرن الثالث عشر الهجري.

قال الشيخ محبوبة في (ماضي النجف ٣/ ٥٦٥ هامش): «وهو من العلماء المصنفين المكثرين، جرى قلمه في أكثر الفنون».

له:

١ ـ الجمانة البحرية في اللغة.

٢ ـ شرح القصائد العلويات السبع.

١٦٧ ـ محمد علي العاملي:

السيد محمد علي بن صدر الدين بن صالح الموسوي العاملي المتوفى سنة ١٢٤٧ هـ.

تخرج في حوزة النجف فقيهاً مجتهداً، ومارس التدريس العالي والبحث والتأليف، وسكن بعد ذلك مدينة أصفهان زعيماً دينياً عاماً حتى وفاته.

له: ألفية في النحو.

١٦٨ ـ محمد الزين:

الشيخ محمد بن سليمان بن علي الزين العاملي المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ.

اشتهر في أوساط حوزة النجف ـ مضافاً إلى فقاهته ـ بتخصصه في علوم اللغة العربية وآدابها.

له:

١ ـ حاشية على شرح النظام على شافية ابن الحاجب في الصرف.

٢ ـ كتاب في علم الصرف.

١٦٩ ـ محمد علي العاملي:

السيد محمد علي بن ابي الحسن الموسوي العاملي المتوفى سنة ١٢٩٠ هـ.

له:

١ ـ كتاب في النحو.

٢ ـ كتاب في الصرف.

١٧٠ ـ محمد علي علي خان:

السيد محمد علي بن عبد الحسين بن علي آل السيد علي خان المتوفى سنة ١٣٩١ هـ.

من فضلاء النجف وأدبائها، شارك في التدريس الحوزوي والنشر في الصحف النجفية.

له: كتاب في النحو.

١٧١ ـ محمد رضا الغراوي:

الشيخ محمد رضا بن قاسم بن محمد الغراوي المتوفى سنة ١٣٨٥ هـ.

فقيه مجتهد وأديب فاضل ومؤلف مكثر، وعالم مشارك.

له:

١ ـ لب اللباب في معاني بعض غريب اللغة والحديث والكتاب، يقع في ستة عشر مجلداً، وهو شرح لكتاب (مجمع البحرين) للطريحي، قال الشيخ محبوبة في (ماضي النجف ٣/ ٣٩ هامش): «قرظ هذا الكتاب العلامة الكبير السيد أبو الحسن الأصفهاني فقال: فكم له من كتب شهدت بعلمه وفضله، ومصنفات دلت على أنه بقول مطلق من أهله، فلا غرو إذا قلت في مدحه:

لقد أوضحت في اللب اللباب غريباً للحديث وللكتاب
وكم قد شدت للإيمان رسماً وكم بيّنت نهجاً للصواب
حبيت من الإله بكل فضل وأعطاك الجزيل من الثواب
رضينا بالرضا فينا إماماً لأنّ بقوله فصل الخطاب

٢ ـ الفواشد النحوية في شرح نظم الألفية (ألفية ابن مالك).

٣ ـ اللمع الغراوية في شرح القصيدة الشذراوية في النحو، وهو شرح لمنظومة الشيخ عبد الله الشذراوي في النحو.

٤ ـ بلوغ من الجنان في تفسير الألفاظ اللغوية من القرآن.

٥ ـ أ في الأديب مختصر مغني اللبيب.

١٧٢ ـ محمد مهد الغروي:

من فضلاء النجف في القرن الرابع عشر الهجري، كان حياً سنة ١٣١٥ هـ وعرف باستاذيته للمقدمات الحوزوية وبخاصة النحو والصرف والمنطق، وله: رسالة في أبواب التعريف، رسالة في النحو.

١٧٣ ـ محمد رضا آل كاشف الغطاء:

الشيخ محمد رضا بن هادي بن عباس آل كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٣٦٦ هـ.

من مشهوري علماء النجف وأساتذتها، ومن الأفاضل المشاركين في الكثير من العلوم. له: رسالة في الخط العربي/ رسالة في الفرق بين الضاد والظاء.

١٧٤ ـ محمد الكركي:

الشيخ محمد بن علي الكركي العاملي، المعاصر لشيخنا الطهراني صاحب الذريعة عرف بتضلعه في النحو والصرف، وله فيه: كتاب الإظهار، وهو متن مختصر رتبه على ثلاثة أبواب الأول في العامل والثاني في المعمول والثالث في العمل.

١٧٥ ـ محمد الكرمي:

الشيخ محمد بن محمد طه بن نصر الله الكرمي من أفاضل العلماء

المعاصرين والمؤلفين المحققين. له: الوشاح على الشرح المختصر لتلخيص المفتاح.

١٧٦ ـ محمد علي كمال السدني:

الأستاذ السيد محمد علي بن عيسى بن محمد آل كمال السدني المتوفى سنة ١٣٨٥ هـ.

تخرج في دار المعلمين العالية ببغداد والتحق بسلك التعليم الثانوي في المدارس العراقية، ألف في اللغة والأدب والتاريخ، وله: كتاب تيسير العربية في النحو.

١٧٧ ـ محمد حسين الكيشوان:

السيد محمد حسين بن كاظم بن علي الموسوي الشهير بالكيشوان المتوفى سنة ١٣٥٦ هـ.

قال الأستاذ الخاقاني في (شعراء الغري ٨/٣): ذكره الشيخ النقدي في الروض النضير ص ٢٥٠ فقال: من فضلاء العصر وشيوخ الأدب له إلمام تام بجملة العلوم، وله تآليف في بعضها» منها: تحفة الخليل في العروض والقوافي (منظومة) أثبتها الخاقاني مع شيء من شرحها للناظم نفسه في آخر ترجمته من شعراء الغري أولها:

محمداً لمن تواترت منه النعم ... مردفة بما به خص وعم

ومنها:

وبعد فالعروض لما كانا ... للشعر في تأليفه ميزانا
أخرجت منه كنز ما حوا ... بكل لفظ رائق معناه
منظومة حوت لكل بحر ... ما هو أبهى من عقود الدر
سميتها بـ(تحفة الخليل) ... مؤملاً فيها نجاح سولي

١٧٨ ـ محمد جواد محفوظ:

الشيخ محمد جواد بن موسى بن حسن آل محفوظ المتوفى سنة ١٣٥٨ هـ.

تخرج في حوزة النجف عالماً فاضلاً وأديباً لامعاً، له: حاشية على شرح قطر الندى لابن هشام/ منظومة في النحو.

١٧٩ ـ محمد رحيم المشهدي:

الشيخ محمد رحيم بن محمد المشهدي المتوفى سنة ١٣٠٩ هـ.

قال فيه شيخنا الطهراني في (الطبقات: النقباء ٢/ ٧٢٢): «عالم كبير وفقيه جليل من الأعاظم المشاهير» له: كتاب في النحو.

١٨٠ ـ محمد جواد مطر:

الشيخ محمد جواد بن حسن بن مطر المتوفى سنة ١٣٧٥ هـ.

قال فيه الشيخ محبوبة في (ماضي النجف ٣/ ٣٥٩): «من أهل العلم الساهرين والمجهدين في طلبه... له مؤلفات كثيرة تزيد على الستين كتاباً في شتى الفنون لم يطبع منها شيء، له في النحو والمنطق والهيئة وعلم الدراية، وله تآليف كثيرة في الفقه والأصول، وله أرجوزة في النحو والمنطق والدراية وفي الفقه، وله ديوان شعر يحتوي على ما يناهز السبعة آلاف بيت وهو من الشعر السائر».

١٨١ ـ محمد كاظم الملكي:

الأستاذ محمد كاظم بن محمد صادق بن قنبر الملكي المتوفى سنة ١٣٩٠ هـ.

قال الدكتور الأميني في (الرجال ٣/ ١٢٤٣): «من أساتذة الحساب واللغة العربية، ولد في النجف الأشرف، وتخرج من مدارسها الحكومية، ودخل سلك التعليم والتربية وأحيل إلى التقاعد، وانصرف إلى التأليف والتشيع والبحث والحضور في مجالس تدريس الشيوخ للإستفادة».

له الآراء الراقية الحديثة في تيسير قواعد اللغة العربية/ قاموس اللغة العربية إلى الفارسية الفصيحة/ قاموس اللغة الفارسية.

١٨٢ ـ محمد على الموحي:

الشيخ محمد علي بن بشارة بن عبد الرحمن آل موحي الكعبي المتوفى

حدود سنة ١١٦٠ هـ من العلماء والأدباء ذوي الحضور والصيت في الأوساط العلمية والأدبية في النجف له: الريحانة في النحو.

١٨٣ ـ محمد كاظم النحوي:

السيد محمد كاظم الموسوي النحوي المتوفى سنة ١٢٤٤ هـ.

من العلماء الأجلّاء، له: التهليلية في إعراب كلمة التوحيد، عرفه شيخنا الطهراني في الذريعة (٥١٦/٤) بقوله: «التهليلية في إعراب كلمة التوحيد وإثبات أن (إله) خبر مقدم و (الله) مبتدأ مؤخّر، فلا يحتاج إلى حذف وإضمار كما ذهب السيد الزمخشري خلافاً لجل النحاة.

١٨٤ ـ محمد النصيري الدامغاني:

من العلماء الفضلاء المعاصرين، له: جامع الفروق/ شواهد المغني.

١٨٥ ـ محمد علي الهزارجريسبي:

الشيخ محمد علي بن محمد باقر الهزارجريسبي المتوفى سنة ١٢٤٥ هـ عامل جليل ومؤلف مكثر، له: تعليقة على حرف الهمزة من كتاب المغني لابن هشام.

١٨٦ ـ محمود التبريزي:

السيد محمود بن علي أصغر بن محمد تقي الحسني المتوفى سنة ١٣١٠ هـ فقيه مجتهد ومؤلف محقق، له: حاشية مجمع البحرين/ منتهى المقاصد في علم النحو.

١٨٧ ـ محمود سميم:

الشيخ محمود بن أحمد آل سميم المتوفى سنة ١٣١٠ هـ.

من مشاهير علماء وأدباء النجف في عصره، له: شرح ألفية ابن مالك.

١٨٨ ـ محمود الشاهرودي:

السيد محمود بن علي بن عبدالله الحسيني الشاهرودي المتوفى سنة ١٣٩٦ هـ، من الفقهاء المجتهدين ومراجع التقليد والفتيا، ومشاهير أساتذة الحوزة العلمية.

له: كتاب في علم النحو.

١٨٦ ـ مرتضى الشيخ:

السيد مرتضى بن علي رضا الطباطبائي المعروف بالشيخ المتوفى سنة ١٣٣٣ هـ، قال الدكتور الأميني في (الرجال ٢/ ٧٦٦): «مجتهد جليل، عالم مؤلف، ورع زاهد) عرف بالشيخ لكثرة زهده وورعه» له: كتاب في النحو.

١٩٠ ـ مرتضى نظام الدولة:

الشيخ مرتضى قلي خان بن علي محمد خان آل نظام الدولة المتوفى سنة ١٣٠٦ هـ.

من أفاضل علماء النجف ومشاهير أدبائها.

له: تتمة طراز اللغة، للسيد علي خان المدني.

١٩١ ـ مصطفى التبريزي:

الشيخ مصطفى بن حسن بن محمد باقر التبريزي المتوفى سنة ١٣٣٧ هـ.

من العلماء البارزين وذوي المعرفة الواسعة في العلوم الأدبية والرياضيات.

له:

١ ـ رسالة في علم العروض.

٢ ـ منظومة في علم العروض، وهي التي تقدم ذكر شرحها لزميله الشيخ آغا رضا الأصفهاني.

١٩٢ ـ مصطفى جمال الدين:

الدكتور مصطفى بن جعفر بن عناية الله جمال الدين، المعاصر.

تخرج في كلية الفقه، ثم واصل دراساته العليا حتى حصل على شهادة الدكتوراه في اللغة العربية، بالإضافة إلى دراساته الحوزوية.

وقام بالتدريس في كلية الفقه وجامعة بغداد، ونشر العديد من البحوث العلمية والمقالات الأدبية في الدوريات الأكاديمية والمجلات الأدبية.

وهو اليوم من أبرز الأدباء العراقيين والشعراء العرب، عرفته المحافل الأدبية والمؤتمرات العربية الشاعر الذي لا يشق له غبار.

له:

١ ـ الإيقاع في الشعر العربي من البيت إلى التفعيلة.
٢ ـ البحث النحوي عند الأصوليين.

١٩٣ ـ مصطفى الدشتي:

السيد مصطفى بن عبدالله بن محمد صادق الحسيني الدشتي المعاصر.
من أفاضل العلماء ومبرزي أساتذة الحوزتين في النجف الأشرف وقم المقدسة.

له: شرح ألفية ابن مالك.

١٩٤ ـ منصور المرهون:

الشيخ منصور بن علي بن محمد المرهون القطيفي المتوفى سنة ١٣٦٢ هـ.

تخرج في حوزة النجف عالماً جليلاً وأديباً فاضلاً.
له: القواعد العربية.

١٩٥ ـ مهدي أبو الكابو:

السيد مهدي بن محمد بن حسن الموسوي المتوفى سنة ١٣٣٩ هـ.

من العلماء الأجلاء ومشاهير أدباء العراق.

له: أرجوزة في المعاني والبيان.

١٩٦ ـ مهدي التفريشي:

السيد مهدي بن مصطفى بن حسن الحسيني التفريشي المتوفى سنة ١٣٦٠ هـ.

فقيه مجتهد وعالم مشارك.

له: البديعة في شرح ألفية ابن مالك.

١٩٧ ـ مهدي الخالصي:

الشيخ مهدي بن محمد حسين بن عبد العزيز الخالصي المتوفى سنة ١٣٤٣ هـ.

قال السيد الأصفهاني في (أحسن الوديعة ٢٧١): «من أكابر العلماء المجتهدين وأفاضل الفقهاء البارعين»، ومن مراجع التقليد والفتيا.

له: منظومات في علوم العربية.

١٩٨ ـ مهدي السويج:

السيد مهدي بن محمد السويج المعاصر.

من مشاهير خطباء المنبر الحسيني، والمؤلفين المكثرين، تخرج في الحوزة العلمية في النجف.

له: الستمائة المهدية في الحذف والتقدير في الدروس النحوية والصرفية.

١٩٩ ـ مهدي المخزومي:

الدكتور مهدي بن صالح بن حسن آل زايردهام الشهير بالمخزومي المتوفى سنة ١٤١٤ هـ.

قرأ مقدمات الدرس الحوزوي من الصرف والنحو والبلاغة والمنطق ومبادىء أصول الفقه ومبادىء الفقه في النجف الأشرف، ثم التحق بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة، وتخرّج فيها بدرجة دكتوراه في اللغة العربية، وعيّن أستاذاً بجامعة بغداد، كما قام بالتدريس في جامعة الرياض.

ويعد ـ في ضوء ما قدم من نتاج علمي في النحو العربي ـ من أعلام النحاة العرب، ومن المجددين للفكر النحوي في هذا العصر.

له من الآثار النحوية:

١ ـ الخليل بن أحمد الفراهيدي: أعماله ومنهجه.

٢ ـ مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو.

٣ ـ في النحو العربي: نقد وتوجيه.

٤ ـ في النحو العربي: قواعد وتطبيق.

٥ ـ الدرس النحوي في بغداد.
٦ ـ عبقري من البصرة.

٢٠٠ ـ نصر الله المدرس:

الشيخ نصر الله بن عبد الغفار المدرس المتوفى سنة ١٢٩١ هـ.

عالم أديب ومؤلف محقق.

له: كتاب في العروض والقافية.

٢٠١ ـ نعمة الساعدي:

الشيخ نعمة بن هادي الساعدي المعاصر.

تخرّج في كلية الفقه وفي حوزة النجف العلمية، وعيّن مدرساً في التعليم الثانوي العراقي.

وهو من العلماء الفضلاء والمؤلفين المحققين.

له: شرح منظومة ابن الحاجب في الأسماء المؤنثة السماعية.

٢٠٢ ـ نور الدين الجزائري:

الشيخ نور الدين بن محمد صالح بن هادي الجزائري، من المعاصرين. من العلماء الأدباء.

له:

١ ـ كتاب في اللغة.
٢ ـ النحو في الخيال.

٢٠٣ ـ هادي الأشكوري:

السيد هادي بن حسين بن عباس الحسيني الأشكوري المتوفى سنة ١٣٦٧ هـ.

قال الدكتور الأميني في (الرجال ١٢٦/١): «من أهل الفضل والفضيلة المرموقين والكتاب المؤلفين».

له: الإفاضات الغروية في معرفة اللغة العربية.

٢٠٤ ـ هادي آل كاشف الغطاء:

الشيخ هادي بن عباس بن علي آل كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٣٦١ هـ.

قال الشيخ محبوبة في (ماضي النجف ٣/ ٢١٠): «أحد أعلام النجف... له مودّة أكيدة، وصحبة صادقة مع أعلام الأدب كالشيخ آغا رضا الأصفهاني والشيخ جواد الشبيبي والشيخ عبد الحسين آل صاحب الجواهر والسيد جعفر الحلي، ودارت بينهم المباريات في الشعر والمكاتبات، وجلّها مدونة، تشهد بتضلعه في اللغة والأدب، وكانت له مكانة عظيمة فيما بينهم يشهد له ما تجده في المجاميع الشعرية من المقاطيع التي اشترك في نظمها جماعة منهم حيث يتخلصون بمدحه والثناء عليه».

له: نظم الزهر لنثر القطر:

وهو نظم لمتن قطر الندى لابن هشام الأنصاري، أولها:

باسم إله مفرد الذات علم ... مبتدأ بالخير موصول النعم

ومنها في باب عمل اسم التفضيل:

لا يرفع الظاهر غالباً وفي ... مسألة الكحل جوازه أقتفي

كلا أرى في الناس من فضل ... أولى به التفضيل من علي

٢٠٥ ـ هادي كمال الدين:

السيد هادي بن حمد بن فاضل كمال الدين، من المعاصرين.

عالم أديب، وصحافي كاتب، اشتهر بتضلعه في علوم اللغة العربية وآدابها.

له:

١ ـ تحفة الحضر والأعراب في علم النحو والإعراب.

٢ ـ الأمثال العامية في الديار العراقية.

٢٠٦ ـ هاشم الحائري:

السيد هاشم بن جواد بن مهدي الحائري المتوفى سنة ١٤١١ هـ.

قال الدكتور الأميني في (الرجال ١/١٤٦): «عالم جليل مجتهد، فاضل، نحوي متتبع، مؤلف، ورع خيّر ثقة صالح».

له:

١ ـ علوم العربية في النحو والصرف وشواهد النحو.

٢ ـ علوم العربية في الصرف (فارسي).

٢٠٧ ـ هاشم الخاتون آبادي:

السيد هاشم بن محمد حسين بن محمد رضا الخاتون آبادي المتوفى سنة ١٢٦٢ هـ.

من العلماء الأفاضل والأساتذة المعروفين.

له: فروق الكلمات.

٢٠٩ ـ هاشم شلاش:

الأستاذ هاشم بن طر آل شلاش، المعاصر.

من أساتذة اللغة والأدب البارزين.

له: أوزان الأفعال ومعانيها.

٢١٠ ـ يوسف الأزري:

الشيخ يوسف بن محمد بن مراد الأزري المتوفى سنة ١٢١٣ هـ.

من العلماء الأدباء الذين عرفوا بتخصصهم في علوم العربية.

له:

١ ـ النخبة في النحو.

٢ ـ شرح النخبة (وهو شرح لكتابه المذكور قبله).

المراجع

١ - **أحسن الوديعة في تراجم مشاهير مجتهدي الشيعة**، السيد محمد مهدي الموسوي الأصفهاني الكاظمي (النجف الأشرف: م الحيدرية ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م ط٢).

٢ - **الأعلام**: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي (بيروت: دار العلم للملايين ١٩٧٩ م ط٤).

٣ - **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: م عيسىٰ البابي الحلبي وشركاه ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م ط١).

٤ - **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**، الشيخ آقا بزرك الطهراني (بيروت: دار الأضواء ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ط٣).

٥ - **رياض العلماء وحياض الفضلاء**، الميرزا عبد الله أفندي الأصفهاني، باهتمام السيد محمود المرعشي، وتحقيق السيد أحمد الحسيني (قم: م الخيام ١٤٠١ هـ).

٦ - **شعراء الغري أو النجفيات**، علي الخاقاني (قم: م بهمن ١٤٠٨ هـ).

٧ - **طبقات أعلام الشيعة**: الكرام البررة في القرن الثالث بعد العشرة، آغا بزرك الطهراني (مشهد: م سعيد ١٤٠٤ هـ ط٢).

٨ - **طبقات أعلام الشيعة**: نقباء البشر في القرن الرابع عشر، آغا بزرك الطهراني (مشهد: م سعيد ١٤٠٤ هـ ط٢).

٩ - **الكنى والألقاب**، الشيخ عباس القمي (بيروت: مؤسسة الوفاء ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ط٢).

١٠ - **ماضي النجف وحاضرها**، الشيخ جعفر الشيخ باقر آل محبوبة (بيروت: دار الأضواء ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ط٢).

١١ - **معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام**، الدكتور محمد هادي الأميني (بيروت: دار الكتاب الإسلامي ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م ط٢).

١٢ ـ **معجم المؤلفين**: تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة (بيروت: دار إحياء التراث العربي ـ).
١٣ ـ **نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة**، الشيخ محمد الطنطاوي (القاهرة: دار المعارف ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م ط٥).
١٤ ـ **معلومات كاتب البحث الخاصة**.

تظل «الهيئة» وما يرتبط بها من قضايا ، واحدة من المواد الحوزوية التي عُني بها الفقهاء ، نظراً لافتقار الفقيه عبر بحثه عن القبلة والهلال والوقت إلى المادة المذكورة . بيد أن النشاط المرتبط بهذا الجانب يظل هامشياً بنحو عام ، حيث يُخصص للمادة أحد الأيام أو يمرّر عابراً ، إلاّ لدىٰ أشخاص معدودين نشطوا في تدريسه وتلّقيه ، وفي تأليف الرسائل والكتب ، حيث حفلت المؤسسة الحوزوية في النجف بنتاج له قيمته العلمية دون أدنى شك . .

إن موسوعتنا ـ في ضوء الحقيقة المذكورة ـ تقدم إلى القارئ بحثاً من النشاط العلمي المشار إليه ، فيما كتبه أحد الحوزويين المعروفين وهو : السيد الدكتور زهير الأعرجي ، ضمن عنوان :

«علم الهيئة»

في حوزة النجف الأشرف

زهير الأعرجي

مقدمة

نبع اهتمام علماء الإمامية المتأخرين بعلم «الهيئة» من زاوية اهتمامهم بتشخيص سمت القبلة ، ومراحل ولادة القمر ، وأسباب الخسوف والكسوف ، وأسباب زيادة النور في القمر أو نقصانه . فقد كان علم الهيئة أداة تأريخية لتقريب المكلّف من أداء وظيفته الشرعية بالشكل الصحيح المطابق للواقع العملي الظاهري فيما يتعلق باتجاه القبلة أثناء الصلاة ، وما يتعلق برؤية الهلال لصيام شهر رمضان أو أداء فريضة الحج ، وما يتعلق ببعض المظاهر الكونية التي تتطلب لوناً من ألوان العبادات كالصلاة الواجبة خلال خسوف القمر أو كسوف الشمس .

ولئن افتقرت النجف الأشرف إلى مرصد علمي فلكي كمرصدي المأمون في بغداد والشام ، والمرصد الحاكمي في مصر ، ومرصد البتّاني في الشام ، ومرصد الدينوري في أصفهان ، ومرصد مراغة في إيران ، ومرصد ألغ بك في سمرقند ، إلا أن تلك المدينة المقدسة كانت مركزاً علمياً لتدريس نتاجات وإبداعات تلك المراصد العلمية التجريبية .

ولم يكن علماء النجف حديثي عهد بعلوم الهيئة والفلك ، بل إن العرب قبل الإسلام كانوا قد مارسوا النظر إلى الفضاء المحيط بهم والكواكب المعلقة فيه من زاوية حاجاتهم الملّحة في السفر بالصحراء المقفرة في الليل . فتكون السماء

عندها لوحة جميلة تمثل بديعة من بدائع الخلق والتكوين . وتكون الكواكب بروجاً يهتدون بها في سيرهم الليلي الطويل .

فقد كان العرب في الجاهلية يستثمرون علم الهيئة لتسهيل حياتهم الاجتماعية كما أشار إلى ذلك أحد علماء الأندلس قائلاً : «وكان للعرب مع هذا معرفةٌ بأوقات مطالع النجوم ومغاربها ، وعلمٌ بأنواء الكواكب وأقطارها ، على حسب ما أدركوه بفرط العناية وطول التجربة لاحتياجهم إلى معرفة ذلك في أسباب المعيشة لا على طريق تعلم الحقائق ولا على سبيل التدريب . . .»[١] .

ولكن ظهور الإسلام غيّر الأمر . فأصبحت العلوم التجريبية آنذاك ، أداة من أدوات تسهيل مهمة الإنسان الدينية بالإضافة إلى تسهيل مهمته الاجتماعية والمعيشية . فقد استثمرت حوزة النجف العلمية علم الهيئة من أجل تشخيص الوظيفة الشرعية للمكلف في الصلاة والصيام . وقد كانت المباني العلمية لفن «الهيئة» عند فقهاء الشيعة تساعد على ذلك التوجه . فقد آمن أرباب الفن بكروية الأرض وحركتها حول محورها في وقت كانت أوروبا مؤمنة بسكون الأرض وثبوتها في وسط كون متحرك صاخب . وآمن الفقهاء أيضاً بسير الكواكب الخمسة : (عُطارد ، والزهرة ، والمريخ ، والمشتري ، وزُحل) وعرفوا مقدار السنة وملاحظة النقصان التدريجي لميل سمت الشمس ، بينما اكتشفت الهيئة الجديدة بقية الكواكب السيارة : (أورانوس ، نبتون وبلوتو) .

وكان ذلك التوجه العلمي للفقهاء وليد إلمام شامل بالعلوم الرياضية والهندسية فلولا الحساب والجبر والهندسة لما استطاع علماء المسلمين من فهم الأفلاك ، وقياس أبعاد النجوم ، وتشخيص الكواكب السيارة عن الأجرام الثابتة . ويعكس هذا الفهم المعمق لعلوم الفلك تعريف الشيخ أبو الحسن الاصطهباناتي (ت هـ) لعلم الهيئة في كتابه «شرح تشريح الأفلاك» ، فيقول : «إن الهيئة علم يبحث فيه عن الفلكيات كماً وكيفاً ووضعاً وحركةً وعن العناصر تبعاً . والمراد بالفلكيات : الأفلاك الكلية والجزئية مع المرتكزات فيها من الكواكب ، والمفروضات فيها وعليها لضبط أمورها من النقط والدوائر ، وبالكم ما يشتمل المنفصل كأعداد

---

(١) «طبقات الأمم» ـ صاعد الأندلسي . مصر : مطبعة محمد مطر ، ص ٥١ .

الأفلاك والمتصل كمقاديرها المبنية في مباحث الأبعاد والأجرام، وبالكيف ما يشتمل الاستدارة والاستنارة والكمودة ونحوها، وبالوضع هيئاتها الحاصلة لها بقياس بعضها إلى بعض قُرباً وبُعداً وعلواً وسفلاً وقيام دائرة على أخرى وميلها عنها ونحو ذلك، وبالحركة قدرها وجهتها، وما يتفرع عليها من الرجوع والإقامة والاستقامة ومباحث التعديلات»(١). ولا شك أن هذا التعريف قد جمع المتغايرات ومنع المتفرقات إلى حد، إلا أنه أشار إلى الطبيعة الوصفية لعلم الهيئة من دون التعرض إلى الغاية والهدف الذي أنشئ من أجله ذلك العلم.

وبطبيعة الحال، فقد قدّم المسلمون للبشرية خلال قرون عديدة إسهامات جذرية في تأصيل علم الهيئة، واستثمار مبانيه العلمية في مصاديق عملية نافعة تخدم التكليف الشرعي. بحيث أطلق المؤرخون الأوروبيون على الفترة الزمنية الواقعة بين القرنين الثامن والرابع عشر الميلاديين (القرن الثاني إلى القرن الثامن الهجري) بفترة «الهيئة الإسلامية»، بسبب الإنجازات العلمية التي قام بها المسلمون في الشرق الإسلامي وشمال إفريقيا والأندلس.

فبعد ترجمة كتب «بطليموس» الإغريقي في علم الهيئة والرياضيات إلى اللغة العربية في القرن الثاني الهجري، بدأ أصحاب الفن من المسلمين ببناء طرق جديدة لمعرفة طبيعة الكون المحيط بنا، وطبيعة الأفلاك التي تسير فيها الأجرام السماوية.

الهيئة القديمة:

كانت مباني الهيئة القديمة مستندة على تشريح الأفلاك ووصفها في حركتها أو ثبوتها، وفي تشخيص عناصرها البدائية. وكان النشاط العلمي لأرباب الفن يستند على الملاحظة والتفكر الطبيعي بالكون وما يحويه. فكان توجههم ينصبّ في طريقين: الأول: في الأفلاك، والثاني: في هيئة الأرض وما تقوم عليه.

أولاً: في الفلك:

فقد كانت النظريات القديمة تنظر للكون من زاوية العين المجردة التي تستطيع

(١) «شرح تشريح الأفلاك» للاصطهباناتي، ص٥. طبعة حجرية.

أن ترى جانباً محدوداً من ذلك الفضاء الرحيب . ومن اللافت للنظر ، أنها كانت تعتقد أنها ترى الكون من جرم ثابت غير متحرك ، بينما الواقع يفصح عن أننا نسكن أرضاً متحركة تدور حول نفسها . وهذا ما لم يفهمه إلا القليل من علماء النجوم من الإغريق واليونان ومصر القديمة . ولا نعرف من قال بحركة الأرض من قدامى اليونان غير فيثاغورس . والهيئة القديمة تتشكل من ثلاث هيئات يونانية وواحدة مصرية ، كلها عاشت قبل الميلاد وحتى القرن الثاني الميلاد .

١ ـ **هيئة ذيمقراطيس** : وأطروحتها أن القضاء ممتلئ بطبيعته بالهواء ، حيث تنتثر الكواكب بشكل غير ثابت بل متحرك بمقتضى طبعها ، فيكون جذب الهواء العلة الرئيسية في حركة الكوكب . فكلما كان الكوكب قريباً من مركز الأرض كان مسيره بطيئاً ، وكلما كان بعيداً كان مسيره أسرع .

٢ ـ **هيئة بطليموس** : للفلكي اليوناني بطليموس القلوذي في القرن الثاني الميلادي . وأطروحتها وجود الأرض في وسط الكون ككرة ساكنة يغطي الماء أرباعاً من سطحها وتحيط بالأرض كرة الهواء ، ثم تحيط بكرة الهواء كرة النار ، ثم يحيط بالنار فلك القمر ، ثم يحيط به فلك عطارد ، ثم فلك الزهرة ، ثم فلك الشمس ، ثم فلك المريخ ، ثم فلك المشتري ، ثم فلك زحل ، وكل فلك من تلك الأفلاك يحيط سابقه . ثم يحيط بفلك الثوابت فلك تاسع يسمى «أطلس» ليست له نهاية وهو الذي يملأ فضاء العالم كله .

وكانت نظرية «بطليموس» من أكثر النظريات المعمول بها في الهيئة القديمة . إلا أنها تعرضت لنقد معمق من قبل بعض علماء العرب كابن الهيثم (ت٤٣٢هـ) حيث لم يتوقف عند مهاجمة «بطليموس» فحسب ، بل أخذ على الذين اتبعوا منهج «بطليموس» دون نقد ، فيقول : «إن حُسن الظن بالعلماء السابقين مغروس في طبائع البشر ، وأنه كثيراً ما يقود الباحث إلى الضلال ، ويعوق قدرته على كشف مغالطاتهم ، وانطلاقه إلى معرفة الجديد من الحقائق . . .»[1] .

---

(١) «الشكوك على بطليموس» لابن الهيثم ص ٣ الطبعة المصرية ، تحقيق : عبد الحميد صبرة .

٣ ـ **هيئة فيثاغورس** : وجوهرها أن في مركز الكون، وهو أشرف ما في الكون بزعم فيثاغورس، جرم ناري تدور حوله مجموعة الأجرام العشر الإلهية، وهي : الثوابت، ثم السيارات السبع، ثم القمر، ثم الأرض، ثم الأنجم الخيالية . وبتعبير آخر أن الأرض تدور حول نار مركزية على دائرة مائلة، ثم تدور هي على نفسها حول خط وهمي بين قطبيها محور دورة تُنشئ الليل والنهار .

٤ ـ **هيئة المصريين القدماء** : وهي هيئة تشابه هيئة بطليموس، إلا أنها جعلت عطارد والزهرة قمرين يدوران حول الشمس . وافترضت بأن الشمس تدور مع بقية الأجرام السماوية حول الأرض .

وقد أخذ علماء المسلمين بنظرية «بطليموس» وبنوا عليها نظرياتهم، ولكنهم اختلفوا معه حول سكون الأرض، فقالوا بدورانها بينما آمن هو بسكونها وعدم حركتها . وهذا الاختلاف الرئيسي في فهم حركة الأرض أو ثبوتها له مدلولات علمية وتطبيقية كبيرة . خصوصاً فيما يتعلق بعلاقة تلك الحركة بسمت القبلة، واختلاف أوقات الصلاة من منطقة إلى أخرى، واختلاف المشارق والمغارب، ورؤية الهلال، والخسوف والكسوف . وعلى ضوء ذلك الفهم فقد كانت دراسة هيئة الأرض من الموارد المهمة في الدراسات الفلكية الإسلامية .

ثانياً: في هيئة الأرض وما تقوم عليه:

وفي حين كان الاعتقاد السائد في أوروبا قبل القرن الثامن عشر الميلادي يؤمن بتسطح الأرض، كان جمهور علماء المسلمين يعتقد بكروية الأرض التامة . فقد كان الفلكيون المسلمون يؤمنون بأن محيطها الاستوائي مساوٍ لمحيطها القطبي، بل إن وجود الجبال فيها لم يخرجها عن تلك الكروية الحسّية . والتأمل في ألفاظ الآيات الشريفة وروايات أهل البيت (ع) يدل على دوران الأرض . فقد فسرت الآية الكريمة : ﴿**وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم**﴾[1] بأن ملاك خلق الجبال كان مخافة أن تضطرب أجزاء الأرض والناس عليها حال تحركها . وما روي في «بحار الأنوار» مرسلاً عن هشام بن الحكم عن الإمام الصادق (ع) قوله : «إن الأشياء تدل على حدوثها من دوران الفلك بما فيه وهي سبعة أفلاك

---

(١) سورة النحل : آية ١٥ .

وتحرك الأرض ومن عليها . . .» . ولا شك أن ذلك الإيمان بكروية الأرض كان نابعاً من أدلة قرآنية وروائية أخرى . ففي قوله تعالى : ﴿**فلا أقسم برب المشارق والمغارب** . .﴾[1] ، دليل على كروية الأرض . وبطبيعة الحال فإن كروية الأرض تستلزم أن تكون كل بقعة فرضت عليها مشرقاً لقوم ومغرباً لقوم آخرين . فيكون تكثير المشارق والمغارب بناءً على كروية الأرض . وفيه ظهور واضح لا يحتاج إلى مزيد استدلال . وفي الدليل الروائي رواية مسندة عن الإمام الصادق (ع) قائلاً لبعض أصحابه : «مسوا بالمغرب قليلاً فإن الشمس تغيب من عندكم قبل أن تغيب من عندنا» . ومع أن ظاهر الرواية يدل على تفاوت المغيب ، إلا أن حملها على كروية الأرض فيه تكلف .

«الهيئة» في المدرسة الإمامية:

ومن علمائنا الذين كتبوا في علم الهيئة المحقق نصير الدين الطوسي (ت هـ) وكتابه «الإشارات» ، والشيخ بهاء الدين محمد العاملي المعروف بالشيخ البهائي (ت١٠٣١هـ) وكتابه «تشريح الأفلاك» ، ومحمود بن محمد بن عمر الجغميني من قرى خوارزم وكتابه الموسوم بـ« شرح الجغميني» ، وجمشيد بن مسعود بن محمود الطبيب الكاشي وكتابه «سلم السماء في استخراج أبعاد الأرض والسماء من السيارات السبعة والثوابت وأفلاكها» ، والميرزا أبو الحسن الاصطهباناتي وكتابه «شرح تشريح الأفلاك» .

ويحتوي كتاب «تشريح الأفلاك» للشيخ البهائي (قده) (طبعة حجرية في النجف في ١٣ صفحة مطبوع سنة ١٣٤٧هـ) على مقدمة يشرح فيها مسائل علم الهيئة ، كموضوع العلم وحده وغايته . وخمسة فصول : الأول : يتناول فيه الدوائر المتداولة بين أصحاب الفن وما يتعلق بها . وفي الثاني : صورة أفلاك السيارات وأوضاعها . وفي الثالث : الحركات وما يتبعها وفي الرابع : ما يتعلق بالأرض من بيان معمورتها ومخروبتها ، وكيفية قسمتها إلى الأقاليم واختلاف أوضاع بقاعها مع العلويات . وفي الخامس : الصبح والشفق واليوم والليلة وما يناسبهما . وخاتمة يبين فيها طريق معرفة خط نصف النهار وسمت القبلة وجهتها .

---

(١) سورة المعارج : آية ٤٠ .

وكتاب «شرح الجغميني» (طبعة حجرية في ١٥٦ صفحة طبع النجف سنة ١٢٨٦هـ) يحتوي على مقالتين من ثمانية أبواب. ففي المقالة الأولى يبين فيها هيئات الأفلاك التي يفترض أنها كرات متحركة بالذات على الاستدارة دائماً وما يتعلق بها من الكواكب والحركات والدوائر. وفيها خمسة أبواب: الأول: في هيئة الأفلاك والكواكب ويعرف فيه عدد الأفلاك والسيارات، وأما الثوابت فغير محصورة. والثاني: في بيان حركات الأفلاك قدراً وجهة. والثالث: في الدوائر. فالدائرة، حسب تعريف الجغميني سطح مستو يحيط بها خط مستدير يمكن أن يفرض في داخله نقطة يكون البعد بينها وبينه واحداً في جميع الجهات. والرابع: في القسى، جمع قوس، والقوس قطعة من محيط الدائرة. والخامس: فيما يعرض للكواكب السبعة السيارة في حركاتها من الإسراع والإبطاء والعرض والاستقامة والإقامة والرجوع والارتباطات التي بينها وبين الشمس، والكسوف والخسوف، واختلاف التشكيلات النورية للقمر، وتوسط الأوج الأول للعطارد.

والمقالة الثانية في بيان هيئة الأرض التي يفترضها بأنها كرة واقعة تحت كرات العالم وما يتعلق بها من بيان المعمور منها وعرضه وطوله وقسمته إلى الأقاليم وذكر خواص المواضع والأشياء المنفردة. وفيها ثلاثة أبواب: الأول: في بيان المعمور من الأرض وعرضه وطوله وقسمته إلى الأقاليم السبعة، وتعيين مبادئها وأواسطها وأواخرها. والثاني: في خواص المواضع التي على خط الاستواء. وخط الاستواء بتعريفه هو محيط دائرة تحدث على وجه الأرض من قطع سطح معدّل النهار إياها والمواضع التي لها عرض. والثالث: في أشياء منفردة غير مشتركة في أمر معتدّ به، وهي الطالع، ودرجة الطلوع، والممر، والظل، وخط نصف النهار والاعتدال، وسمت القبلة، والنهار، والليل، والصبح، والشفق، واليوم بليلته، والساعات المستوية والمعوجة، والسنة، والشهر.

أما كتاب «سلم السماء في استخراج أبعاد الأرض والسماء» (طبعة حجرية في ٣٧ صفحة في النجف غير مؤرخ) فهو رسالة نقدية لبعض مباني الهيئة القديمة. يقول المصنف في مقدمة كتابه: «لما طالعت كتب الرياضيات ومباحث

الهيئة والسماويات خصوصاً مسائل أبعاد الأفلاك واستخراج أنصاف الأقطار وجدتُ خلافاً بين أصحاب هذا الفن كما أن أكثرهم أثبتوا الأفلاك على النضد المشهور وعيّنوا فلك الزهرة تحت فلك النير الأعظم وزعم بعض المتأخرين أن فلكها فوق فلك الشمس واستدل عليه أن المسافة المذكورة في المجسطي التي بين محدب فلك مائل القمر ومقعر فلك الشمس لا يسع ثخني فلكي الزهرة وعطارد فضلاً عن أن يسعهما ما بين محدب القمر ومقعر فلك الشمس، ومع ذلك لم يلتفتوا إلى مقادير أنصاف أقطار الكواكب مع أنها جميعاً أكثر من نصف قطر عالم الكون»[1] . وعلى ضوء ذلك، فقد حاول المصنف أن يصحح حسابياً ما وقع معاصروه فيه من أخطاء، فجعل كتابه على سبع مقالات وخاتمة .

ففي المقالة الأولى تناول مساحة الأرض وما يتعلق بها . وفي الثانية : في أبعاد القمر ومقدار قطره وفي الثالثة : في أبعاد الشمس ومقدار قطرها وبُعد رأس مخروط الظل . وفي الرابعة : في أبعاد السفليين وقطريهما . وفي الخامسة : في أبعاد الكواكب العلوية وأقطارها . وفي السادسة : في أبعاد فلك الثوابت . وفي السابعة : في أجرام الكواكب . وفي الخاتمة : جداول مساحة الأرض، وأقطار الكواكب السيارة، ومقادير أجرام الثوابت وأقطارها .

ولكتاب «تشريح الأفلاك» للشيخ البهائي (قده) شرح جيد بقلم الميرزا أبو الحسن الأصطهباناتي سماه «شرح تشريح الأفلاك» (طبعة حجرية في ١٨٩ صفحة غير مؤرخ) . فهو بعد أن يعرف المصطلحات الهندسية والفلكية كالنقطة، والخط، وأقسام الخط، والسطح، والقوس، والدائرة ونحوها، يبدأ شرحه لمباني الشيخ البهائي في علم الهيئة . فيتناول تعريف النقطة مثلاً بالقول : «النقطة ذات وضع لا تنقسم أصلاً لا قطعاً، ولا كسراً، ولا وهماً بأن يتوهم على سبيل الجزئية أن هذا الجزء غير ذلك الجزء، ولا عقلاً كأن يعقل على طريق الكلية أن اليمين منها غير اليسار مثلاً»[2] . ويتناول تعريف الفلك فيقول : «إن الفلك جسم

---

(١) «سلم السماء . .» ـ الكاشي ص ٢ ـ ٣ .
(٢) «شرح تشريح الأفلاك» ـ الاصطهباناتي ص ٦ .

كروي يحيط به سطحان متوازيان مركزهما واحد وهو مركزه . ويعترض عليه بدخول كرة النار فيه بناء على أصح القولين فيها وهو أنها كرة متوازية السطحان . .»[١] .

ونعرض بعضاً من شرحه ، فيقول بصدد كسوف الشمس : « . . . إن المحرك لكل الأفلاك ينبغي أن يكون محيطاً به ليكون أقدر على تحريك ما في ضمنه كما يشهد به الفطرة السليمة وأن بعض الثوابت وهو ما يكون في ممر السيارات ينكسف بزحل المنكسف بالمشتري المنكسف بالمريخ المنكسف بالزهرة المنكسف بعطارد المنكسف بالقمر الكاسف للشمس . والظاهر أن فلك المنكسف فوق فلك الكاسف لكنه بقي الشك في فلك الشمس إذ لا تنكسف الشمس بغير القمر من الكواكب . قيل لاضمحلال كل منها تحت شعاعها عند المقارنة . واعترض عليه بأن القمر يضمحل تحت الشعاع أيضاً مع أنه يرى كسفه للشمس . وأجيب بأن الكواكب أجرام نيرة لا يحجب نور الشمس ، والقمر جرم كثيف يحجب نورها . ويخدشه ان الكواكب وان كانت أجراماً نيرة إلا أن ألوانها تخالف لون الشمس فيمكن أن يرى انكساف الشمس بها . . .»[٢] . وهذا المستوى من النقاش العلمي يبين ، مع مخالفته لأصول الهيئة الحديثة ، العمق العلمي الذي وصل إليه علم الهيئة في الحوزة العلمية .

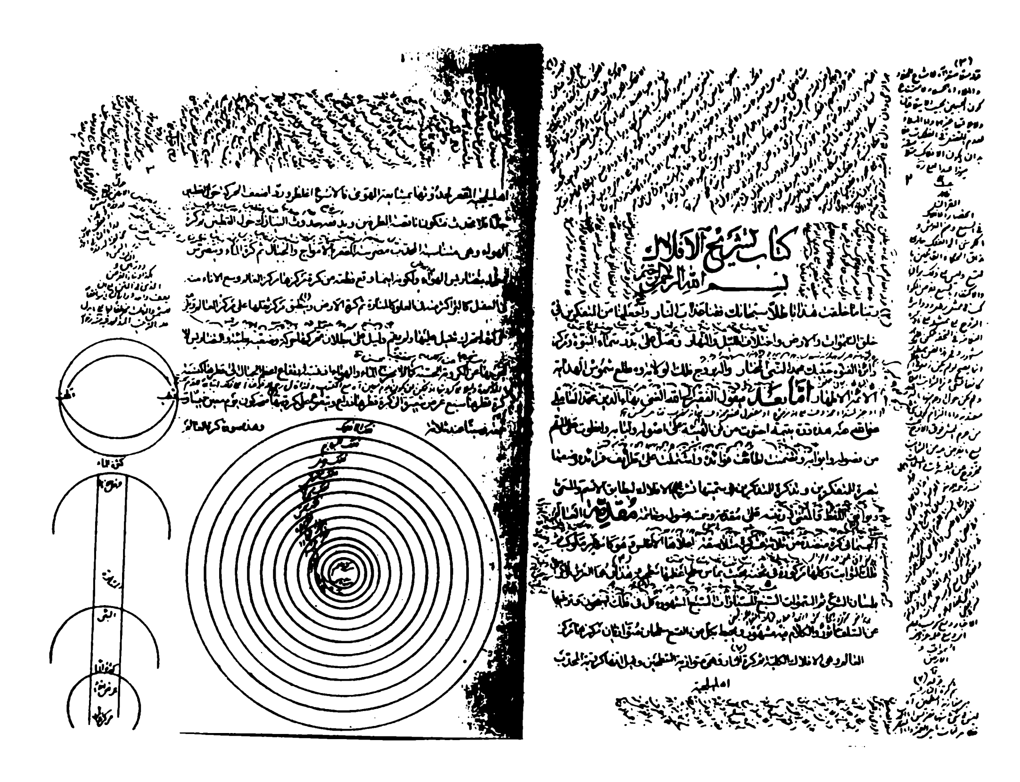
أما كتاب «الهيئة والإسلام» للسيد هبة الدين الشهرستاني (ت .هـ) فهو من الكتب التي حاولت إبراز نظرية فلكية إسلامية على أنقاض الهيئة القديمة . حيث قام المصنف (قده) باستخراج الهيئة الجديدة عن ظواهر القرآن الكريم والحديث الشريف ، مشيراً في البداية إلى المسائل الفلكية في نظر القدماء ، وما جاء في علم الفلك البطليموسي ، وما جاء في الهيئة الغربية الجديدة .

وقد أحدث الكتاب ضجة في الأوساط العلمية النجفية في بداية الربع الثاني من القرن الرابع عشر الهجري ، بسبب الآثار التي تركتها الاكتشافات الحديثة في علم الهيئة والفلك وما تبع ذلك من اهتزاز مباني علم الهيئة القديمة . ولذلك

---

(١) المصدر السابق ص١٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٢ .


كتاب تشريح الأفلاك
بسم الله الرحمن الرحيم

صورة كتاب «تشريح الأفلاك» للشيخ البهائي ، الذي كان كتاباً دراسياً في حوزة النجف الأشرف

فقد ترجم الكتاب إلى بعض اللغات الشرقية كالفارسية والأوردية ، فكان له دور مؤثر في التفريق بين مباني الهيئة القديمة ، الإغريقية المنشأ ، وبين كليات القرآن المجيد وروايات أهل البيت (ع) الواردة حول الفضاء الرحيب المحيط بنا والأجرام التي تدور فيه .

الهيئة الحديثة:

وكان لتطور المباني التجريبية للعمل الحديث أثراً عميقاً على تطور علم الهيئة . فكان للآلة الجديدة التي اخترعها الإنسان دوراً عظيماً في رؤية الكون بصورة قريبة من الواقع . وانتهت تخيلات «بطليموس» وتحطمت نظريته بعد ظهور الهيئة الحديثة التي قادها أربعة من فلاسفة أوروبا ، وهم :

١ ـ نيقولاس كوبرنيكوس (ت١٥٤٣م) الذي قال بنظرية حركة الأرض ، فتضامن بدون أن يشعر مع النظرية الإسلامية . فوضع الشمس في مركز الكون بدلاً من الأرض ، ووضع الأرض ومعها الكواكب السيارة الخمسة (عطارد ، الزهرة ، المريخ ، المشتري ، زحل) حول الشمس ، تدور بشكل دائري ثم تليها النجوم .

٢ ـ موهانس كبلر (ت١٦٣٠م) الذي آمن ببيضوية الأفلاك ، وهي نظرية إسلامية بالأصل . فحاول إثبات حقيقة أن المدارات التي تدور بها الكواكب السيارة اهليليجية الشكل ، وليست دائرية كما زعم القدماء . وصاغ نظريته على شكل ثلاثة قوانين :

أ ـ أن مدار الكوكب اهليليجي الشكل حيث تكون الشمس إحدى بؤرتيه .

ب ـ الحركة الناتجة بين الشمس والكوكب لها مساحات متساوية في الفضاء في أوقات متساوية .

ج ـ النسبة بين مربع الزمن لأي كوكبين تساوي النسبة بين مكعب البعد المتوسط لكل منهما عن الشمس .

٣ ـ غاليلو غاليلي (ت١٦٤٢م) الذي استخدم التلسكوب في اكتشافاته

الفضائية . فبعد أن اخترع أول تلكسوب للأرصاد الفلكية عام ١٦٠٩م ، اكتشف أربعة أقمار للمشتري ، واكتشف وجود جبال وأودية على سطح القمر . فأثبت أن مادة الأجرام السماوية متشابهة ، على عكس الهيئة القديمة التي كانت تؤمن بأن الأجرام السماوية مكونة من مادة أثيرية تختلف تماماً عن عناصر الأرض المعروفة .

٤ ـ اسحاق نيوتن (ت١٧٢٧م) باكتشافه قوانين الجاذبية التي فسّرت طبيعة سير الأجرام السماوية .

والهيئة الحديثة تطلق اسم الفلك على المدارات المفترضة للأجسام السماوية . فكل جرم سماوي متحرك في فراغ الفضاء يباين مدار الجرم المماثل له بنسب متناسقة نظمها قانون الجاذبية . وقد أشار إلى ذلك ، وقبل ظهور الهيئة الحديثة بمئات السنين ، أمير المؤمنين في وصفه للسماء وما فيها ، فقال : «ووشج بينها وبين أزواجها» والوشيج هو اشتباك القرابة والأزواج استعارة لفظية تعني الأمثال . فقوله (ع) يبين أن الخالق عز وجل خلق ، ضمن تصميم الوجود ، روابط متناسبة بين الأجرام السماوية وأمثالها من أجل تنظيم سير الكون بصورته الطبيعية .

إلا أن أحدث نظريات «الهيئة الحديثة» لتفسير طبيعة نشوء الكون هي نظرية الانفجار العظيم أو نظرية «البك بانك» التي زعمت بأن انفجاراً ضخماً قد حدث في كوننا قبل نحو عشرين مليار سنة . ومن ذلك الانفجار بدأ الكون في تمدد لم يتوقف . ومع تمدد الكون تمددت المادة والطاقة الموجودتان فيه ، حتى جاء زمن البرودة فتكونت الأجرام . وهذه النظرية ، على رغم بريقها العلمي ، تبقى مجرد افتراض علمي لا نستطيع أن نثبته عن طريق الدليل القرآني أو الروائي . فلذلك كان لا بد من التحرز من الخلط بين الاكتشافات التجريبية الحديثة . وبين ما يحمله القرآن المجيد أو الروايات الشريفة من كليات وضوابط عامة لنشوء الكون ووصفه للتدليل على عظمة خالقه .

التطبيقات العملية لعلم الهيئة:

ولم تكن تلك الجهود العلمية لتبذل من قبل فقهاء الإمامية لدراسة علم

الهيئة، لولا أن رجائهم في قطف ثمرة ذلك العلم كان عظيماً. ولا شك أن تلك الثمرة كانت تنحصر في تقريب المكلف من وظيفته الشرعية في تحقيق أحد شروط الصلاة: وهو تعيين جهة القبلة، وتحديد أوقات الصلاة، وتشخيص طبيعة الكسوف والخسوف؛ وفي تحقيق أحد شروط صيام شهر رمضان وهو رؤية الهلال؛ وفي تحقيق أحد شروط فريضة الحج وهو رؤية هلال أشهر الحج (شوال، ذو القعدة، ذو الحجة).

١ ـ اتجاه القبلة: لا شك أن أحد شروط صحة الصلاة في الشريعة هو التوجه نحو الكعبة بعد تعيين سمتها. وكان هذا الأمر من العوامل الرئيسية في اهتمام الفقهاء بعلم الهيئة. فقد كان أغلب المسلمين يعيشون خارج مكة المكرمة، فكانوا بحاجة ماسة إلى معرفة القبلة من أجل إداء فرائضهم. فحاول الفقهاء تقسيم المكلفين إلى ثلاثة أقسام:

الأول: من يجب عليه استقبال حرم الكعبة ذاتها، كالفرد الذي يصلي في المسجد الحرام.

الثاني: من يجب عليه أن يتجه إلى المسجد الحرام، كالفرد الذي يعيش في مكة المكرمة.

الثالث: من يجب عليه أن يتجه إلى مكة المكرمة، كالفرد الذي يعيش خارجها سواء كان نائياً أو قريباً.

فكانت علامة أهل النجف خصوصاً والعراق عموماً ومن في سمتهم، جعلُ المغرب على الأيمن والمشرق على الأيسر. والجدي حال غاية ارتفاعه أو انخفاضه خلف المنكِب الأيمن. والجدي هو الكوكب القطبي الذي يدور قريباً من القطب الشمالي في قطر ثلاث درجات. فهو عند غاية ارتفاعه أو انخفاضه يكون على خط الاستواء. ففي تلك الحالة يكون ذلك الجرم علامة لقبلة أهالي العراق، خصوصاً الكوفة والنجف، عند جعله خلف المنكب الأيمن. وفي ذلك رواية محمد بن مسلم عن أحدهما (ع) قال: سألته عن القبلة؟ فقال: «ضع الجَدي في قفاك وصلِّ»[1]، وما رواه الصدوق (قده) قال: قال رجل للصادق (ع) إني

(١) «الوسائل» باب ١، ٢، ٥ من أبواب القبلة.

أكون في السفر ولا أهتدي إلى القبلة بالليل؟ فقال: «أتعرف الكوكب الذي يقال له جَدي؟» قلت: نعم. قال: «اجعله على يمينك، وإذا كنت في طريق الحج فاجعله بين كتفيك»[١].

وهذه الحاجة الشرعية لمعرفة اتجاه القبلة جعلت من الهيئة علماً عملياً له شأن في الدراسات الفقهية في الحوزة العلمية. وكان الفقيه يلمُّ إلماماً إجمالياً بعلم الهيئة. وللتدليل على ذلك لاحظ مناقشة الشهيد الثاني (ت٩٦٥هـ) في شرح اللمعة الدمشقية حول التفاوت بين علامتي جهة القبلة بالنسبة للنجف والكوفة، وهي: جعل المغرب على الأيمن والمشرق على الأيسر، والجدي خلف المنكب الأيمن، فيقول: «... ان الجدي حال استقامته يكون على دائرة نصف النهار المارّة بنقطتي الجنوب والشمال، فجعل المشرق والمغرب على الوجه السابق على اليمين واليسار يوجب جعل الجدي بين الكتفين قضية للتقاطع. فإذا اعتبر كون الجدي خلف المنكب الأيمن لزم الانحراف بالوجه عن نقطة الجنوب نحو المغرب كثيراً، فينحرف بواسطته الأيمن عن المغرب نحو الشمال، والأيسر عن المشرق نحو الجنوب، فلا يصح جعلهما معاً علامة لجهة واحدة..»[٢]. ولكن يمكن أن تكون إحدى العلامتين لجهة معينة في العراق كأن تكون الجهة الشمالية والأخرى لجهة مقابلة كأن تكون الجهة الجنوبية مثلاً. وكان منشأ هذا الاستدلال هو أن قواعد الهيئة تدل على لزوم الانحراف عن نقطة الجنوب نحو المغرب. فكان إلمام الشهيد الثاني بعلم الهيئة مسانداً له في الاستدلال على تعيين القبلة، بالإضافة إلى استخدامه النص.

٢ ـ أوقات الصلاة: وهي أحد الشرائط الواجبة في الصلاة، فيجب في صحة الصلاة دخول وقتها. ولا شك أن مقياس أوقات الصلاة اليومية هو الشمس، فهي التي تُنشئ ظلاً نعرف من خلاله الزوال لصلاة الظهر والعصر، وشروقها وغروبها يعينان وقت صلاة الفجر والمغرب والعشاء. فوقت صلاة الظهر زوال الشمس عن وسط السماء وميلها عن دائرة نصف النهار. وكان

(١) «الوسائل» باب ١، ٥٢٢ من أبواب القبلة

(٢) «شرح اللمعة الدمشقية» ـ الشهيد الثاني ج١ ص١٩٤.

الزوال يقاس بآلة اسمها «الشاخص» . والشاخص آلة تنصب على سطح الأرض بشكل قائم على الأفق المستوي بتسعين درجة من كل جانب من الجوانب الأربعة لغرض معرفة جهة الظل ومقداره . فإذا طلعت الشمس على الشاخص تكوّن ظلٌّ طويل إلى جهة المغرب . ثم لا يزال ذلك الظل ينقص كلما ارتفعت الشمس حتى تبلغ وسط السماء فينتهي النقصان أو يعدم الظل حسب الميل الأعظم للشمس . وتفصيل ذلك يستوجب معرفة موقع الشمس في الفضاء الخارجي . فنحن نرى الشمس ، كما تعلمنا الهيئة القديمة ، في أول يوم من برج الحمل على نقطة الاعتدال الربيعي ، وهو أول أيام فصل الربيع . فتشرق الشمس على خط الاستواء وتغرب عليه وتسير موازية له ثم نراها مائلة إلى جهة الشمال . فيكون شروقها وغروبها منحرفاً ، بشكل يسير على خط الاستواء ، التي هي دائرة معدل النهار . ثم يزداد الانحراف تدريجياً حتى اليوم الأخير من فصل الربيع ، وهو نهاية برج الجوزراء . ثم بعدها نرى الشمس وكأنها تأخذ في الرجوع والانتقاص من انحرافها وهو أول أيام الصيف . فيكون مدارها حينئذ مدار رأس السرطان .

وهذا المدار الجديد ، يبعد عن مدار معدل النهار إلى جهة الشمال بثلاث وعشرين درجة ونصف . ويتناقص الانحراف الشمالي تدريجياً كل يوم حتى تنتهي الشمس إلى نقطة الاعتدال الخريفي ، وهو أول أيام الخريف . فتشرق الشمس على مدار معدل النهار كما فعلت في أول أيام الربيع . ثم يبدأ الانحراف تدريجياً نحو الجنوب على مدار رأس الجدي ، حتى نقطة الانقلاب الشتوي ثم ترجع عائدة حتى تنتهي إلى نقطة الاعتدال الربيعي .

ولا شك أن هذا التحليل يصور الشمس وكأنها تدور حولنا . والحقيقة التي أثبتتها الهيئة الحديثة أن الشمس ، بغطائها الضوئي ، تدور حول نفسها . لكنها لا تدور حول الأرض بل إن الذي يتحرك هو أرضنا . ولذلك فإن التصور بأن الشمس تتحرك حولنا هو تصور معكوس لحقيقة كونية مرسومة في أذهاننا خطأ ، والصحيح أن الأرض هي التي تتحرك فعلاً . أما حركة الشمس حول

نفسها فقد أيدته الآيات القرآنية بالقول : ﴿**والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم**﴾[١] .

وعلى أي تقدير ، فأن الظل ينعدم في البلاد الواقعة على خط الاستواء عندما نرى الشمس على نقطتي الاعتدالين الربيعي والخريفي . ويميل الظل نحو الجنوب إذا نرى الشمس منحرفة نحو الشمال وبالعكس .

ووقت صلاة المغرب ذهاب الحمرة المشرقية ، وهي الحمرة الكائنة في جهة المشرق وبعدها وقت صلاة العشاء .

ووقت صلاة الفجر طلوع الفجر الصادق وهو الخط الممتد في عرض الأفق . بخلاف الفجر الكاذب الذي يصعد من الأفق إلى السماء محاطاً بسواد الليل من الطرفين ولذلك يقال له «ذنب السرحان» وهو تمثيل تصوري للذئب الذي يرفع ذنبه إلى السماء .

وبالجملة ، فإن لعلم الهيئة أهمية عظيمة في تشخيص أوقات الصلاة اليومية ، خلال القرون الماضية . ولكن تطور الهيئة الحديثة جعل تعيين أوقات الصلاة من الأمور العلمية المسلّمة التي تحتاج إلى جهد أقل من ذلك الجهد الذي كان يبذل في الماضي .

٣ ـ رؤية الهلال : وهي علامة من علامات إثبات شهر رمضان للصيام الواجب ، وإثبات أشهر الحج لأداء تلك الفريضة . والأمر يستدعي فهم طبيعة الأشهر القمرية . وطبيعة دوران القمر حول الأرض . وإذا كانت السنة القمرية تشتمل على (٣٥٤) يوماً وربع اليوم ، فهل يجوز شرعاً الأخذ بالسنة الكبيسة التي تضاف لها ثلاثة أرباع السنين الثلاث الماضية ليكون يوم السنة الكبيسة (٣٥٥) يوماً؟ قال فقهاء الإمامية لا عبرة بالأخذ بالجداول الفلكية المأخوذة من تسيير القمر بحيث يعدّ الشهر الأول تاماً والثاني ناقصاً . بل لا بد من رؤية الهلال بالعين المجردة ، وإذا لم يكن ذلك ممكناً بسبب غيوم أو نحوها فيجب إكمال عدّة الشهر ، وهو مضي ثلاثين يوماً .

فالنتيجة ، أن المستفاد من علم الهيئة فيما يخص رؤية الهلال وفهم أسلوب

---

(١) سورة يس : آية ٣٨ .

ولادته وطبيعة دورانه حول الأرض وتطوقه بالنور أمر ضروري تقتضيه الضرورة العلمية ولا يتعارض مع النصوص الشرعية . أما إذا كان علم الهيئة يقدم لنا جداول لعدد أيام كل شهر ، فهذا ما لا يؤخذ به شرعاً ، لأن المدار في الإلزام الديني هو الرؤية الشرعية للهلال بالعين المجردة .

فالمعروف في الهيئة الحديثة أن نور الشمس هو الذي يضيء جانب القمر الذي يواجهنا ونحن على الأرض . فيتولد الهلال عندما يكون القمر والأرض على نفس جانب الشمس . ولما كان الجانب المظلم من القمر يواجه الأرض في هذه المرحلة ، فإننا لا نرى من القمر إلا الجزء الهلالي . وبعد أسبوعين على ولادة الهلال ، يصبح القمر والشمس في موضعين متقابلين من الأرض : أي أن الأرض تكون في الوسط بين القمر والشمس على خط واحد ، فنرى القمر ـ عندها ـ تاماً .

٤ ـ الخسوف والكسوف : وهي من الظواهر الطبيعية التي تستدعي لوناً من ألوان العبادة الواجبة المسماة بصلاة الآيات . وسميت بصلاة الآيات لأنها تعبّر عن علامات على أهوال الساعة وأخاويفها وزلازلها وتكوير الشمس والقمر .

فكسوف الشمس يحصل عندما يحجب القمر الدائر حول الأرض نور الشمس من الوصول إلى الأرض . بينما يحصل خسوف القمر عندما يمر القمر التام بظل الأرض . فالأرض في تلك الحالة هي التي تحجب نور الشمس عن القمر فيحصل الخسوف .

* * *

عرضنا فيما سبق ملخصاً لمباني علم الهيئة في الحوزة العلمية النجفية ، ولاحظنا تبدل أساسيات ذلك العلم ، على الصعيد التجريبي ، مما أدى إلى اختلال المباني الأساسية للهيئة القديمة . ولئن أصبح ذلك العلم اليوم من قضايا الماضي ، نأمل أن تتضافر الجهود من أجل دراسة دور الحوزة العلمية التاريخي في التفتيش عن الوظيفة الشرعية للمكلف في تعيين اتجاه القبلة ، وتحديد أوقات الصلاة ، ورؤية الهلال ونحوها في العصور التي سبقت اختراع الآلة . فكانت جهود فقهائنا الأعلام ، بحق ، من أعظم ثمرات التوجه العلمي التاريخي للإسلام .

في الختام، نقدم إلى القارئ قائمة بأهم المصنفات النجفية التي تحدثنا عن علوم الفلك أو «الهيئة» بعامة، بضمنها ما يندرج ضمن (العلوم الغريبة)، بصفة أن علم النجوم ـ وهو أحد مباحث الهيئة ـ يشترك مع العلوم الغريبة في استخلاص الحوادث ونحوها. كما ندرج المصنفات المرتبطة بالرياضيات، بصفة أن هذه العلوم جميعاً ـ في التقسيم الموروث أو المألوف حوزوياً ـ تنتسب إلى أحد نمطي الفلسفة من جانب، كما أن العملية الحسابية ترتبط بعنصر مشترك بينها من جانب آخر.

تاريخ الوفاة	اسم الكتاب	المؤلف
٦٦٤	علماء النجوم	ابن طاووس
١٠٧٠	رسالة في الهيئة ، تبصرة المبتدئ (في الهيئة)	علي محي الدين
١٢٠٩	المحصل ، المستقصي	محمد مهدي النراقي
١٢٧٣	ميزان الفلك	أبو الفضل الكلانتري
١٢٨٧	المثلثات	حسن قفطان
١٢٩١	حل المسائل العويصة	نصرالله الخراساني
١٢٩٦	الهيئة ، الهيئة السماوية	مهدي صحين
١٢٩٨	الهيئة والحساب	مهدي المازندراني
١٣٠٢	أرجوزة في نظم تحرير اقليدس ، أرجوزة في الهيئة والهندسة	علي الغريفي
١٣٠٢	في الحساب	علي الهمداني
١٣١١	رسالة في الهيئة	محمد علي المشهدي
١٣١٣	مجموعة تقاويم	اللاهيجي
١٣١٥	تقويم	محمد حسن المنجّم
١٣٢٠	التقويم العربي	عبد الجليل العادلي
١٣٢١	إبطال التنجيم	محمد هادي المدرسي
١٣٢٧	شرح الجغميني القبلة	علي العلياري التبريزي

تاريخ الوفاة	اسم الكتاب	المؤلف
١٣٣٢	قواعد الجفر ، قواعد الرمل	محمد علي الإمامي
١٣٣٣	الاسطرلاب	مرتضى الكشميري
١٣٣٥	قبلة الآفاق ، الاسطرلاب ، نظرية اقليدس	مرتضى الگيلاني
١٣٣٥	المسائل الحسابية ، في علم الهندسة	محمد القزويني
١٣٣٦	تشريح الحساب	نظام الدين العاملي
١٣٣٨	التقويم	أحمد المنجم
١٣٣٨	شرح خلاصة الحساب	فتحعلي الأرغوني
١٣٤٠	شرحان لمنظومة في الهيئة ، رسالة في علم الجفر	عدنان الغريفي
١٣٤٣	ملحمة فلكية	درويش شريف
١٣٤٤	منظومة في الرمل	جعفر المنجّم
١٣٤٦	قبلة البلدان ، كنز الحساب	محمد علي الشهرستاني
١٣٥٦	جملة رسائل في الهيئة	زين العابدين المهرباني
١٣٦٠	شرح القبلة	أحمد الشهرستاني
١٣٦٤	رسالة في الجفر	عبد الحسين مبارك
١٣٦٧	مجموعة رسائل : في النجوم ، المزيج ، الفلك ، الاسطرلاب	حبيب الله الطهراني
١٣٧٢	في المساحة	حيدر الكرمانشاهي

تاريخ الوفاة	اسم الكتاب	المؤلف
١٣٧٤	رسالة في علم الجفر ، رسالة في علم الرمل	محمد النقوى الخونساري
١٣٨٠	بحر الحساب ، الجبر والمقابلة ، قابلية التقسيم في الأعداد	أبو القاسم الموسوي
١٣٨٦	الهيئة والإسلام	هبة الدين الشهرستاني
١٣٩٠	شرح تشريح الأفلاك	محسن الحكيم

فهرس موسوعة النجف الأشرف

الجزء الثامن